شرح
ديوان امرئ القيس

> احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ؛
> فإن محاسن الشعر تدل على مكارم
> الأخلاق وتنهى عن مساويها ؟
>
> عمر بن الخطاب

ومعه

أخبار المراقسة وأشعارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

ويليه

أخبار النوابغ وآثارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

تأليف

حسن السندوبي

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص.ب ٥٧٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع نوبار باشا رقم ١٢

بمناسبة هذه الطبعة من هذا الكتاب نهدى إلى

بطل العروبة الرئيس الموفق

جمال عبد الناصر

ما قلته فى أحداث القناة فى حينها :

سِرْ فِى طَرِيقِكَ يَا جَمَالُ بِهِمَّةٍ
وَاحْفَظْ بِلَادَكَ مِنْ فُلُولِ مَنَاصِرِ

يَتَآمَرُ الْأَعْدَاءُ حَوْلَ قَنَاتِنَا
كَىْ يَحْشِدُوا لِلسَّطْوِ شَرَّ عَنَاصِرِ

فَانْهَضْ بِأَبْطَالِ الْكِنَانَةِ مُعْلِنًا
أَنَّ الْعُرُوبَةَ لَا تَلِينُ لِهَاصِرِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ خَاذِلُ جَمْعِهِمْ
والنَّصْرُ مَكْفُولٌ لِعَبْدِ النَّاصِرِ

حسن السندوبى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد كنت صنعت ديوان امرئ القيس — أى جمعته ورتبته ونسقته وعلقت حواشيه — ثم قدمته للطبع فطبع سنة ١٣٤٩ للهجرة الموافقة لسنة ١٩٣٠ للميلاد ؛ وإنما قلت إنى جمعته لأن المنشور منه غير مستقصٍ لشعر امرئ القيس . ولقد بحثت إذ ذاك عن شعره فى كثير من المراجع كأسفار التاريخ ، ومجاميع الأدب ، ودواوين الأشعار ، حتى عثرت على طائفة صالحة مما ليس فيما طبع من الديوان فضممت أشتاتها ، وجمعت متفرقها ، وميزت أصيلها من دخيلها ، ولم أشأ أن أغمره بالشروح والحواشى والتعليقات ، بل اكتفيت بحلّ ألفاظه اللغوية التى قد تعسر معرفتها على الشادين ، وقد رأيت أن أكون فى مقام صنع ديوان ، لا فى صدد شرح وبيان ، فجاء صنعاً حسنا ، وعملا صالحا ، حاز رضا المتأدبين ، واستحسان العارفين ، ومع هذا فأنا أعترف بأنه جاء على غير ما ينبغى ، وحصل غير مستوفى شرائط الإجادة والإحسان كما أبتغى .

ولما نفدت تلك الطبعة رأيت أن أردّد فيه النظر ، وأعيد فى ثناياه الفكر ، وأستدرك ما فاتنى مما لم يسعدنى عليه الزمن ؛ فبحثت ونقبت ، وقارنت الروايات وتقصيت ؛ ومازلت من ذلك فى عناء واعتناء حتى ظفرت بما لم أظفر به من قبل ، فوقعت لى قصائد بأكملها أو بمعظمها ، وأبيات

متفرقة أتيت بأحكمها . كما وقفت إلى قصائد وأبيات نسبها إليه بعض الرواة وهى لغيره ، ونسبوا لغيره أشياء هى له دون سواه ؛ فتحريت ذلك كله على قدر الاستطاعة ، وأثبتُّ خيره ، ونفيت ضيره . وقد عُنيت بشرحه والتعليق عليه بما يوضح أغراضه ومراميه على الوجه الذى يقتضيه ؛ غير أننى لم أشأ أن أجعله معرضاً لمشاكل النحاة ، ومسائل الصرفيين ، واختلاف الرواة ، ومناهج اللغويين ؛ فقد تكفلت بذلك كتب التعليم ، وأسفار المعلمين . وإنما قصدت إلى المعنى فأبنته ، وإلى الغرض فأوضحته ؛ ولم أُخله من نكتة طريفة ، أو فائدة ظريفة ، أو حادثة أنيقة ، أو لطيفة مشوقة .

وإنى لأحسب أننى ـ بهذا الصنيع ـ قد قمت بخدمة تروق أهل الأدب وطلاب التأدُّب ، وقربت إليهم ما تباعد من شعر امرئ القيس وما تناءى من مقاصده فى قصائده . واضعاً ذلك فى وضع حديث ، ومُنزله فى ترتيب أنيق ، راجياً بذلك وجه الله ، متطلعا إلى ما عنده من حسن الجزاء ، غير حافل برضى الراضين ، ولا مَعنيٍّ بسخط الساخطين .

ولما كان الكثير من الشعر المَرْقِيِّ قد اختلف فيه الرواة ، فنسبه بعضهم إلى امرئ القيس هذا ، ونسبه آخرون إلى غيره من المسمين باسم امرئ القيس ، فقد رأيت أن لا أترك شاعراً يسمى بامرئ القيس إلا جئت به فرويت أخباره ، إن كان له خبر ، وأثبتُّ أشعاره ، إن عثرت له على شعر ، ونبهت على ما اختلف فيه الإخباريون من عزوه إلى هذا ونفيه عن ذاك . ثم ألَّفت بين هذا كله وجمعته فى كتاب مستقل أسميته :

أخبار المراقسة وأشعارهم ، فى الجاهلية وصدر الإسلام .

وجعلته ملحقا بهذا الديوان ليكون بين يدى القارئ مجموعة نافعة تحصر له الشعر المروى لكل من تسمى بامرئ القيس ! ولم أسبق - ولله الحمد - إلى هذا الصنيع ؛ ولم يتقدمنى فيه سابق ولا تبيع . وقد يرى المطلع عليه أننى قد رويت لبعضهم القليل من الشعر ؛ فأقول له : هذا ما عثرت عليه منه . ولعل امرأ القيس وبُعد صيته ؛ وذهاب ذكره كل مذهب ، قد جنى على هؤلاء المراقسة واغتصبهم آثارهم ، وانتهبهم أشعارهم ؛ أو لعل شعر بعضهم قد لعبت به أيدى الزمن ، وأضاعته عوامل المحن .

هذا ولما نفدت هذه الطبعة (وهى الثانية) أعدت النظر فى الكتاب ، ورددت الفكر فيما قد يكون جانب منه الصواب ، فاستدركت فيه ما رأيت إثباته فى هذه الطبعة الثالثة من الضروريات ، وما زلت منه فى محو وإثبات إلى أن جاءت هذه الطبعة ملء عين الأديب ، وأمنية كل أديب . بفضل ما بذلت من جهد وعناء . والله كفيل بحسن الجزاء ؟

حسن السندوبي

امرؤ القيس

هو حامل لواء الشعر امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المُرار بن عمرو بن الحارث بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مُرتع بن معاوية بن كندة بن عُفير بن الحارث بن مُرة بن أُدد بن زيد بن عمرو بن مِسمع بن عُريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان [1].

واسم امرئ القيس: حُنْدُج بن حُجر، [2] وامرؤ القيس [3] لقبه وبه شُهر

---

(١) ما أظن أن هذا النسب وامتداده إلى قحطان بهذا التسلسل إلا من أوضاع الرواة ولهذا تراهم مختلفين فيما بينهم، فمن مقدم ومن مؤخر، ومن مسقط ومن مقحم. على أنه ليس فيما رويناه عنهم منه ما يضر ولا ينفع.

أما حجر أبو امرئ القيس فهو بضم الحاء. وآكل المرار. المرار: شجر إذا أكلته الإبل تقلصت مشافرها. قالوا إنما سمي بآكل المرار لأن عمرو بن الهبولة الغساني أغار عليهم في غيبة آكل المرار فغنم وسبي، وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني امرأة آكل المرار فقالت لعمرو بن الهبولة في مسيره بها: لكأني برجل أدلم أسود كأن مشافره مشافر بعير آكل المرار قد أخذ برقبتك. فما هي أن استتمت كلامها حتى أدركهآ آكل المرار فقتله واستنقذ امرأته وما كان أصاب من غنائم وسبايا. وفي أمثال الميداني قصة هذه الحادثة مفصلة وفيها زيادة تغيير وتبديل عند قوله. لاغزو إلا التعقيب: فمن أرادها فليطلبها هناك. غير أننا نروي هنا الأبيات التي قالها آكل المرار حين ظفر بعدوه وقتل زوجته هذه فيما يروي الميداني:

لمن النار أوقدت بحفير لم ينم غير مصطل مقرور
إن من يأمن النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور
كل أنثى وإن تبينت منها آية الحب حبها خيتعور

الخيتعور: الذي لا يدوم على حالة واحدة فيما يزعمون

(٢) الحندج: الرملة الطيبة تنبت نباتاً حسناً.

(٣) وامرؤ القيس: معناه فيما زعموا: رجل الشدة. وأنشدوا:

وأنت على الأعداء قيس ونجدة وللطارق العافي هشام ونوفل =

ولقب بالملك الضِّلِّيل ، ويكنى أبا وهب ، وأبا زيد ، وأبا الحارث ، وذا القروح [1] وغير ذلك مما تنوسى ، ولم يشتهر إلا لقبه : امرؤ القيس ، ونعته رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى ، بحامل لواء الشعراء .

فيما تحدث به الرواة ، وتناقله النسابون منهم والإخباريون ، أنه فى أوائل القرن السادس للميلاد دب الفساد فى قبائل نزار ، وتفاقم الشر فيما بينها ، وتبدد من جراء ذلك شملهم ، وتفرق جمعهم ، فأجمع بقية أشرافهم وذوو الرأى فيهم على تدارك الحال ، وإصلاح ما فسد ، وجمع ما تفرق ، فأداروا الرأى فيما بينهم فلم يجدوا أمامهم أفضل من أن يقصدوا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، جد امرئ القيس ، وأن يولوه أمرهم ، ويلقوا إليه بأزمتهم ، ويبايعوه على النظر فى شؤونهم : فلما حصلوا بين يديه ، وشكوا إليه ما حل بهم ، وتعهدوا له بالسمع والطاعة ، فى كل ما يأتى وما يذر . أجابهم إلى ما طلبوا ، وقام لهم بما أحبوا ، ففرق أولاده الخمسة فى قبائل العرب ، فكان حُجر ــ أبو امرئ القيس ــ ملكا على : بنى أسد ، وغطفان ، وكان شرحبيل على : بكر بن وائل ، وحنظلة ، وكان معديكرب المعروف بغلفاء : على تغلب ، والنمر بن قاسط ، وسعد بن زيد مناة بن تميم . وكان سلمة على : قبائل قيس بأسرها ، وكان عبد الله على : بنى قيس .

استتب الأمر لحجر فى بنى أسد ، وغبر فيهم السيد المطاع والآمر الناهى دهرا . زعموا أن ملكه عليهم ظل ستين سنة ؛ ففى أثناء ذلك ولد له ــ فيمن

= أى جود وبحر . وعندى أن الأسماء والألقاب والكنى عند أبناء قحطان قد يكون لها معان فى لغة أهل الجنوب من جزيرة العرب غير ما يتبادر إلى أذهان أهل الشمال وغير ما يذهب إليه علماء الاشتقاق .

(١) أبو الحارث : كنية الأسد . وذو القروح : مأخوذ من قوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة ... لعل منايانا تحولن أبؤسا

ولد امرؤ القيس ، وكان أصغر أولاده ؛ فنشأ على ما تنشأ عليه أبناء ملوك العرب فى ذلك الدهر ، وتعلم الفروسية ، ووسائل النجدة والشجاعة . وكان كثير التردد على أخواله فى بنى تغلب ، فتعلم الشعر من خاله امرئ القيس ابن ربيعة الملقب بالمهلهل المشهور ؛ ولما كان امرؤ القيس ذكى الطبع ، قوى الفهم ، متوقد الذهن ، طلق اللسان : أجاد قول الشعر وبرز فيه وهو لا يزال فى عنفوان شبابه وطالعة فتائه . فكان يعترض فتيات بنى أسد ويغازلهن ويشبب بهن فبلغ أمره إلى أبيه ، وكان ذلك مما لا يرضى به ملوك العرب فى ذلك الزمن ، فنهاه فلم ينته ، وزجره فلم يزدجر . فزعموا أن والده أمر مولى له يقال له ربيعة أن يذهب به فيذبحه ويأتى إليه بعينيه . فأخذه ربيعة واحتفظ به فى مكان ، ثم ذبح جؤذرا وجاء بعينيه إلى أبيه ، فندم حجر على ذلك وأظهر الحزن والأسف ، فقال له ربيعة : أبيت اللعن ، إنى لم أقتله ، فقال له : جئنى به الآن . فلما جاء به نهاه عن قول الشعر فامتثل . غير أنه كان محبا للهو واللعب ، مولعا بمغازلة النساء ومفاكهتهن ، فكان ذلك مما ينزع به إلى قول الشعر ، فكان يقول واصفا ، ومتغزلا ، وناسبا ، وباكيا ، فبلغ ذلك أباه فطرده [1] . فذهب شريداً فريداً لا يدرى

---

(١) وزعم بعض الرواة أن أباه إنما طرده لأنه كان يتعشق امرأة أبيه المسماة: هر . وهذا قول مردود لأن أخلاق العرب كانت تأباه ، وإن كان من مذاهب العرب أن أكبر أبناء الرجل له أن يرث أباه فى زوجته بعد وفاته ، فإن شاء تزوجها بعده ، وإن شاء زوجها من غيره ، وإن شاء منعها حتى تموت : وهذا هو زواج المقت الذى حرمه الإسلام فى قوله تعالى ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ﴾ ولم يكن امرؤ القيس بأكبر أبناء أبيه بل كان أصغرهم ، فلم يبق إلا أنه إنما طرده لشدة عبثه بفتيات الحى وقوله الشعر فيهن مما لا يرضى عنه آباؤهن حتى كثرت شكاياتهم إليه من تلاعبه ببناتهم وهتكه لأعراضهن .

ماذا يصنع . ثم صار يجمع إليه طائفة من الصعاليك والذؤبان والشذاذ من أحياء طيئ وكلب وبكر : وأخذ يتنقل بهم فى منازل العرب ، ويغير بهم على أحيائها ، ويقاسمهم ما تناله أيديهم من غنائم الغارة والسطو ، أوما يقع لهم من الصيد ، ثم يذهب بهم إلى المناهل والغدران والرياض والحدائق ، فيذبح لهم ويؤاكلهم ، ويعاقرهم الخمر ، ويلاعبهم النرد . وينشدهم الشعر ، وتغنيهم قيانه اللائى كان يستصحبهن للهوه ومرحه [١] .

فبينا هو فى هذه الحالة غير عابئ من الدنيا إلا بما هو فيه ، من مرح وسرور جاءه نعى أبيه حجر ، وأن بنى أسد قتلته .

وكان السبب فى ذلك — على ما تحدث به الرواة — أن حجراً أبا امرئ القيس كان وضع على بنى أسد إتاوة يأخذها منهم فى كل عام ،

---

(١) كان امرؤ القيس يأمر قيانه أن يغنين له بشعر مرة بن الرواغ فينشدنه :

إن الخليط أجد البين فادلجوا	وهم كذلك فى آثارهم لجج
عصر الشباب يغنينى مصلصلة	جيداء لاحجل فيها ولا رنج
وقد أقود لغيث لا أنيس به	إلا البعوض وإلا الازرق الهزج
نهد المرا كل يطويه ويركبه	حتى يـكفت عن مضرانه العفج
بمثله كنت أعلو الخيل إذ ركبت	إذا الجياد كسا فرسانها الرهج

ولابن أحمر يصف حال امرئ القيس فى لهوه وما عرض له بعد ذلك من الجد فى طلب الثأر لأبيه :

إن امرأ القيس على عهده	فى إرث ما كان أبوه حجر
يلهو بهند فوق أنماطها	وفرتنا يعدو إليها ومر
حتى أتتـه فيلق طافح	لا تتقى الزجر ولا تنزجر
لما رأى يوماً له هبوة	مرا عبوسا شره مقمطر
أدى إلى هنـد تحياتها	وقال هـذا من دواعى دبر
إن الفتى يقتر بعد الغنى	ويغتنى من بعـد ما يفتقر
والحى كالميت ويبقى التقى	والعيش فنان فحلو ومر

فلما ثقلت وطأته عليهم امتنعوا من أدائها ، وضربوا رسله ، وأهانوا جباته ، ومثلوا بهم . وكان حجر إذ ذاك بتهامة . فأقبل إليهم فى كتيبة من جنده فاستباح أحياءهم ، واستولى على أموالهم ، وأخذ سرواتهم ، وجعل يقتلهم بالعصا ، فسموا « عبيد العصا » . وأسر طائفة من أشرافهم وأودعهم حبوسه ، ومزق شمل بنى أسد ، وفرق جمعهم ، وأجلاهم عن مواطنهم ، وآلى ألّا يساكن بنى أسد فى بلد أبدا .

وكان عَبيد بن الأبرص الأسدى الشاعر المشهور ، من ندماء الملك حُجر ، فشمله غضب الملك فكان فى الأسرى . فلما رأى ما حل بقومه قام فبكى بين يدى الملك وأخذ يستعطفه على قومه ، ويرققه وأنشده :

يَا عَــيْنُ ما فَابْكِى بَنِى … أَسَدٍ فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَهْ

أَهْلُ القِبَابِ الْحمرِ وَالنَّـ … ـعَمِ المُؤَبَّلِ وَالْمُـدَامَهْ (١)

وَذَوِى الْجِيَادِ الجُرْدِ وَالأَ … سَلِ المُثَقَّفَـةِ المُقَـامَهْ (٢)

حِــلاًّ أَبَيْتَ اللَّعْنَ حِـ … ـلاًّ إِنَّ فِيما قُلْتَ آمَهْ (٣)

فِى كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَثْرِبَ … فَالقُصُـورِ إِلَى اليَمَامَهْ

تَطْرِيبُ عَانٍ أَوْ صِيَـا … حُ مُحَرَّق أَوْ صَوْتُ هَامَهْ

وَمَنَعْتَهُمْ نَجْـدًا فَقَدْ … حَـلُّوا عَلَى وَجَلٍ تِهَامَهْ

---

(١) المؤبل : يقال : تأبل إبلا : اتخذها للقنية واستكثر منها . قال طفيل الغنوى :

فأبل واسترخى به الخصب بعدما … أساف ولولا سعينا لم يؤبل

(٢) الجياد الجرد : الخيل المضمرة ، فإن التضمير يجرد شعرها . والأسل المثقفة : الرماح المقومة .

(٣) حلا : يقول له : تحال من يمينك التى آليت بها ألا تساكنْ بنى أسد فى بلد واحد .

بَرِمَتْ بَنُو أَسَدٍ كَمَا بَرِمَتْ بِبَيْضَتِهَا الحَمَامَهْ [١]
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشَمٍ وآخَرَ مِنْ ثُمَامَهْ [٢]
إِمَّا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْـ ـوًا أَوْ قَتَلتَ فَلَا مَلَامَهْ
أَنتَ المَلِيكُ عَلَيْهِمُ وَهُمُ العَبِيدُ إِلَى القِيَامَهْ
ذَلوا لِسَوْطِكَ مِثْلَ ما ذَلَّ الأُشَيْقِرُ ذُو الخِزَامَهْ [٣]

فعطف حجر عليهم، ورق لهم، وعفا عنهم، وردّهم إلى بلادهم. فلما كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهن كاهنهم عَوف بن ربيعة الأسدى، فقال: يا عبادى: قالوا: لبيك ربنا. فسجع لهم على قتل حُجر وحرضهم عليه، وأثار حميتهم للأخذ بثأرهم. فركبوا كل صعب وذلول؛ فما أصبحوا حتى انتهوا إلى حجر فى قبته، فهجموا عليه نخيم عليه حجابه ليمنعوه، فطعنه علباء بن الحارث الكاهلى فأصاب نَساه، وتركوه بين الحياة والموت، وشدّوا على هجائنه فاستاقوها، ومضوا على وجوههم.

قالوا: فكتب حجر وصيته وأبان فيها من قتله وجلية خبره، ودفعها إلى رجل من رهطه وأمره أن يمرّ بها على بنيه واحداً واحداً فأيهم لم يجزع فادفعها إليه مع سلاحى وخيلى وقدورى. فكلهم جزع إلا امرؤ القيس. فقد وجده الرجل بِدَمّون مع نديم له يلاعبه النرد، ويشاربه الخمر. فأخبره بما كان فلم يلتفت إليه. فأمسك نديمه عما كانا فيه، فقال له امرؤ القيس: اضرب. فضرب، حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك.

ثم رفع رأسه إلى الرجل وسأله عن أمر أبيه فأخبره بما كان. فقال:

(١) برمت: ضجرت وحارت.
(٢) النشم: شجر تتخذ منه القسى. الثمامة: نبت ضعيف لا يطول ساقه.
(٣) الأشيقر: الجمل الأحمر الصعب المراس يذل عندما توضع فى أنفه الخزامة.

ضيعني صغيرا ، وحمّلني دمه كبيرا ! لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر وغداً أمر ، وآلى ألا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرا ، ولا يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة ، ولا يغسل رأسه ، حتى يقتل من بنى أسد مائة ، ويجز نواصى مائة ، بثأر أبيه . وقال :

خَلِيلَيَّ لَا فِي اليَوْمِ مَصْحًى لِشَارِبٍ ... وَلَا فِي غَدٍ إِذْ ذَاكَ مَا كَانَ يُشْرَبُ

فلما جنه الليل قال :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَمُّونَ ﴿ دَمُّونُ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونَ ﴿ وإِنَّنَا لِأَهْلِنَا مُحِبُّونَ

ثم أخذ فى قول الشعر يصف فيه طول الليل عليه ، ويذكر البروق التى تذكره بمواطن آله ، ويتهدد بنى أسد باجتياحهم وقتل سرواتهم ، فى ثأر أبيه ، فمن ذلك قوله :

أَتَانِي وأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ ... حَدِيثٌ أَطَارَ النَّوْمَ عَنِّى وَأَنْعَمَا (١)

فَقُلْتُ لِعِجْلِيٍّ بَعِيدٍ مَآبُهُ ... تَبَيَّنْ وَبَيِّنْ لِي الحَدِيثَ المُعَجَّمَا (٢)

فقالَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ عَمْرٌو وكاهِلٌ ... أَبَاحُوا حِمَى حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلَمَا (٣)

فلما بلغ بنو أسد ما هو عليه من الاستعداد لحربهم ، أوفدوا إليه رجالا منهم كهولا وشبانا ، فيهم المهاجر بن خداش ، وقبيصة بن نعيم ، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ، إيراداً وإصدارا . فلما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم ، وتقدم فى إكرامهم والإفضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثا ، فسألوا عنه فقيل لهم : هو فى شغل بإخراج ما فى خزائن أبيه حجر من السلاح

(١) صيلع : جبل . أنعم : أبعد .

(٢) عجلى . رجل من بنى عجل بن لجيم ؛ وقد كان الرسول إليه من أبيه بإبلاغه قتله . المعجم : غير المفصح .

(٣) عمرو وكاهل : أى رجال بنى عمرو ورجال بنى كاهل . مسلم . غير ممتنع .

والعُدة . فقالوا : اللهم غفرا إنما قدمنا فى أمر نتناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط ، فليبلغ ذلك عنا . فخرج عليهم فى قَباء وخف وعمامة سوداء ـ وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا فى التِّرات ـ فلما رأوه قاموا إليه وبدر له منهم قبيصة قائلا : إنك فى المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تحدثه أيامه ، وتنتقل به أحواله ، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكير مجرب : ولك من سُؤدد منصبك ، وكرم أعراقك ، وشرف أصلك فى العرب : محتمل يحتمل ما حمل عليه ، من إقالة العثرة ، والرجوع عن الهفوة ، ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك . فوجدت عندك فضيلة الرأى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصفح ، فى الذى كان من الخطب الجليل ، الذى عمت رزيته نزاراً واليمن ، ولم تخصص كندة بذلك دوننا ، للشرف البارع . كان لحجر التاج والعمة فوق الجبين الكريم ، وإخاء الحمد ، وطيب الشيم . ولو كان يفدَى هالك بالأنفس الباقية بعده ، لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ، ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا يرجع أُولاه على أُخراه ، ولا يلحق أقصاه أدناه . فأحمد الحالات فى ذلك : أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال :

إمّا أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا ، وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا ، فقُدناه إليك بنِسعةٍ يذهب مع شفرات حسامك ، فيقال : رجل امتُحن بهلك عزيز فلم تُستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام .

وإمّا أن اخترت فداءً بما يروح إلى بنى أسد من نَعمها ، فهى أُلوف تجاوز الحسبة ، فكان ذلك فداءً رَجعتْ به القضبُ إلى أجفانها ، لم يردده تسليط الإحن على البرآء .

وإمّا أن توادعنا حتى تضع الحوامل ، فتسدل الأزر ، وتعقد الخُمُر فوق الرَّايات ! فبكى امرؤ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر فى دم ، وإنى لن أعتاض به جملا أو ناقة ، فأكتسب بذلك سُبة الأبد ، وفَتَّ العضد ؛ وأما النظرة فقد أوجبْتَهَا الأجنة فى بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سببا ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك ، تحمل القلوب حنقا ، وفوق الأسنة علقا :

إذَا جَالَتِ الْخَيْلُ فِى مَأْزِقٍ تُدَافِعُ فِيهِ المَنَايَا النُّفُوسَا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوإ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، لمكروه وأذية ، وحرب وبلية . ثم نهضوا وقبيصة يتمثل :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ المَوْتَ إنْ غَدَتْ كَتَائِبُنا فِى مَأْزِق الموْتِ تَمْطُرُ

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فرويداً ينكشف لك دجاها[1] عن فرسان كندة ، وكتائب حمير ، ولقد كان ذكر غير هذا أولى بى ، إذ كنتَ نازلا بربعى ، ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قبيصة : ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذاك .

ثم قصد امرؤ القيس ديار بكر وتغلب ، وعليهم عماه شُرحبيل وسَلَمة ، فسألهما معاونته على الأخذ بثأر أبيه من بنى أسد ، فحشدوا له جموعا . فنذر[2] بهم بنو أسد فلحقوا بديار بنى كنانة . غير أن بنى أسد رأوا ألّا طاقة لبنى كنانة بحمايتهم ، ودفع غارة امرئ القيس عنهم فتسللوا وذهبوا على وجوههم ليلا ، دون علم بنى كنانة . فأقبل امرؤ القيس فى كتائبه فوضع السيف فى كنانة ، وهو يحسبهم بنى أسد ، وجعل يقول : يالثارات الملك ،

(١) دجاها : أى ظلام هذه الكارثة .

(٢) فنذر بهم : أى بلغهم أمره واستعداده لقصدهم ، وكان الذى أنذرهم علباء ابن الحارث الأسدى .

يالثارات الهمام !! فقالت له عجوز كنانية : لسنا لك بثأر ! نحن من كنانة ! أما ثأرك فقد ساروا بالأمس ، فاطلبهم إن شئت . فكف عنهم ، وسار متتبعاً آثار بنى أسد ، جاداً فى طلبهم ، حتى أدركهم على بعض المياه فأوقع بهم ، وأنكى فيهم ، ولم ينقذهم منه إلا الليل ، حيث حجز بينه وبينهم : ففروا تحت الظلام . فلما أصبح طلبهم فى مكانهم فلم يجد لهم أثراً ، فثار به الغضب وأسف على فوتهم وجعل يقول :

أَلَا يَالَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ ... هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا [1]

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ ... وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ العِقَابُ [2]

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضًا ... وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الْوِطَابُ [3]

ثم إنه أراد السير خلفهم والتنكيل بهم ، فأبى عليه رجال بكر وتغلب. وقالوا : قد أصبت ثأرك ، ولسنا لك بتابعين اليوم ؟ فقال : والله ما فعلت. ولا أصبت من بنى كاهل أحداً ، وجعل يقول :

وَاللهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلَا ... حَتَّى أُبِيرَ مَالِكًا وَكَاهِلَا [4]

القَاتِلِينَ المَلِكَ الْحُلَاحِلَا ... خَيْرَ مَعَدٍّ حَسَبًا وَنَائِلَا [5]

وَخَيْرُهُمْ قَدْ عَلِمُوا شَمَائِلَا ... نَحْنُ جَلَبْنَا القُرَّحَ القَوَافِلَا [6]

---

(١) كانوا الشفاء : لأن قتلهم يشفى حزازة صدره ويريح قلبه من طلب ثأر أبيه.

(٢) جدهم : حظهم . بنو أبيهم : لأن كنانة وأسد كانا ابنى خزيمة . والأشقين: من قتلوا ظلما من بنى كنانة ، فقد حل بهم العقاب لشقوتهم وسوء حظهم .

(٣) كان علباء بن الحارث الأسدى أحد قتلة حجر أبى امرئ القيس . جريضا: به غصة من الخوف . صفر الوطاب : ذهب الجزع والحزن وشفيت نفسى بقتله .

(٤) أبير : أهلك . مالك وكاهل : حيان من بنى أسد اشتركا فى قتل حجر .

(٥) الحلاحل : السيد الشجاع الكثير المروءة الرزين .

(٦) القرح : الخيل . القوافل : الضمر .

فلم يطيعوه، وتفرقوا عنه منصرفين إلى ديارهم. فلما رأى ذلك خرج إلى مَرْثَد الخير بن ذى جَدَنٍ أحد أَقيال حِمْيَر، مستنصراً به على بنى أسد، فتلقاه مَرْثَد ووعده العون؛ غير أنه هلك قبل أن يقوم بنصره، وتولى مكانه قَرمل بن الُحميم، فاستمده امرؤ القيس الرجال فجعل يسوّفه ويحيله، فنص لذلك امرؤ القيس وقال فى كلمة له:

وإذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الْخَيْرِ رَبَّنَا وَإذْ نَحْنُ لَا نُدْعَى عَبِيدًا لِقَرْمَلِ

فتذمم قَرْمَلُ وأمده بجيش، جمع أكثره من صعاليك العرب وذؤبانهم، وفيهم المستأجر. فسار بهم نحو بنى أسد، ومر فى طريقه بذى الخَلَصَةِ (١) ـ وهو صنم كانت العرب تعظمه ـ فاستقسم عنده بأزلامه، وهى ثلاثة قداح: الآمر، والناهى، والمتربص. فلما أجالها خرج الناهى، فأجالها ثانية فخرج الناهى، وكذلك فى الثالثة. فغضب امرؤ القيس فجمعها وكسرها، وضرب بها وجه الصنم وخرج وهو يقول: لو كان المقتول أباك ما عُقتنى. ويروى أنه لما فعل هذا قال:

لَوْ كُنْتَ يَاذَا الْخَلَصِ الموتورا مِثْلِى وَكَانَ شَيْخُكَ الْمَقْبُورَا

لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْعُدَاةِ زُورَا

قالوا: ثم إن المنذر ملك الحيرة أَلَّبَ عليه العرب، وجمع منهم جيشا وأمده كسرى بكتيبة من الأساورة، فسرحهم فى طلب امرئ القيس وفض جموعه؛ فلما بلغهم ذلك تفرقوا عنه، وانفضوا من حوله، ولم يبق معه إلا عصبة من بنى آكل المرار، فسار بهم امرؤ القيس متنقلا فى أحياء العرب: فمن مجير له، ومن ممتنع من إجارته؛ وصار فى طريقه يثنى على من

(١) كان هذا الصنم مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج. وكانت بتبالة بين مكة واليمن. ثم صار هذا الصنم فى الإسلام عتبة لمسجد تبالة.

أحسن إليه، ويذم من يسيئه، حتى نزل بالحارث بن شهاب اليربوعى، ومعه أدراعه الخمس، وهى الفضفاضة، والضافية، والمحصنة، والخربق، وأم الذيول. وكانت هذه الأدراع يتوارثها بنو آكل المرار ملكا عن ملك. فلما علم المنذر أن امرأ القيس استقر عند الحارث بن شهاب، بعث إليه يتهدده، إن لم يسلم إليه بنى آكل المرار. فسلمهم إليه، غير امرئ القيس، فإنه نجا بما قدر عليه من مال وسلاح وأدراعه المذكورة، وأخذ معه ابنته هند، ويزيد بن معاوية بن الحارث، فنزل على سعد بن الضباب الإيادى، سيد قومه فأجاره[1] وأكرمه وعنى به، فقال امرؤ القيس:

يُفاكِهُنا سَعْدٌ ويُنْعِمُ بَالَنا ... وَيغْدُو علَيْنا بِالجِفَانِ وبِالجُزُرْ
ونَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شمائِلا ... ومِنْ خالِهِ، ومِنْ يَزِيدَ، ومِنْ حُجُرْ
سَماحَةَ ذَا، وبِرَّ ذَا، وَوَفاءَ ذَا، ... ونَائِلَ ذا، إذَا صَحَا وإذَا سَكِرْ

ثم تحول عن سعد بن الضباب إلى أرض طيئ، فنزل بالمعلَّى بن تيم، من جَديلة، فأكرم نزله فقال فيه:

كأنِّى إذْ نَزَلْتُ عَلَى المُعَلَّى ... نَزَلْتُ عَلَى البَواذِخِ مِنْ شَمامِ[2]
فَما مَلِكُ العِرَاقِ عَلَى المُعَلَّى ... بِمُقْتَدِرٍ ولَا مَلِكُ الشَّآمِ
أَقَرَّ حَشَا امْرِئِ القَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ... بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلامِ

فلبث عنده دهرا، واتخذ له إبلا، وارتبط له رواحل عند البيوت، ليسبق عليهن إن أمر دهم: فغدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد؛ فطردوا إبله؛

(١) زعم ابن الكلبي أن أم سعد بن الضباب كانت تحت حجر أبى امرئ القيس فطلقها وهى حامل وهو لايعرف، فتزوجها الضباب فولدت سعداً على فراشه فلحق نسبه به.

(٢) البواذخ: العوالى من الجبال. وشمام: جبل كانت تنزل عنده باهلة.

ففارقهم إلى بنى نبهان من طيئ ، وجاء نفر منهم فركبوا الرّواحل ليطلبوا له الإبل ، فأخذتهن جديلة . فرجعوا إليه بلا إبل ، ولا رواحل . فقال فى ذلك :

عَجِبْتُ لَهُ مَشْىَ الحُزُقَّةِ خَالِدٍ كَمَشْىِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ بِالْمَنَاهِلِ[1]

فَدَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فى حُجُرَاتِهِ ولٰكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

ففرقت عليه بنو نبهان فِرقا[2] من معزى يحلبها ، فأنشأ يقول :

إِذَا مَالَمْ تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا العِصِىُّ

إِذَا مَا قَامَ حَالِبُهَا أَرَنَّتْ كَأَنَّ القَوْمَ صَبَّحَهُمْ نَعِىُّ[3]

فَتَمْلأُ بَيْتَنَا أَقِطًا وسَمْنًا وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ[4]

ثم فارقهم وخرج إلى عامر بن جُوين[5] وعامر يومئذ من الخلعاء الفتاك ،

---

(١) الحزقة : القصير المقارب الخطو لا خير عنده . حلئت بالمناهل : منعت ورود الماء .

(٢) الفرق : القطيع .

(٣) أرنت : صاحت .

(٤) حسبك من غنى شبع ورىّ : يقولها تنديداً واستخفافا .

(٥) هو عامر بن جوين الطائى شاعر جاهلى ، وكان فاتكا خليعا وشريفا أعزيز الجانب . وهو جد قبيصة بن الأسود بن عامر ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لعامر أحداث مع ملوك العرب قال ابن الكلبى : وفد عامر بن جوين الطائى على المنذر بن النعمان الأكبر ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ، ورجوع الملك إلى لخم - وكان عامر قد أجار امرأ القيس بن حجر أيام كان مقيما بالجبلين ، وكان المنذر ضغنا عليه - فلما دخل عليه قال له : ياعام ، لساء مثوى أثويته ربك وثوبك حين حاولت إصباء طلته ومخالفته إلى عشيره ، أما والله لو كنت كريما لأثويته مكرماً موقراً ، ولجانبته مسلماً .

فقال له : أبيت اللعن ، لقد علمت أبناء أدد ، إنى لأعزها جارا ، وأكرمها جوارا وأمنعها داراً ، ولقد أقام وافراً ، وزال شاكراً ٥

فقال له المنذر : ياعام ، وإنك لتخال هضيبات أجأ ذات الوبار ، وأقتيات سلمى =

فأقام عنده واتخذ له إبلا . فسمع امرؤ القيس يوما عامراً ينشد قوله :

فَكَمْ بِالصَّعِيدِ مِنْ هِجَانٍ مُؤَبَّلَهْ   تَسِيرُ صِحَاحًا ذَاتِ قَيْدٍ وَمُرْسَلَهْ
أَرَدْتُ بِهَا فَتْكًا فَلَمْ أَرْتَمِضْ لَهُ   وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْعَلَهْ

= ذات الأغفار ، ماتعاتك من الجر الجرار ، ذى العدد الكثار ، والحصن والمهار ، والرماح الحرار . وكل ماضى الغرار ، بيد كل مسعد كريم النجار .

فقال له عامر : أبيت اللعن ، إن بين تلك الهضيبات والرعان ، والشعاب والمصدان ، لفتيانا أبطالا ، وكهولا أزوالا : يضربون القوانس ، ويستنزلون الفوارس ، بالرماح المداعس ؛ لم يتبعوا الرعاء ولم ترشحهم الإماء .

فقال الملك : ياعام ، لو قد تجاوبت الخيل فى تلك الشعاب صهيلا ، وكانت الأصوات قعقعة وصليلا ، وفغر الموت ، وأعجز الفوت ، فتقارشت الرماح ، وحمى السلاح ؛ لتساقى قومك كأسا لاصحو بعدها .

فقال : مهلا أبيت اللعن ، إن شرابنا وبيل ، وحدنا أليل ؛ ومعجمنا صليب ، ولقاءنا مهيب .

فقال له : ياعام ، إنه لقليل بقاء الصخرة الصماء على وقع الملاطيس .

فقال : أبيت اللعن ، إن صفاتنا عبر المراديس .

فقال : لأوقظن قومك من سنة الغفلة . ثم لأعقبنهم بعدها رقدة لايهب راقدها ، ولا يستيقظ ماجدها .

فقال له عامر : إن البغى أباد عمراً ، وصرع حجراً ، وكانا أعز منك سلطانا ، وأعظم شانا ، وإن لقيتنا لم تلق أنكاسا ولا أغساسا ؛ فهيش وضائنك وصنائنك وهلم إذا بدالك ، فنحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك . ثم ارتحل وهو يقول :

تعلم أبيت اللعن أن قناتنا   تزيد على غمز الثقاف تصعبا
أتوعدنا بالحرب أمك هابل   رويدك برقا لا أبالك خلبا
إذا خطرت دونى جديلة بالقنا   وحامت رجال الغوث دونى تحدبا
أبيت التى تهوى وأعطيتك التى   تسوق إليك الموت أخرج أكهبا
فإن شئت أن تزدار بافأت ءمترف   رجالا يذيلون الحديد المعقربا
وإنك لو أبصرتهم فى مجالهم   رأيت لهم جمعا كثيفا وكوكبا
وذكرك العيش الرخى جلادهم   وملهى بأكناف السدير ومشربا
فأغض على غيظ ولا ترم التى   تحكم فيك الزاعبى المحدبا

فتطن امرؤ القيس إلى أن عامراً قد هم أن يغلبه على ما فى يده ، فخافه على نفسه وأهله وماله ، فتغفله وارتحل ، فنزل على رجل من بنى ثعل يقال له حارثة بن مُر واستجار به ، فأثار عامر بن جوين الحرب بينه وبين حارثة الثّعَلى . فلما رأى امرؤ القيس ذلك ، ارتحل فنزل برجل من فزارة يقال له عمرو بن جابر ، وطلب منه الجوار حتى يرى ذات غيبه ، فقال له الفزارى : يا ابن حُجر ؛ إنى أراك فى خلل من قومك ، وأنا أنفِس بمثلك من أهل الشرف ، وقد كدتَ بالأمس تؤكل فى ديار طيئ ، وأهل البادية أهل وبر ، لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليَمن ذؤبان من قيس ، أفلا أدلك على بلد ـ فقد جئت قيصر وجئت النعمان ـ فلم أَر لضيف نازل ولا لمجتد مثله ، ولا مثل صاحبه ـ قال : من هو ، وأين منزله ؟ قال : السَّموأَل بتيماء ، وسوف أضرب لك مثله : هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك ، وهو فى حصن حصين ، وحسب كبير . فقال امرؤ القيس : وكيف لى به ؟ قال : أُوصلك إلى من يوصلك إليه . فصحبه إلى رجل من فزارة يقال له الربيع بن ضُبع الفزارى[1] ، وكان يفد على السموأَل فيحمله ويعطيه . فقال له الفزارى :

---

(١) هو الربيع بن ضبع الفزارى . كان شاعراً مخلا ، وعاش دهرا زعم أبو حاتم السجستانى : أنه عاش أربعين وثلثمائة سنة وأدرك الإسلام ولم يسلم . قيل إنه لما بلغ مائتى سنة قال :

ألا أبلغ بنى بنى ربيع ... فأشرار البنين لكم فداء
بأنى قد كبرت ورق عظمى ... فلا تشغلكم عنى النساء
وإن كنائنى لنساء صدق ... وما آلى بنى وما أساؤا
إذا جاء الشتاء فأدفئونى ... فإن الشيخ يهدمه الشتاء
فأما حين يذهب كل قر ... فسربال خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد أودى المسرة والفتاء

إن السموأل يعجبه الشعر فتعال نتناشد له أشعاراً . فقال امرؤ القيس =

قل حتى أقول : فقال الربيع :

قُلْ لِلْمَنِيَّةِ أَىَّ حِـــينٍ نَلْتَقِى   بِفِنَاءِ بَيْتِكِ فى الحَضِيضِ المَزْلَقِ

يقول فيهـا :

ولَقَـدْ أَتَيْت بَنِى المُصَاص مُفَاخِرًا   وإِلَى السَّمَوأَلِ زُرْتُهُ بِالأَبلَقِ

فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحَمَّل حاجَـةً   إِنْ جِئْتَهُ فى غارِمٍ أَوْ مَرْهَقِ

عَرَفَتْ لَهُ الأَقْوَامُ كلَّ فَضِـيلَةٍ   وحَوَى المكارِمَ سابِقًا لَمْ يُسْبَقِ

فقال امرؤ القيس : (١)

طَرَقَتْكَ هِنْدٌ بَعْدَ طُولِ تَجَنُّبِ   وَهْنًا ولَمْ تَكَ قَبْلَ ذلك تَطْرُقِ

فوفد الفزارى بامرئ القيس . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة

= ويروى : فقد ذهب التخيل والفتاء .

ولما بلغ مائتى سنة وأربعين قال :

أصبح منى الشباب قد حسرا   إن ينأ عنى فقد ثوى عصرا

ودعنا قبل أن نودعه   لما قضى من جماعنا وطرا

ها أنا ذا آمل الخلود وقد   أدرك عقلى ومولدى حجرا

أبا امرئ القيس هل سمعت به   هيهات هيهات طال ذا عمرا

أصبحت لا أحمل السلاح ولا   أملك رأس البعير إن نفرا

والذئب أخشاه إن مررت به   وحدى وأخشى الرياح والمطرا

من بعد ما قوة أسر بها   أصبحت شيخا أعالج الكبرا

وزعم ابن الجوزى أنه عاش ثلثمائة وستين سنة ، منها ستون فى الإسلام .

(١) قال صاحب الأغانى . وهى قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة لأنها لا تشا كل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيهـا بين ، وما دونها فى ديوانه أحد من الثقات . وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموأل . قلت : وياليت أبا الفرج روى لنا القصيدة بأكملها حتى ننظر معه فى هذا الحكم .

وحشية مرمية ، فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكوها ، فأتاهم قوم قناصون من بنى ثُعل فقالوا لهم : من أنتم ؟ فانتسبوا لهم ، وإذا هم من جيران السموأل ، فانصرفوا إليه جميعاً ، وقال امرؤ القيس :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كَفَّيْهِ مِنْ قُتَرِهْ
عَارِضٍ زَوْرَاءَ مِنْ نَشَمٍ مَعَ بَانَاتٍ عَلَى وَتَرِهْ
إذ أَتَتْهُ الوَحْشُ وَارِدَةً فَتَنَحَّى النَّزْعَ فى يَسَرِهْ
فرَمَاهَا مِنْ فَرَائِصِهَا بِإِزَاءِ الْحَوْضِ أَوْ عُقُرِهْ
بِرَهِيشٍ فى كِنَانَتِهِ كَتَلَظِّى الجَمْرِ فى شَرَرِهْ [١]
رَاشَهُ مِنْ رِيشِ نَاهِضَةٍ ثُمَّ أَمْهَاهُ عَلَى حَجَرِهْ [٢]
فَهْوَ لا تَنْمِى رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ

فلما قدموا على السموأل ، أنشده الشعر ، فعرف لهم حقهم ، فأنزل ابنة امرئ القيس فى قبة أدم ، وأنزل القوم فى مجلس له براح . فأقام امرؤ القيس عنده ما شاء الله ، ثم طلب إليه أن يكتب إلى الحارثة بن أبى شمر الغسانى بالشام ليوصله إلى قيصر ملك الروم . فاستنجد [٣] له رجلا واستودع عنده ابنته والأدراع [٤] والمال وأقام معها يزيد بن معاوية ابن عمه

(١) الرهيش : السهم .
(٢) الناهضة : الطيور الفتية . أمهاه : أرقه وحدده
(٣) استنجده : اختار له رجلا معروفا بالنجدة والهمة والشهامة .
(٤) ولهذه الأدراع قصة ، قالوا : إن المنذر لما علم بأن امرأ القيس نزل بتيماء فى جوار السموأل وأنه أودعه أدراعه ، بعث الحارث بن ظالم فى خيل لأخذ مال امرئ القيس وأدراعه من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه . قالوا : وكان للسموأل ابن قد يفع وخرج إلى القنص ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ثم قال للسموأل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابنى ! قال : أفتسلم ما قبلك أم أقتله ؟! قال : شأنك به =

ثم سار امرؤ القيس مصطحبا معه عمرو بن قميئة[1] أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وكان من خدم أبيه ، ولما طال بهما المسير ضجر عمرو وبكى ، وقال له : لقد غررت بنا . فقال امرؤ القيس : بكى صاحبى . . الخ ؟

وذكر صاحب كتاب شعراء النصرانية : أنّ امرأ القيس جاء ذكره فى تواريخ الروم ، مثل : نونوز ، وبركوب ، وغيرهما ، وهم يسمونه « قيسا » وقد ذكروا أنه قبل وروده على القيصر جوستينيانس ، أرسل إليه وفداً يطلب منه النجدة على بنى أسد ، وعلى المنذر ملك الحيرة ، وكان مع الوفد ابنه معاوية ، سيره امرؤ القيس إلى القيصر ليبقى عنده كرهن ، فكتب القيصر إلى النجاشى يطلب إليه أن يجند الجنود ويسير إلى اليمن ، ويعيد الملك لصاحبه .

قال : ولعل هذا الوفد أرسله امرؤ القيس لما كان عند بنى طيئ ، وطال عندهم مكثه ، ثم أخبر المؤرخون أنّ امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسه

= فلست أخفر ذمتى ، ولا أسلم مال جارى . فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه نصفين وانصرف عنه . فقال السموأل فى ذلك :

وفيت بأدرع الكندى إنى   إذا ما خان أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بألا   تهدم ياسموأل ما بنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا   وماء كلما شئت استقيت

فضرب العرب المثل بالسموأل فى وفائه فقالوا (أوفى من السموأل)

(١) هو عمرو بن قميئة بن سعد الضبعى البكرى شاعر فحل من قدماء الشعراء الجاهليين ، كان فى حداثته شابا جميلا حسن الوجه ، مديد القامة ، ذاعفة وترفع . عاش زمنا قبل مولد امرئ القيس وكان فى بطانة والده ، ثم لقيه امرؤ القيس فى آخر عمره وصحبه فى ذهابه إلى قيصر الروم بالقسطنطينية فمات فى طريقه ، فسمته العرب : عمرو الضائع . لأنه مات غريبا فى غير مأرب ولا مطلب . وزعموا أن وفاته كانت حوالى سنة ٥٦٠ م

إلى القسطنطينية فتقبله القيصر ووعده بالنجدة وذكر نونوز المؤرخ أن جوستينيانس قلده إمرة فلسطين ، إلا أنه لم يسع فى إصلاح أمره وإعادة ملكه ، فضجر امرؤ القيس وعاد إلى بلده ، فتوفى فى طريقه : أصابه مرض كالجدرى فى الدرب فكان سبب موته .

قال : وذكر فى كتاب قديم مخطوط أنّ ملك القسطنطينية لما بلغته وفاة امرئ القيس ، أمر بأن ينحت له تمثال وأن ينصب على ضريحه ، ففعلوا .

وظل تمثال امرئ القيس قائماً هناك إلى أيام المأمون ، وقد شاهده عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة .

قلت : وقد رأيت فى معجم المطبوعات لسركيس أنّ أحد أصدقائه ممن أقام زمناً طويلا بأنقرة للتجارة أخبره أنه رأى بقية هذا التمثال لا تزال قائمة بأنقرة قرب دار السراى (وهذه البقية عبارة عن « الهامة » فقط) وكان ذلك فى سنة ١٨٩٥ م .

وذكر رواتنا أنّ القيصر أكرم امرأ القيس لما نزل عنده وكانت له لديه حظوة ، ثم إنه ضم إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك ، وكان من سوء حظ امرئ القيس أنّ رجلا من بنى أسد يقال له الطماح ابن قيس الأسدى ـ كان امرؤ القيس قتل أخاه ـ فاندس حتى أتى بلاد الروم فأقام مستخفيا . وكان قد اتصل ببعض أصحاب القيصر ، وألقى إليهم ما أوغر صدورهم على امرئ القيس ، فلما فصل امرؤ القيس بالجنود قالوا لقيصر : إنّ العرب قوم غُدر ، ولا نأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك ! ـ فأسرَّها القيصر فى نفسه .

قال ابن الكلبى : بل قال له الطماح : إنّ امرأ القيس غَوِىٌّ عاهِرٌ ، وإنه

لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل فى ذلك أشعاراً يشهرها بها فى العرب ، فيفضحها ويفضحك .

فقيل إنه بعث إليه حينئذ بحلة وشى مسمومة ، منسوجة بالذهب ، وكتب إليه مع رسول : إنى أرسلت إليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة واكتب إلىّ بخبرك من منزل إلى منزل . فوصل إليه الرسول دون أنقرة . فلبس الحلة واشتد سروره بها ، وكان يوما صائفا ، فأسرع فيه السم وتناثر لحمه ، وتساقط جلده وتفطر جسده . فلذلك سمى ذا القروح .

أقول : من تضارب هذه الأقوال يرجح أنّ مسألة الحلة لا أصل لها . وإذا كان القيصر يريد إهداءه شيئا لقدم إليه الهدية وهو عنده ولم يرسلها مع رسول بعد انفصاله عنه ، وأنّ وشاية الطماح لم تترك لها أثراً فى نفس القيصر وإلا لما أقام له هذا التمثال . ومن المعروف أنّ قياصرة الروم كانوا يتوددون إلى العرب ويتألفونهم ليكونوا فى جانبهم ضد أكاسرة الفرس الذين كانوا معهم فى نزاع دائم . والظاهر أنّ الطماح هو الذى أصيب بداء الجدرى وسرت عدواه منه إلى امرئ القيس فتأثر به أشد تأثر حتى قضى عليه . ولذلك سماه فى بيتيه الآتيين داء ولم يسمه سما .

وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ ... لِيُلْبِسَنِى مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا (١)

---

(١) عبر عن العدوى بالإلباس ولذلك سماه داء . وقال : ماتلبسا ، يريد ما أصيب به فى هذا الداء . ولعل الرواة قد أخذوا بظاهر اللفظ فتوهموا أن هناك حلة تلبس .

فَلَوْ أَنَّها نَفْسٌ تَموتُ سَوِيَّةً ولكِنَّها نَفْسٌ تُساقِطُ أَنْفسَا

وكان جابر بن حُنيّ التغلبي يحمله فى محفة وهو مريض أثناء الطريق، فكان امرؤ القيس يقول:

فإمَّا تَرَيْنِي فى رِحالَةِ جابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كالقَرِّ تَخْفِقُ أَكفَانِي [1]

فَيارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَعانٍ فَكَكْتُ الغلَّ عَنْهُ فَفَدَّانِي [2]

إِذا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَىْءٍ سِواهُ بِخَزَّانِ [3]

فلما بلغ أنقرة احتضر بها فأخذ يقول:

رُبَّ طَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ وَجَفْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ
وخُطْبَةٍ مُحَبَّرَهْ تَبْقَى غَدًا فى أَنْقِرَهْ

قالوا: ثم رأى قبراً دفنت فيه امرأة من أبناء الملوك، وهو فى سفح جبل يقال له عسيب فقال:

أَجارَتَنَا إِنَّ المَزارَ قَرِيبُ وإِنِّى مُقِيمٌ مَا أَقامَ عَسِيبُ

أَجارتَنا إِنَّا غَرِيبانِ هٰهُنا وكُلُّ غريبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

وقال متبرما مما أصابه:

ولوْ أَنَّ نَوْمًا يُشتَرى لَاشْتَرَيْتُهُ قَلِيلًا كَتَغْمِيضِ القَطا حَيْثُ عَرَّسا

وقال أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية: إنّ القيصر ولى امرأ القيس على

---

(١) الرحالة: الخشب الذى يحمل عليه فى مرضه. والحرج: سرير يحمل عليه المريض أو الميت. والقر: مركب من مراكب الرجال بين الرحل والسرج. تخفق: تضطرب. وأكفانه: أراد بها ثيابه التى عليه لأنه قدر أنه سيدفن بها

(٢) العانى: الأسير؛ ففدانى: فقال لى: فداك أبى وأمى.

(٣) يخزن لسانه: يحفظه ويصونه من السر.

الشام وعلى الحدود بلقب « فيلارق » أى الوالى . ولكنه توفى فى أنقرة فيما بين سنة ٥٣٠ للميلاد و ٥٤٠ للميلاد فى أثناء رحيله لتولى منصبه هذا .

وعن عبد الملك بن عمير قال : قدم علينا عُمر بن هبيرة الكوفة [1] فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم ، من وجوه الكوفة ؛ فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثنى كل رجل منكم أحدوثة ، وابدأ أنت ياأباعمرو ا فقلت : أصلح الله الأمير ، أحديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق . قلت : إن امرأ القيس آلى بألية لا يتزوج بامرأة حتى يسألها عن ثمانية ، وأربعة ، واثنتين . فجعل يخطب النساء فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . فبينما هو يسير فى جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه ، فأعجبته ، فقال لها : ياجارية : ما ثمانية ، وأربعة ، واثنتان ؟ فقالت : أما الثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنتان فثديا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها ، وشرطت هى عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ففعل ذلك .

ثم إنه بعث إليها عبداً له وأهدى إليها : نِحْيًا من سمن ، ونِحيا من عسل ، وحُلة من عَصْبٍ ؛ فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها ؛ فتعلقت بشجرة فانشقت ، وفتح النِّحيين فطعم أهل الماء منهما ، فنقصا . ثم قدم على حى الفتاة وهم خلوف ، فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ، ودفع إليها

(١) كان عمر بن هبيرة الفزارى واليا على الكوفة من قبل بنى أمية وظل عليها إلى أن قامت الدولة العباسية فجرت له خطوب مع أبى جعفر المنصور حتى أنزله إليه على عهد ثم غدر به فقتله . وكان من أكابر الرجال ومن ذوى البأس والكرم .

الهدية . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يُقرب بعيداً ويبعد قريبا ، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخي يراعي الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وعاءيكم نضبا !

فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال : أما قولها إن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا ، فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما قولها : ذهبت أمي تشق النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تَقْبِلُ امرأة نُفساء . وأما قولها : إن أخي يراعي الشمس ، فإن أخاها في سرح له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به . وأما قولها : إن سماءكم انشقت ، فإن البُرد الذي بعثت به انشق . وأما قولها إن وعاءيكم نضبا ، فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا ، فأصدقني ؟ فقال : يا مولاي إني نزلت بماء من مياه العرب فسألوني عن نسبي ، فأخبرتهم أني ابن عمك ، ونشرت الحلة فانشقت ، وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء . فقال : أولى لك . . . ؟

ثم ساق امرؤ القيس مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا ، فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به الغلام في البئر وخرج حتى أتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاء زوجك ؟ فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ، ولكن انحروا له جزورًا وأطعموه من كراشها وذنبها . ففعلوا . فقالت : اسقوه لبناً خازرًا[1] فسقوه فشرب . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . ففرشوا له فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك ؟ فقال : سلي عما شئت ! فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : لتقبيلي إياك ! قالت :

(١) الخازر : الحامض .

فمم يَختلج كشحاك ؟ قال : لالتزامى إياك ! قالت : فمم تختلج فخذاك ؟ قال لتوركى إياك ! قالت : عليكم العبد فشدوا أيديكم به ! ففعلوا .

قال : ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ، فرجع إلى حيه ، فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى ، أهو زوجى أم لا ! ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذنبها . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء ؟ وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبنا خازراً . فأبى أن يشربه وقال : فأين الصُّريف والرثيئَة [1] فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لى فوق التلعة الحمراء واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ؛ فأرسل إليها : أن سلى عما شئت ؟ فقالت : مم تَختلج شفتاك ؟ قال : لشربى المشعشعات . قالت فم يختلج كشحاك ؟ قال : للبسى الحبرات . قالت : فمم تختلج فخذاك ؟ قال لركضى المطهمات . فقالت : هذا زوجى لعمرى ، فعليكم به ؛ واقتلوا العبد . فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية .

فقال ابن هبيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ! ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لى بجائزة .

ومن أفضل ما يروى أن قوما من اليمن أقبلوا يريدون الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلوا الطريق ، ومكثوا ثلاثا لا يقدرون

---

(١) الصريف : اللبن ساعة يحلب ، والرثيئة : أن يحلب اللبن على حامض فيخثر وهو الرثيئة .

على المـاء ، فاستظلوا بالطلح والسمُر[1] منتظرين الموت عطشا . فبينا هم فى آخر رمق إذ أقبل رجـل ملثم بعمامته . فرفع رجل منهم صوته وأخذ يقول :

وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعةَ هَمُّهَا ... وأَنَّ الْبَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دامِى[2]

تَيَمَّمَتِ العيْنَ الَّتِى عِنْدَ ضَارِجٍ ... يَفِيءُ عَلَيْها الظِّلُّ عَرْمَضُها طَامِى[3]

فقال الراكب : من يقول هذا الشعر ؟ قال : امرؤ القيس بن حُجر . قال : والله ما كذب ، هذا ضارج أمامكم . فتحاملوا وجثوا على الركب حتى رأوا ماءً غدقا ، وعليه العرمض وهو الطحلب ، والظل يفىء عليه . فشربوا حتى ارتووا ، وحملوا منه معهم . ولولا ذلك لهلكوا . فلما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بمـا كان . فقال : هذا رجل رفيع فى الدنيا خامل فى الآخرة ، شريف فى الدنيا وضيع فى الآخرة ، يجىء يوم القيامة حاملا لواء الشعراء إلى النار . أو كما قال . . .

وأنا أشك فى صحة هذه العبارة الأخيرة لأن امرأ القيس من أهل الفترة ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ فتقوّل الرواة على الرسول صلوات الله عليه ما لم يقل ، ولا سيما إذا خالف نصا صريحا فى كتاب الله فلا يصح الأخذ به ولا التعريج عليه ، وقد وصف الله رسوله عليه السلام بأنه لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى .

---

(١) الطلح : شجر عظام ذو شوك ينبت فى بطون الأودية . والسمر : قالوا هو الطلح ويسمى أم غيلان .

(٢) الفرائص جمع فريصة : وهى اللحمة التى بين جنب الدابة وكتفها لا تزال ترتعد

(٣) تيممت : عمدت وقصدت ، وضارج : اسم مكان ، والعرمض : الطحلب ، وطامى : عالى المـاء .

وشاعرية امرئ القيس وتقدمه على سائر الشعراء من الأمور التى فرغ النـاس من تحقيقها وتقريرها حتى أصبحت غير قابلة لشىء من الجدل أو المناقشة .

ويكفى ما قاله ثقات الرواة فيه من أنه سبق جميع الشعراء العرب إلى أشياء ابتدعها حازت الرضا العام . والاستحسان التام ، وجرى الشعراء من بعده على نهجه فيه . فمنها : استيقافه الصحب ، والبكاء فى أطلال الديار . ومنها : رقة الغزل ، ولطف النسيب ، والفصل بينهما وبين المعنى المراد . ومنها : قرب المـأخذ ، وتشبيه النساء بالظباء ، وبالبيض ، وتشبيه الخيل بالعقبان ، وبالعصى ، وجعلها قيد الأوابد ، وإحسانه التشبيه فى ذلك كله . وممـا لا جدال فيه أنه كان أجود الشعراء فيما طرقه من الأغراض ، وما ابتدعه من المعانى .

وكان الأصمعى يزعم أن كثيراً من شعر امرئ القيس كان للصعاليك الذين انضووا إلى كنفه ، وكان يغير بهم على بعض أحياء العرب . وكذلك زعم الرياشى وقال : إنّ كثيراً من هذا الشعر كان لأولئك الفتيان الذين صحبوا امرأ القيس ، مثل عمرو بن قميئة وغيره . وكذلك زعم غيرهما .

أقول : وليس فى هذا مايطعن فى شاعرية امرئ القيس ، ولا فى تفوّقه على الشعراء جميعا ، ولا فى حمله لواءهم ، ولا فى أنه المقدم عليهم .

ومن الغريب أنّ ما قيل فى انتحال امرئ القيس لأشعار غيره ، أو ما أضافه الرواة من أشعار من كانوا بصحبته من الفتيان والصعاليك ، قد قيل مثله فى أشعار هوميروس شاعر اليونان الأكبر ، فقد قال رواة شعره إنّ كثيراً ممـا فيه ليس له ، وإنمـا هو لغيره من الشعراء الذين أخملهم

بفائق شهرته وبعد صيته على أنه من المعلوم أن هوميروس كان أعمى ، وكان يتنقل من مدينة إلى مدينة منشداً أشعاره التى وصف فيها حروب تروادة وما قام به أبطال تلك الحروب من ضروب الفروسية ، وذلك كله فى الإلياذة . كما كان ينشد أشعاره التى تضمنتها الأوديسة . وكان هوميروس فيما يرجح من القرن العاشر قبل الميلاد . فبينه وبين شاعرنا امرئ القيس حوالى خمسة عشر قرنا .

وقد رأيت أنه من اللائق التنويه بما قام به بعض المستشرقين من العناية بكنوز اللغة العربية ، والالتفات بجد إلى ما خلفه الشعراء الجاهليون من آثار ، وما دون لهم من أشعار . وهنا يهمنا ما لهم من عناية بصاحبنا امرئ القيس وبعض زملائه . وإليك ما وقفنا عليه من آثار تلك العناية . فقد نشروا بالطبع :

١ — المعلقات السبع . ومعها ترجمتها بالإنجليزية ، بعناية السير وليم جونس . لندن سنة ١٧٨٢

٢ — معلقة امرئ القيس ـ مع شرحها للزوزنى ـ مترجمة إلى اللاتينية . بعناية تدغو تور من سنة ١٨٢٣ - ١٨٢٤

٣ — مختار من شعر امرئ القيس . ومعه ترجمته وأخباره . باريس سنة ١٨٣٦

٤ — نزهة ذوى الكيس وتحفة الأدباء ، فى قصائد امرئ القيس أشعر الشعراء . ومعها أخبار الشاعر نقلا عن الأغانى ؛ وقد ترجمت هذه القصائد إلى الفرنسية ، مع تعليقات قيمة للمستشرق الشهير البارون دى سيلان . باريس سنة ١٨٣٧

٥ — المعلقات السبع . مع ذكر رواتها وأنساب قائليها . وملحق بها لامية العرب للشنفرى . بعناية الأستاذ أرنولد . ليبسيك سنة ١٨٥٠

٦ — معلقة امرئ القيس . ومعها شرح لها وتعليقات باللغة الألمانية للأستاذ أغسطس ملر . هاليس سنة ١٨٦٣

٧ — معلقة امرئ القيس . مترجمة إلى الروسية ، وعليها تعليقات وملاحظات للأستاذ جرجس مرقص . بطرسبرج سنة ١٨٨٩ .

٨ — المعلقات السبع . مترجمة إلى اللغة الألمانيـــة ، مع شروح وملاحظات : للأستاذ إيبل الجرمانى . برلين سنة ١٨٩١

وعلى ذكر المعلقات لا بأس من أن أورد هنا أسماء أصحابها مرتبة على التواريخ التى قدرت لوفاتهم بحسب التاريخ الميلادى . ولما كان التبريزى قد أضاف إليها ثلاثة فجعل أصحاب المعلقات عشرة رأيت أن أضمهم إليهم ، وهم جميعا :

امرؤ القيس	سنة	٥٤٠
عبيد بن الأبرص	«	٥٥٥
طرفة بن العبد	«	٥٦٤
الحارث بن حلزة	«	٥٨٠
النابغة الذبيانى	«	٦٠٤
عنترة بن شداد	«	٦١٥
عمرو بن كلثوم	«	٦٢٢ — ١ هـ
زهير بن أبى سلمى	«	٦٢٧ — ٦ هـ
الأعشى الأكبر	«	٦٢٩ — ٨ هـ
لبيد بن ربيعة	«	٦٦٢ — ٤٢ هـ

مع العلم بأن تقدير هذه السنين الإفرنجية إنما ذهب إليه بعض المستشرقين من الأوربيين . ولا أظنه صحيحا على الجملة .

وإلى هنا انتهيت من الحديث عن حياة امرئ القيس وبحث شؤونه وأحواله . وبهذا أرى أنى قد قمت نحو لغتى العربية بما يفرضه علىّ الواجب الأدبى ، كما قمت بهذا الواجب نحو وطنيتى المصرية بما قدمت فى هذه الطبعة الثالثة من بحوث وشروح وإضافات وتعليقات بذلت فيها من الجهد ما الله أعلم به . وبهذا قد صارت هذه الطبعة فيما أظن ملء عين الأديب ، وأمنية كل أريب . والله تعالى يتولانا بما نستحق من جزاء المحسنين . فإن قيمة كل امرئ ما يحسن . والله لا يضيع أجر المحسنين . والسلام ؟

حسن السندوبي

فصل

فى عبث الرواة بالشعر الجاهلى

قبل امرئ القيس وأصحابه بقرون عدة

لما كان امرؤ القيس قد حاز صفة التقدم المطلق على جميع الشعراء، واختص من بينهم بحمل لوائهم ، رأيت أن أعرض فى هذا الفصل لما رواه بعض الرواة من شعر نسبوه إلى أشخاص إما خيالية ، وإما حقيقية .

فمما لا جدال فيه أن العرب فى أدهارهم القديمة قد عبروا عن خلجات نفوسهم بالشعر ، كما وصفوا أحداثهم الكبرى بإنشاد القصائد فى محافلهم . غير أن هذا الشعر لم يدوّن لأنهم كانوا أميين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة ، اللهم إلا ما كان يتمتع به اليمنيون من أهل الجنوب بالخط المعروف بالمسند ، وقد اكتشفت منه لوحات كثيرة دلت على مدنية ثقافية جيدة لم تؤثر عن عرب الشمال إلا فى بعض الأطراف من الجزيرة . مع العلم بأن اللسان الجنوبى كان يخالف اللسان الشمالى ، فلغة حمير غير لغة قريش وغيرهم من القبائل الضاربة فى صحارى نجد وتهامة وما يليهما من منازل الشعوب غير اليمنية . ولكن الزمن وتقلبات الأحوال واختلاط القبائل بالأحداث والحروب وتبادل المتاجر والمنازعات على شؤون الحياة ، كل هذه العوامل قد أثرت فى اللغة العربية فتداخلت الألسن وتوحدت اللغة إلى حدّ ما ، على أن ذلك لم يحدث إلا فى خلال قرون لا يمكن تقديرها .

مع العلم بأن اللغة العربية الفصحى لم تتكون باتحاد اللهجات القحطانية والعدنانية فحسب . بل إنها خضعت لسنن التطور فتناولت الكثير من اللغات

السامية الأخرى كالإرمية . والكلدانية ، والأشورية ، والفينيقية ، والعبرية ، والأدومية ، والنبطية ، والسريانية ، والبابلية ، والحبشية الإثيوبية ، والأمهرية لا بل ودخل فيها من اللغات الآرية مالا خفاء به . كالفارسية والفهلوية ، واليونانية واللاتينية . وصقل الزمن كل ذلك فى بودقة التحول والتركيز لأن كل الأمم أصحاب هذه اللغات كانت تربطهم بجزيرة العرب روابط عدة من الإغارات والفتوح والاعتراك على التسلط عليها . وأهم من هذا كله التجارة وتبادل السلع مع الممالك المحيطة بأطراف الجزيرة ، والمحافظة على طرقها ومسالكها لتربط جنوبها بشمالها ، وشرقها بغربها . ولا أكون مبالغا إذا قلت إنه دخل فى اللغة العربية الكثير من العبارات المصرية القديمة التى كانت لغة هاجر أم إسماعيل وقد اتضح ذلك كله فى هذه العصور المتأخرة عند ماكشف الباحثون والمنقبون من علماء أوربا عن آثار هذه الأمم واستثاروا دفائنها ، ولم يفطن لذلك المتقدمون ، بل أخذوا كلما رأوا كلمة عربية قالوا عنها : عجمية معربة .

هذا وقد زعم بعض الرواة أن الشاعر قبل امرئ القيس كان يقول البيت والبيتين فيما يعرض له من شأن . وهذا غير صحيح فقد ثبت أن كثيرا منهم كان ينشد القصيدة ذات الأبيات العديدة . وقد روى لنا ابن منبه فى كتاب التيجان قصائد مستطيلة نسبها لكثير من شعراء اليمن الأقدمين . وكذلك الهمدانى فى كتاب الإكليل قد روى لنا شعرًا كثيرا لأهل الجنوب وإن كنت أرى أن النسخ والمسخ ـ لعدم ضبط اللغة وإقرار قواعدها فى تلك العصور ـ قد أثر كثيراً فى رواية تلك الأشعار . فهى لم ترو لنا على ما نطق به أصحابها فيما أرى .

أما عرب الشمال فقد رويت لنا أشعارهم على ضروب عدة من خلافات

ق المعانى وتنوعات فى الألفاظ ، ولـكل راوية رأى فيما يروى ، وحجاج فيما يعرض . وكل هذا قد حملته اللغة حينما دونت واستتب للكتابة قواعدها واستقام أمرها على الأصول النحوية والصرفية التى ابتدعوها وأحسنوا فيهـا الابتداع .

لـكن ذلك لم يخل بعض الرواة من التلهى بالدعاوى العريضة فى نسبة بعض الأشعار إلى أشخاص يقف العقل حائلا دون إقرارها ، أو الاعتداد بهـا . ولـكنهم كانوا يتبارون فى مسامراتهم الغبر ، فى الليالى الزهر ، على الكثبان العفر . وفى مجالس الخلفاء . فى التفوق بخصب القرائح ، والمكاثرة بالتلقى والحفظ . فترى بعضهم يروى أن آدم رثى ولده هابيل حينما قتله أخوه قابيل ، بقوله :

تغيرت البلاد ومن عليها — فوجه الأرض مغبرٌ قبيح
تغـير كل ذى لون وطعم — وقل بشاشة الوجه الصبيح
فوا أسـفا على هابيل ابنى — قتيل قد تضمنه الضريح
أهابل إن قتلت فإن قلبى — عليك اليوم مكتئب قريح

ولم يقف هؤلاء الرواة عند هذا العبث بأدب التاريخ بل تجاوزوه إلى الزعم بأن إبليس أجاب آدم على أبياته بقوله :

تنح عن الجنان وساكنيها — ففى الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بهـا وزوجك فى رخاء — وقلبك من أذى الدنيا مريح
فمـا برحت مكايدتى ومكرى — إلى أن فاتك الثمن الربيح
ولولا رحمة الرحمن أمسى — بكفك من جنان الخلد ريح

على أنهم لم يكتفوا بهذا الإفك الطريف ، بل زعموا أن بعض الملائكة

قال مجيباً لهما :

لِدُوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى الذهاب

وبعضهم يروى هذا البيت على لسان الغربان . ولا أنكر على واضع هذه الأبيات براعته فى تمثيل قصة آدم وإبليس . فإنهما لو قالا شعراً لما كاد يخرج عما اخترعه هذا الراوى .

وزعموا أن العمالقة الذين منهم الهكسوس الذين أغاروا على مصر فى الأزمنة القديمة واستقروا بها زمناً ، وعاد وثمود ، قد قالت الشعر . ولا مانع من أن ينطق شعراؤهم بالشعر ، ولكن ما روى لهم لا يقبله عقل عاقل ، لأن الذى روى لهم جاء شعراً حسناً يصيح بنسبته للتوليد والاختراع . فمن ذلك ما زعموه من أن معاوية بن بكر ـ وكان سيد العمالقة ـ وكانت عاد قد بعثت إليه : قَيل بن عتر ولقمان بن عاد ، فى وفد معهما ليستسقوا لهم حين منعوا الغيث . وكان معاوية هذا من أصحاب هود . فقال :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى أرض عاد إن عاداً قد أضحوا ما يبينون الكلاما
من العطش الشديد بأرض عاد فقد أمست نساؤُهمُ أيامى
وإن الوحش تأتيهم جهارا فما تخشى لعادىّ سهاما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

كما قال مرثد بن سعد ـ وكان من أصحاب هود ، ومن الوفد :

عصت عاد رسولهم فأمسوا عطاشا ما تبلهم السماء
وسير وفدهم من بعد شهر فأردفهم مع العطش العماء
بكفرهم بربهم جهارا على آثار عادهم العفاء

ومن ذلك قولهم أن مبدع بن هرم ـ وكان من أصحاب صالح ـ قال فى حادث ثمود وشأن الناقة وفصيلها :

ولاذ بصخرة من رأس رضوى بأعلى الشعب من شعف منيف
فلاذ بها لكيلا يعقروه وفى تلواذه مر الحتوف
بأسهم مصدع شلت يداه تشق شحافه شق الخنيف
ثكلتم أمه وعقرتموه ولم ينظر به لهف اللهيف

وقول مبدع حينما أخذت الصيحة ثمود فتركتهم كأعجاز نخل منقعر :

فكانت صيحة لم تبق شيئاً بوادى الحجر وانتسفت رياحا
تخر لصوتها أجبال رضوى وخربت الأشاقر والصفاحا
وأدركت الوحوش فكنفتها ولم تترك لطائرها جناحا
ونجى صالح فى مؤمنيه وطحطح كل عادى فطاحا

ولم يقف بهم العبث والإفك عند هذا الحد، بل تجاوزوا به إلى نسبة الشعر إلى الجن، وتقوله على ألسنتهم. فقد زعم بعضهم أنه لقى أحد الجان فقال له : أتروى من أشعار العرب شيئاً ؟ قال : نعم، أروى وأقول قولا فائقا مبرزاً فقال له : فأرنى من قولك ما أحببت ؟ فأنشأ يقول :

طاف الخيال علينا ليلة الوادى من آل سلمى ولم يلمم بميعاد
أنّى اهتديت إلى من طال ليلهم فى سبسب ذات دكداك وأعقاد
يكلفون فلاها كل يعملة مثل المهاة إذا ما حثها الحادى
أبلغ أبا كرب عنى وأسرته قولا سيذهب غورا بعد إنجاد
لأعرفنك بعد اليوم تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى
أما حمامك يوما أنت مدركه لا حاضر مفلت منه ولا بادى

فلما فرغ من إنشاده قال له : هـذا الشعر مشهور لعبيد بن الأبرص الأَسدى فقال : ومن عبيد لولا هبيد ؟ فقال له : ومن هبيد ؟ فقال :

أَنا ابن الصلادم أَدعى الهبيد حبوت القوافى قرمى أَسد
عبيـدا حبوت بمـأثورة وأَنطقت بشرا على غير كد
ولاقى بمدرك رهط الكميت ملاذا عزيزا ومجدا وجد
منحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هذا معد

كما زعموا أَن عمر بن الخطاب سأل سواد بن قارب أَن يحدثه بحديث كان يشتهى أن يسمعه منه ، فقال : نعم يا أَمير المؤمنين ، بينما أَنا فى إبلى بالسراة وكان لى نجى من الجن ، إذ جاءنى فى ليلة وأَنا كالنائم فركضنى برجله ثم قال : قم ياسواد فقد ظهر بتهامة نبى يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ! فقلت : تنح عنى فإنى ناعس . فولى عنى وهو يقول :

عجبت للجن وتبكارها وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأَحجارها

ثم جاءنى فى الليلة الثانية ، فقلت : تنح عنى فإنى ناعس . فولى عنى وهو يقول :

عجبت للجن وتطرابها ورحلها العيس بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قداماها كأذنابها

وفى الليلة الثالثة جاءنى ، ثم ولى عنى وهو يقول :

عجبت للجن وإيجاسها وشدها العيس بأحلاسها

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأرجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

قال : فلما أصبحت يا أمير المؤمنين اقتعدت ناقتى وجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبايعت وأنشدته :

أتانى نجيى بعـد هدء ورقدة ولم يك فيما قد عهدت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليـلة أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت عن ذيلى الإزار وأرقلت بى الذعلب الوجناء عبر السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسـلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنى بما أحببت يا خير مرسل وإن كان فيما قلت شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

وهذه القصة وإن رجحها بعض المحدثين إلا أنى لا أوافق منها إلا على الشعر الأخير الذى روى أن سوادا أنشده لنفسه ، فهذا لا بأس به وإن كان فيه نظر وأرى أن القصة كلها لا أصل لها . وإذا كان للجن يد فى إسلام الناس فلم اقتصروا على البعض دون البعض .

ومن الطريف أنهم اختلقوا لبعض الشعراء إخوانا من الجن يوحون إليهم بقول الشعر ، وذكروا لهم أسماء غريبة فزعموا أن امرأ القيس كان شيطانه يسمى : لافظ بن لاحظ ، وآخر يسمى : مسحل السكران بن جندل . وكان شيطان عبيد بن الأبرص يسمى : هبيد بن الصلادم . وشركه فيه بشر بن خازم . وكان شيطان النابغة الذبيانى يسمى : هاذر . والأعشى له : مسحل . وللكميت : مدرك ابن واغم . وذلك مما ابتدعه خيال بعض الرواة الخصيب .

ولم نكتب هذا الفصل إلا لما رأينا فيه من التفكهة للقارئ ، وأنه لا بأس من تقدمته على الشروع فى شرح شعر امرئ القيس تنشيطا للنفس وجماما لها من عوامل الكد ، لتقبل بعد ذلك على الجد . والله أعلم .

شرح

ديوان امرئ القيس

للسندوبي

قافية الهمزة

١

قال امرؤ القيس يصف خيلا :

سَالَتْ بِهِنَّ نَطَاعِ فِى رَأْدِ الضُّحَى ... والْأَمْعَزَانِ وسَالَتِ الْأَوْدَاءُ (١)

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَشِيَّةً ... بِالدَّارِعِينَ كَأَنَّهُنَّ ظِبَاءُ (٢)

يقول حسن بن أحمد بن محمد السندوبى صانع هذا الديوان وشارحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى .

وبعد ؛ فهذه تعليقات وشروح على شعر « امرئ القيس » الذى صنعت منه ديوانا له حاولت بها توضيح مقاصده وإبانة أغراضه التى ذهب إليها ، وقربت معانيه التى قصد نحوها ، وأرجو أن أكون أصبت الهدف ووفقت بقدر الإمكان إلى السداد ، والله ولى التوفيق .

(١) نطاع : قال أبو منصور : ماءة فى بلاد بنى تميم ، وقد وردتها ، وهى ركية عذبة الماء غزيرته . وهى مبنية على الكسر ، غير أن ربيعة بن مقروم أعربها فى قوله :

وأقرب منهل من حيث راحا ... أثال أو غمازة أو نطاع

فأوردها ولون الليل داج ... وما لغبا وفى الفجر انصداع

فصبح من بنى جلان صلا ... عطيفته وأسهمه المقاع

إذا لم تختزن لبنيك لحما ... غريضا من هوادى الوحش جاعوا

وقال الحفصى : نطاع - بكسر النون - واد لبنى مالك بن سعد بين البحرين والبصرة . والأمعزان مثنى الأمعز : وهو المكان الصلب . والأوداء : الأماكن المعوجة من الأود .

(٢) الدارعون : الفرسان الذين أسبغوا عليهم الدروع ، واستلأموا فى السلاح .

قافية البـــاء

٢

عن الأصمعي : أن امرأ القيس تزوج امرأة من طيئ تسمى أم جندب. فلما بات عندها لم تحمده ففركته . فلما كان فى بعض الليل قامت وقالت : أصبحت يا خير الفتيان فقم . فإذا الليل لم يذهب منه إلا أقله فقال لها : ما حملك على ما فعلت ؟ فسكتت فألح عليها فقالت : كرهتك لانك ثقيل الصدر ، خفيف العجز ، سريع الإراقة ، بطيء الإفاقة .

ونزل به علقمة بن عبدة [1] فتذاكرا الشعر وادعاه كل واحد منهما على صاحبه ، فقال له علقمة : قل شعراً تمدح فيه فرسك والصيد ؛ وأقول مثله ؛ وهذه الحكم بيني وبينك - يعنى أم جندب - فقال امرؤ القيس :

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أمِّ جُنْدَبِ ... لِتُقْضَى لُبانَاتُ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ [2]

فَإنكُمَا إنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً ... مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لدى أُمِّ جُنْدَبِ [3]

أَلَمْ تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً ... وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وإن لَمْ تَطَيَّبِ [4]

---

(١) علقمة بن عبدة الشاعر المشهور ، وهو المعروف بعلقمة الفحل . وله ترجمة فى « الأغانى » وغيره من الكتب . قيل إنه توفى سنة ٦٢٥ م ، ٤ هـ

(٢) اللبانات : حاجات النفس ومطالبها وأمانيها ؛ لتقضى ؛ وفى رواية : لنقض . وفى أخرى : لنقضى حاجات ؛ وفى أخرى : نقض يريد نبلغ الغاية منها ؛ وأم جندب : هى زوجته الطائية .

(٣) تنظرانى : تنتظرانى وتفسحا لى فى النظرة .

(٤) الطارق : الذى يأتى ليلا ، يريد أنه وجدها طيبة ريح الجسد من غير طيب . ولهذا البيت حكاية لطيفة هى أن كثير عزة دخل على سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت له : يابن أبى جمعة أخبرنى عن قولك فى عزة .

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

عَقِيلَةُ أَتْرابٍ لَهَا لَا دَمِيمَةٌ ولاذاتُ خَلْقٍ إنْ تَأَمَّلْتَ جَانِبِ (١)
أَلا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَادِثُ وَصْلِهَا وكَيْفَ تُرَاعِي وُصْلَةَ الْمُتَغَيِّبِ (٢)
أَقَامَتْ عَلَى مَا بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ أُمَيْمَةُ أَمْ صَارَتْ لِقَوْلِ الْمُخَبِّبِ (٣)
فَإِنْ تَنْأَ عَنْها حِقْبةً لَا تُلَاقِهَا فَإِنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ بِالْمُجَرِّبِ (٤)
تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ سَوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمَى شَعَبْعَبِ (٥)

= ويحك ، وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين توقد بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس ؟ :

ألم ترياني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب !

(١) عقيلة أتراب ، ويروى : عقيلة أخدان والعقيلة : الكريمة المخدرة ، والأتراب اللدات ، وهم الذين يولدون فى وقت واحد . يقال : فلان لدة فلان . لا دميمة : لاشوهاء الخلق ، ولا قصيرة قميئة حقيرة . الجانب : القصير اللحيم .

(٢) ليت شعرى : ليتنى كنت أدرى ، يتمنى أن يعلم من حالها مايطمئنه على رعايتها للعهد أو هى من الناكثات للعهود ؛ المتغيب : الزوج الغائب عن زوجه .

(٣) فى رواية : أدامت على ما بيننا من نصيحة . والمعنى غير متباعد بين العبارتين . المخبب : المفسد يقول: ليتنى أدرى هل هى لاتزال على وفائها وتمسكها بما بيننا من مودة أم أفسد ودها أهل الخب والخداع ! والظاهر أن (أميمة) هو اسم أم جندب .

(٤) تنأ : تبعد . حقبة : برهة من الزمن . والحقبة غير موقوتة . المجرب : الذى عرف من تقلب الأحوال وتنقل الأمور مالم يعلمه الغر الجاهل .

(٥) فيها الظعائن جمع ظعينة ، وهى ماتركبه المرأة من صنوف المطايا أو هى الهوادج فيها النساء ، وتطلق الظعينة على المرأة نفسها من طريق الاستعارة . سوالك نقبا ، ويروى : سلكن ضحيا . والسوالك : الإبل تسلك فى سيرها فجاج الأرض . والنقب : الطريق فى الجبل حزمى شعبعب : شعبعب ماء باليمامة لبنى قشير : وقد نوه به الصمة بن عبدالله القشيرى أيام كان بالسند فقال :

يا صاحبىّ أطال الله رشدكما عوجا علىّ صدور الأبغل السنن
ثم ارفعا الطرف هل تبدو لناظعن بحائل ياعناء النفس من ظعن
أحبب بهن لو ان الدار جامعة وبالبلاد التى يسكن من وطن

عَلَوْنَ بِأَنْطاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ كَجِرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةِ يَثْرِبِ (١)

فَلِلّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشَتَّ وَأَنْأَى مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ (٢)

فَرِيقَانِ مِنْهُمْ جَازِعٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ قَاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ (٣)

فَعَيْنَاكَ غَرْبَا جَدْوَلٍ فِى مُفَاضَةٍ كَمَرِّ الْخَلِيجِ فِى صَفِيحِ الْمُصَوَّبِ (٤)

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ (٥)

= طوالع الخيل من تبراك مصعدة كما تتابع قيدام من السفن
ياليت شعرى والأقدار غالبة والعين تذرف أحيانا من الحزن
هل أجعان يدى للخد مرفقة على شعبعب بين الحوض والعطن

(١) علون بأنطاكية : رفعن وغطين بثياب مما ينسج بأنطاكية . وهى مدينة مشهورة من مدن الشام . والعقمة : ضرب من الوشى . والجرمة : ماصرم من البسر وألقى بالأرض . وجنة يثرب : بستان المدينة ، أى كمدينة يثرب حين تلوح كأنها الجنة والجنة فى عرف العرب البستان من النخيل .

(٢) أشت وأنأى : أكثر تفرق وأبعد : المحصب : المكان الذى ترمى فيه الجمار بمنى

(٣) فريقان . ويروى : غداة عدوا فسالك بطن نخلة . الجازع : القاطع . بطن نخلة : مكان كان به بستان ابن معمر . وهو عبيدالله بن معمر التيمى القرشى ، وكان من أبطال الرجال وسروات قريش ، وكان له بلاء حسن فى حروب الخوارج . ونجد كبكب : المرتفع من الجبل الأحمر الذى يستدبره الواقفون بعرفات .

(٤) فعيناك غرباجدول . شبه مايسيل من عينيه من الدموع بمايسيل من الغرب وهى الدلو العظيمة من الماء وهذا من باب المبالغة . وثنى الغرب لتثنية العينين . والجدول : النهير . والمفاضة : الأرض ذات السعة والخليج : الماء المتخالج من النهر ، وهو الذى تعترضه العقبات فى سيره فيتياسر مرة ويتيامن أخرى . والصفيح : العريض من الحجارة . والمصوب . المنحدر . ويروى . كمر خليج فى صفيح منصب . ويروى : كمر السبيح فى خاليج المثقب .

(٥) ويروى : كعاجز ضعيف . يقول : إن الضعيف العاجز يفاخرك بما ليس فيه من فخر ويغالبك بما يعلم أنه به مغلوب . وإذا تمكن منك لم يبق عليك ، لأنه ليس له من الأصالة وكريم الشيم مايمنعه من أن يذهب فى التنكيل بك متى قدر إلى الحد الأقصى .

وَمَرْقَبَةٍ لا يُرْفَعُ الصوتُ عِنْدَهَا   مَضَمِّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ (١)

غَزَرْتُ عَلَى أَهْوَالِ أَرْضٍ أَخافُها   بِجَانِبِ مَنْفُوجٍ مِنَ الْحَشْوِ شَرْحَبِ (٢)

وَدَوِّيَّةٍ لَا يُهْتَدَى لِفَلاتِهَا   بِعِرْفَانِ أَعْلَامٍ وَلَا ضَوْءِ كَوْكَبِ (٣)

تَلَافَيْتُهَا وَالْبُومُ يَدْعُو بِهَا الصَّدَى   وَقَدْ أُلْبِسَتْ أَقْرَاطُهَا ثِنْيَ غَيْهَبِ (٤)

بِمُجْفَرَةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا   عَلَى أَبْلَقِ الْكَشْحَيْنِ لَيْسَ بِمُغْرَبِ (٥)

يُغَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِى كُلِّ سُدْفَةٍ   تَغَرُّدَ مَيَّاحِ النَّدَامَى الْمُطَرِّبِ (٦)

أَقَبَّ رَبَاعٍ مِنْ حَمِيرِ عَمَايَةٍ   يَمُجُّ لُعَاعَ الْبَقْلِ فِى كُلِّ مَشْرَبِ (٧)

---

(١) المرقبة : المكان الرفيع الذى يعلوه الناظور وهو الديدبان لاستكشاف العدو . مضم جيوش : يعنى أنه تمر به الجيوش الظافرة الغانمة ، والجيوش المهزمة الخائبة .

(٢) غزرت : كثرت . وأظنها مصحفة من غزوت من الغزو ، لأن غزرت بمعنى كثرت غير مستساغة فى ذوقى والمقام يستدعى الغزو لمكان الفخر . منفرج : بارز مرتفع . شرحب ، طويل . يريد به الفرس .

(٣) الدوية : الفلاة المقفرة التى تردد فيها الأصوات والتى لا أعلام لها ، وراكبها يضل فيها .

(٤) تلافيتها : قطعتها . الغيهب : الظلام الحالك ، فكأن الليل قد ثنى عليها أرديته

(٥) بمجفرة حرف ، ويروى : بأدماء حرجوج . والمجفرة : الناقة العظيمة الجفرة ، يعنى البطن . والحرف الشديدة الصلبة . والقتود : أداة الرحل . على أبلق الكشحين : على حمار وحشى أبيض الخاصرة ، والمغرب : الذى أبيضت أشفاره وحماليقه . يشبه ناقته بهذا الحمار الوحشى .

(٦) ثم استمر فى وصف الحمار الذى يشبه الناقة به فقال ، يغرد بالأسحار : يطرب بصوته وقت السحر ، كما يغرد فى كل سدفة ، والسدفة القطعة فى الليل . ويروى : فى كل مرقب . والمياح : المياس ، وهو الذى يتصنع فى تغريده وتطريبه . والندامى : الفتيان المتنادمون على الشراب .

(٧) الأقب : الضامر البطن . الرباع : فتى السن . عماية : هو جبل بالبحرين فر إليه =

بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا　　مَجَرِّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ (١)

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الشُّرُوعِ بِسَابِحٍ　　أَقَبَّ كَيَعْفُورِ الفَلَاةِ مُجَنَّبِ (٢)

بِذِي مَيْعَةٍ كَأَنَّ أَدْنَى سِقَاطِهِ　　وَتَقْرِيبِهِ هَوْناً دَآلِيلُ ثَعْلَبِ (٣)

عَظِيمٍ طَوِيلٍ مُطْمَئِنٍّ كَأَنَّهُ　　بِأَسْفَلِ ذِي مَاوَانَ سَرْحَةُ مَرْقَبِ (٤)

= القتال الكلابى لجناية جناها وأقام به دهرا وأنس به هناك نمر، فكان إذا اصطاد شيئا شركه النمر فيه، وإذا اصطاد النمر شيئا شركه القتال فيه. فلما صلح أمره مع السلطان أراد الرجوع إلى أهله فعارضه النمر ومنعه مفارقته حتى هم بأكله: فضربه بسهم فقتله وقال:

وفى ساحة العنقاء أو فى عماية　　أو الادمى من رهبة الموت موئل

ولى صاحب فى العار هدك صاحبا　　أبو الجون إلا أنه لا يعلل

إذا ما التقينا كان أنس حديثنا　　سكوت وطرف كالمعابل أطحل

كلانا عدو لو يرى فى عدوه　　مهزا، وكل فى العداوة مجمل

وكانت لنا قلت بأرض مضلة　　شريعتها لأينا جاء أول

يمج لعاع البقل: يرمى خضرة البقل الذى يأكله فى الماء الذى يشربه.

(١) بمحنية: بمنحنى واد خصيب. الضال شجر عظام يريد أن هذا الوادى قد كثر خصبه حتى ساوى نبته شجره.

(٢) أغتدى: أخرج فى غدوة النهار. بسابح أقب. بفرس ضامر البطن. اليعفور: حمار الوحش؛ المجنب: الفرس معه جنيب، أى مشدود إليه فرس آخر أو هو مجنوب إلى ناقته

(٣) بذى ميعة: الميعة أول الشباب: أى أنه خفيف مرح. أدنى سقاطه: أقل اندفاعه فى السير. والتقريب: ضرب من السير هين. هونا: لينا. دآليل ثعلب: مشية ثعلب، لأن الثعلب يدأل فى مشيته دألانا، وهو عدو متقارب.

(٤) ذو ماوان: قال ابن السكيت: هو واد فيه ماء بين النقرة والربذة. وكانت فيه منازل عبس فيما بين أبانين والنقرة وماوان والربذة، وفيه يقول عروة بن الورد العبسى

وقلت لقوم فى الكنيف تروحوا　　عشية بتنا دون ماوان مرزح

تنالوا الغنى أو تبلغوا بنفوسكم　　إلى مستراح من حمام مبرح =

يُبَارِى إنْخِنُوفَ المُسْتَقِلَّ زِمَاعُهُ ... تَرَى شَخْصَهُ كَأَنَّهُ عودُ مِشْجَبِ (١)

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَصَهْوَةُ عَيْرٍ قَائِمٍ فوْقَ مَرْقَبِ (٢)

كَثِيرُ سَوَادِ اللَّحْمِ مَا دَامَ بَادِناً ... وفى الضّمْرِ مَمْشُوقُ القَوَائِمِ شوْذَبِ (٣)

لَهُ جُؤْجُؤٌ حَشْرٌ كأَنَّ لِجَامَهُ ... يُعَالَى بِهِ فى رَأْسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ (٤)

وعَيْنَانِ كَالمَاوِيَّتَيْنِ وَمَحْجِرٌ ... إلَى سَنَدٍ مِثْلِ الصَّفِيحِ المُنَصَّبِ (٥)

وَيَخْطو عَلَى صُمٍّ صِلَابٍ كأَنَّهَا ... حِجَارَةُ غَيْلٍ وَارِسَاتٌ بِطُحْلُبِ (٦)

لَهُ كَفَلٌ كَالدِّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدى ... إلَى حَارِكٍ مِثْلِ الغَبِيطِ المذَأَّبِ (٧)

= ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا ... من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

(١) الخنوف : الفرس يخنف بيديه فى السير ، يرمى بهما ، ليتسع خطاه ، المستقل المرتفع ، زماعه : جمع زمعة ، وهى الشعرات خلف ألية الفرس المشجب : عود تنشر عليه الثياب .

(٢) أيطلا ظبي ، مثنى أيطل : الخاصرة . وصهوة عير : ظهر حمار وحشى . قائم منتصب .

(٣) البادن . السمين الممتلئ الجسم . ممشوق القوائم : مستوى الأرجل . شوذب : طويل حسن الخلق .

(٤) الجؤجؤ : الصدر . والحشر : اللطيف . يعالى : يركب . مشذب : منزوع عنه شوكه وسعفه .

(٥) الماويتان ، مثنى ماوية : وهى المرآة المجلوة . المحجر : نقرة العين . الصفيح المنصب : الواح الحجارة القائمة الثابتة فى مكانها .

(٦) الصم الصلاب : يريد بها حوافره ، يصفها بالصلابة كأنها الصخور الصماء . الغيل : الماء الجارى على الحجارة . الوارسات : المصفرات من الطحلب ، وقد لونها كلون الورس .

(٧) الدعص : الكثيب الصغير من الرمل ، يريد أنه مرتفع الكفل . لبده الندى : جعله الندى متلبدا متماسكا . الحارك : العجز . الغبيط : القتب . المذأب : المتسع =

وَمُسْتَفْلِكُ الذِّفْرَى كَأَنَّ عِنَانَهُ   وَمَثْنَاتَهُ فِى رَأْسِ جِذْعٍ مُشَذَّبِ (١)
وَأَسْحَمُ رَيَّانُ العَسِيبِ كَأَنَّهُ   عَثَاكِيلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ (٢)
وَبَهْوٌ هَوَاءٌ تَحْتَ صُلْبٍ كَأَنَّهُ   مِنَ الهَضْبَةِ الخَلْقَاءِ زُحْلُوقُ مَلْعَبِ (٣)
يُدِيرُ قَطَاةً كَالمَحَالَةِ أُشْرِفَتْ   إِلَى سَنَدٍ مِثْلِ الغَبِيطِ المُذَأَّبِ (٤)
إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ   تَقُولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثْأَبِ (٥)
إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا   تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَّيْدُ نَحْطِبِ (٦)
فَيَوْمًا عَلَى سِرْبٍ نَقِيٍّ جُلُودُهُ   وَيَوْمًا عَلَى بَيْدَانَةٍ أُمِّ تَوْلَبِ (٧)

= ويروى البيت :

له حارك كالدعص لبده الندى   إلى كاهل مثل الرتاج المضبب

(١) مستفلك الذفرى : يريد أن ذفرييه كالفلكة فى الصغر والذفريان : العظمان الناتئان خلف الأذن، يريد كأن عنانه فى رأس غصن مشذب، وذلك لطول عنقه واستوائه .

(٢) الأسحم : الأسود . ريان العسيب: ممتلئ الذنب. العثاكيل : الشماريخ . القنو : العنقود . سميحة بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء عليها نخل ، ذكرها كثير فقال :

كأن دموع العين لما تخللت   مخارم بيضا من تمنى جمالها
قبلان غروبا من سميحة أنزعت   بهن السوانى واستدار محالها

(٣) وبهو هواء : وجوف واسع . صلب : يريد به فقار الظهر . الخلقاء : الملساء . الزحلوق : آثار تزلج الصبيان . ويقال لها : الزحلوف أيضا

(٤) القطاة : مقعد الردف. المحالة: البكرة العظيمة. أشرفت : مشرف مرتفع . والغبيط : قتب الهودج . ومذأب . له ذئب ، جمع ذئبة وهى الفروج .

(٥) الشأوان ، مثنى شأو : وهو الطلق السريع . ابتل عطفه : سال عرقه على جانبيه . هزيز الريح : صوتها . الأثأب : شجر .

(٦) نحطب : نجمع الحطب للشواء والطبخ .

(٧) السرب : القطيع من بقر الوحش. نقى جلوده : يريد بيض الجلود . البيدانة: الأتان الوحشية المكتنزة الجسم . والتولب : الجحش .

وَيَخْضِدُ فى الآرِىِّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... بِهِ عُرَّةٌ أَوْ طَائِفٌ غَيْرُ مُعْقِبِ (١)

خَرَجْنَا نُرِيغُ الْوَحْشَ حَوْلَ ثُعَالَةٍ ... وَبَيْنَ رُحَيَّاتٍ إِلَى فَجِّ أَخْرُبِ (٢)

فَآنَسْتُ سِرْبًا مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ ... رَوَاهِبُ عِيدٍ فى مُلَاءٍ مُهَدَّبِ (٣)

فَكَانَ تَنَادِينَا وَعَقْدُ عِذَارِهِ ... وَقَالَ صِحَابِى قَدْ شَأَوْنَكَ فَاطْلُبِ (٤)

فَلَأْيًا بِلَأْيٍ مَا حَمَلْنَا غُلَامَنَا ... عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ مُحَنَّبِ (٥)

فَقَفَّى عَلَى آثَارِهِنَّ بِحَاصِبٍ ... وَغَبْيَةِ شُؤْبُوبٍ مِنَ الشَّدِّ مُلْهَبِ (٦)

وَوَلَّى كَشُؤْبُوبِ الْعَشِىِّ بِوَابِلٍ ... وَيَخْرُجْنَ مِنْ جَعْدٍ ثَرَاهُ مُنَصَّبِ (٧)

فَلِلسَّاقِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّوْطِ دِرَّةٌ ... وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ (٨)

---

(١) يخضد فى الآرى: يكسر الاواخى . العر : الجرب أو القرح .

(٢) ثعالة : اسم مكان . نريغ نطلب . رحيات : اسم مكان . فج أخرب : الفج الطريق : وأخرب : موضع فى أرض بنى عامر بن صعصعة ، وفيه كانت وقعة بين نهد وبنى عامر .

(٣) السرب: قطيع من بقر الوحش . الرواهب: جمع راهبة . شبه القطيع فى مشيه ملتفاً حول بعضه برواهب خرجن من الدير فى يوم عيد وعليهن الثياب المهدبة أى ذات الذيول الطويلة .

(٤) فكان تنادينا : أى نداء بعضنا بعضاً ، وذلك فى حال عقد عذار الفرس . قد شأونك : أى سبقنك ، فاطلب .

(٥) اللأى: الريث، يقول فلم نلبث. محبوك السراة: مجدول الظهر . محنب: مقوس

(٦) الحاصب: الريح تثير الحصى وتقذف به، شبه الجواد فى اندفاعه بالريح الحاصبة . الغبية : الدفعة الشديدة من المطر . والشؤبوب . كذلك . والشد : الجرى بالدفاع. ملهب : مسوق بالسوط .

(٧) شؤبوب العشى : دفعة المطر وقت العشاء . والوابل : المطر المنهمر . الجعد: الغبار المتراكب بعضه على بعض . ثراه : ترابه . الذى يغطى كل شىء كأنه دخان

(٨) الألهوب: زجر بالسوط . الدرة . الدفعة . الزجر : الانتهار. الاهوج :=

فَأَدْرَكَ لَمْ يُجْهَدْ ولَمْ يَثْنِ شَأْوَهُ ... يَمُرُّ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثَقَّبِ (١)

تَرَى الفَأْرَ فى مُسْتَنْقَعِ القَاعِ لَاحِباً ... عَلى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدٍّ مُلْهِبِ (٢)

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا ... خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ (٣)

وظَلَّ لِصِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ ... يُدَاعِسُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمُعَلَّبِ (٤)

فَكَابٍ عَلى حُرِّ الْجَبِينِ ومُتَّقٍ ... بِمَدْرِيَةٍ كَأَنَّهَا ذَلْقُ مِشْعَبِ (٥)

= الأحمق . المعنب : المصاح عليه ، من النعيب وهو التصويت ؛ ويروى .

فللزجر ألهوب وللساق درة ... وللسوط منه وقع أخرج مهذب

ولما عرضت القصيدتان على امرأة امرئ القيس أم جندب لتحكم بينهما فى أى القصيدتين أجود قالت : إن فرس ابن عبدة أجود من فرسك ! لأنك زجرت، وحركت ساقيك وضربت بسوطك ولم يفعل هو بفرسه شيئا من ذلك ، بل قال :

فأدركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر رائح متحلب

فغضب امرؤ القيس وطلقها فخلفه عليها علقمة . ولهذا سمى علقمة الفحل

ويريد بالألهوب أنه ألهب جريه حين زجره . ويريد أنه إذا غمزه بساقه در بالجرى .

والاخرج : الظليم ، وهو ذكر النعام ، لأن لونه يكون بين السواد والبياض .

(١) الشأو : الشوط البعيد والسبق . الخذروف : لعبه للصبيان يديرونها بسرعة حتى لا تكاد ترى لشدة مرها . المثقب : ذو الثقوب ، يريد أن الخذروف لثقبه كان يسمع له فى مرة صوت ، فهو يشبه صوت اندفاع الجواد به .

(٢) مستنقع القاع: الماء المنتقع فى منخفض الأرض. لاحباً: ظاهراً جدد الصحراء: المرتفع من الارض ؛ الشد الملهب : العدو الشديد

(٣) خفاهن : أظهرهن ، يعنى الفيران . أنفاقهن : أجحارهن . الودق : المطر يقول إن شدة وقع حوافر هذا الجواد على الأرض أوهم الفيران فى أجحارها بأنه وقع مطر شديد فتركت أنفاقها وخرجت ناجية بأرواحها إلى مرتفعات الأرض .

(٤) الصيران ، جمع الصوار : وهو الثور الوحشى . والصريم منقطع الرمل والغماغم : أصوات ترددها فى صدورها وهو الخوار . يداعسها بالسمهرى: يطاعنها بالرمح . المعلب . المقوى بالعلباء وهى عقب فى عنق البعير يقوى به الرمح

(٥) الكابى : الساقط على وجهه حر الجبين: ماظهر من الوجه. المدرية: القرن . الذلق : الحد . المشعب : المخرز .

فَفِئْنَا إلى بَيْتٍ بِعَلْيَاءَ مُرْدَحٍ ... سَمَاوَتُه مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُعَصَّبِ (١)

وقُلْنَا لِفِتْيَانٍ كِرَامٍ أَلَا انْزِلُوا ... فعَالُوا عَلَيْنَا فضْلَ ثوبٍ مُطَنَّبِ (٢)

وأَوْتَادُهُ مَازِيَّةٌ وعِمَادُه ... رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةُ قَعْضَبِ (٣)

وأَطْنَابُهُ أَشْطَانُ خُوصٍ نَجَائبٍ ... وصَهْوَتُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشَرْعَبِ (٤)

فَلمَّا دَخَلْنَاهُ أَضَفْنَا ظُهُورَنَا ... إلى كلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشَطَّبِ (٥)

فَظَلَّ لَنَا يَوْمٌ لَذِيذٌ بِنَعْمَةٍ ... فقِلْ فى مَقِيلٍ نَحْسُهُ مُتَغَيِّبِ (٦)

كأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائنَا ... وأَرْحُلِنَا الجَزْعَ الَّذِى لَمْ يُثَقَّبِ (٧)

---

(١) فئنا : رجعنا . مردح : واسع. سماوته : أعلاه ؛ الأتحمى : البرود المحوكة ؛ معصب محوكة بعصب . وعصب بلد باليمن ينسج فيها هذا النوع من الثياب .

(٢) عالوا . رفعوا ، مطنب : مشدود بالحبال .

(٣) أوتاده مازية: أوتاده دروع، يريد أن البيت لما رفعوه ربطوا حباله فى الدروع التى ألقوها حوله فكانت كأنها أوتاد . وعماده ردينية . عماده التى يقوم عليها رماح. أسنة قعضب : الأسنة التى هى من صنع ذلك الرجل المسمى قعضب .

(٤) الأطناب والأشطان : الحبال التى تشد إلى الأوتاد . خوص نجائب ، نوق غوائر العيون منجبات ، أى أنهم اتخذوا حبال البيت من الحبال التى تكون مع النوق . الصهوة : الظهر . مشرعب : مصنف ومنوع .

(٥) أضفنا ظهورنا : أسندناها . الحارى : الرحال الحيرية المصنوعة بالحيرة . المشطب : المخطط .

(٦) يقول : إن ذلك كله قد كان لنا فى يوم من أيام الغبطة والسرور الذى غاب نحسها .

(٧) قال أبو عبيد البكرى الظباء والبقر عيونها سود فى حالة الحياة فإذا ماتت بدا بياضها فلذلك شبهها بالجزع الذى فيه بياض وسواد بعدما موتت ﴿قلت﴾ والجزع الخرز اليمانى الصينى فيه سواد وبياض ، قال : وهذا التشبيه من التشبيهات العقم التى لم يسبقه أحد إليها ولا تعاطاها أحد بعده ولو قال : الجزع ؛ وقام به البيت وأمسك من قوله : « الذى لم يثقب » لكان من أبدع تشبيه وأحسنه ؛ ثم زاده تتميما وحسناً بقوله : الذى لم يثقب ؛ وكمل له بذلك نظم البيت ووضع القافية ؛ وهذه الصناعة من الشعر تسمى : التبليغ ﴿ قلت ﴾ وقد تسمى أيضاً : الإيغال ؛ لأنه أتى بمعنى زائد بلغه إلى القافية .

ورُحْنَا كأَنَّا مِنْ جُوَاثَى عَشِيَّةً	نُعَالِي النِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ ومحقَبِ (١)
نَمُشُّ بِأَعْرَافِ الجِيَادِ أَكُفَّنَا	إذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ (٢)
إلى أَنْ تَرَوَّحْنَا بِلَا مُتَعَتَّبٍ	عليْهِ كسِيدِ الرَّدْهَةِ المُتَأَوِّبِ (٣)
وراحَ كتَيْسِ الرَّبْلِ يَنْغِضُ رَأْسَهُ	أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحَلِّبِ (٤)
حَبِيبٌ إلى الْأَصْحَابِ غَيْرُ مُلَعَّنٍ	يُفَدُّونَهُ بِالْأُمَّهَاتِ وبِالْأَبِ (٥)
فيَوْمًا عَلَى بُقْعٍ دِقَاقٍ صُدُورُهُ	ويَوْمًا على سُفْعِ المَدَافِعِ رَبْرَبِ (٦)
كَأَنَّ دِماءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ	عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُخَضَّبِ (٧)

(١) جواثى : مدينة من مدن هجر .

(٢) نمش . نمسح . قال بعض أهل اللغة : لايكون المش إلا المسح بالشيء الذى يقش الدسم ، يعنى : ينشفه . أعراف الجياد : نواصى الخيل ؛ المضهب : الذى لم يبلغ نضجه من اللحم ؛ ومعنى هذا البيت مما سبق إليه امرؤ القيس فتبعه الشعراء ، أى أنهم اتخذوا أعراف الخيل مناديل يمسحون بها أيديهم من وضر اللحم . قال أبو عبيد : وهذا إنما يكون فى حال السفار لا فى غيره ؛ لأنه إذا فعل ذلك فى حال الطمأنينة دل على الجشع وشدة الحرص على الطعام .

(٣) تروحنا : رجعنا إلى منازلنا . بلا متعتب : لم يحصل من أحدنا ما يوجب العتب . السيد : الذئب . الردهة : الحفيرة فى القف . المتأوب : العائد المتردد .

(٤) وراح : يريد الجواد . تيس الربل . القيس الذى أكل من نبات الربل ، وهو نبات يخضر له وجه الأرض فى أوائل فصل الشتاء . ينغض رأسه : يرفع رأسه ، أذاة : تأذيا . الصائك المتحلب : العرق السائل الكريه الرائحة .

(٥) يريد أن هذا الجواد محبب إلى أصحابه فهم يفدونه بكل عزيز عليهم من الأمهات والآباء .

(٦) البقع . جمع أبقع : وهو الظبى الذى فى جلده بقع . والسفع . البقر يكون بصدورها بقع سوداء . يعنى أنه يوما يصيد الغزلان ، ويوما يصيد الثيران الوحشية .

(٧) الهاديات : أوائل القطيع . بنحره : يريد أنه لكثرة صيدها وتوجيه السهام إليها لاتزال دماؤها على نحره ، كأنها الحناء التى يخضب بها الشيب .

وأَنْتَ إذا استَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ ليسَ بِأَصْهَبِ [١]

قصيدة علقمة بن عبدة

وهذه قصيدة علقمة الفحل [٢] التي غالب بها امرأ القيس ، ننشرها ليعرف فرق ما بينها وبين قصيدة امرئ القيس المتقدمة ، ولأن كثيرا من الرواة قد خلطوا كل واحدة منهما بالأخرى ، وأخذوا من هذه أبياتا وأضافوها إلى تلك ، حتى عز التمييز بينهما . قال علقمة بن عبدة التميمي :

ذَهَبْتِ مِنَ الهِجْرانِ في كلِّ مَذْهَبِ ... ولَمْ يَكُ حَقًّا كلُّ هذا التَّجَنُّبِ

لَيالِيَ لا تَبْلَى نَصيحةُ بَيْنِنا ... لَيالِيَ حَلُّوا بِالسِّتَارِ فَغُرُّبِ [٣]

مُبَتَّلَةٌ كَأَنَّ أَنضاءَ حَلْيِها ... عَلى شادِنٍ مِنْ صاحَةٍ مُتَرَبِّبِ [٤]

مَحالٌ كأَجْوازِ الجَرادِ ولُؤْلُؤٌ ... مِنَ القَلَعِيِّ والكَبيسِ المُلَوَّبِ [٥]

إذا أَلْحَمَ الواشُونَ لِلشَّرِّ بَيْنَنا ... تَبلَّغَ راسِي الحُبِّ غَيْرَ المُكَذَّبِ [٦]

---

(١) استدبرته : وقفت خلفه . بضاف : بذيل طويل متصل بالأرض . الأصهب : الأحمر المشوب بياضه بسواد .

(٢) هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار ؛ وإنما لقب بالفحل لأنه خلف امرأ القيس على امرأته لما حكمت له على امرئ القيس فطلقها . ويعد من الشعراء المقلين ، لأن الرواة لم يحققوا له أكثر من ثلاث قصائد ، قيل إنه توفى سنة ٦٢٥ م ويوجد آخر في الشعراء يسمى علقمة الخصى .

(٣) الستار وعرب : موضعان .

(٤) المبتلة : البكر . الأنضاء : يريد بها المنضدة عليها . الشادن : ولد الظبي . صاحة : جبل وهضاب حمر تجاور العقيق بالمدينة . متربب : مذعور خائف .

(٥) المحال : ضرب من الحلي . القلعي : هو اللؤلؤ الجيد المنسوب إلى القلعة . الكبيس : حلي مجوف محشو طيبا . الملوب : الملتوى كأنه اللواب .

(٦) الحم : نسج ، أراد أنهم إذا واصلوا نسج الشر . راسي الحب : راسخه ومتمكنه .

وما أَنْتَ أَمْ ما ذِكْرُها رَبَعِيَّةً ... تَحُلُّ بِإِيرٍ أَوْ بِأَكْنَافِ شُرْبُبِ[1]

أَطَعْتَ الْوُشَاةَ والمُشَاةَ بِصَرْمِهَا ... فَقَدْ أَنْهَجَتْ حِبَالُها لِلتَّقَضُّبِ[2]

وَقَدْ وعَدَتْكَ مَوْعِدًا لَوْ وَفَتْ بِهِ ... كَمَوْعُودِ عُرْقُوبٍ أَخاهُ بِيَثْرِبِ[3]

وقالَتْ مَتى يَبْخلْ عَلَيْك وَيَعْتَلِلْ ... تَشكَّ وإنْ يُكْشَفْ غَرامُكَ تَدْرُبِ[4]

فَقُلْتُ لَها فِيئى فَمَا تَسْتَفِزُّنِى ... ذَوَاتُ الْعُيُونِ والبَنَانِ الْمُخَضَّبِ[5]

فَفَاءتْ كَمَا فاءتْ مِنَ الْأُدْمِ مُغْزِلٌ ... بِبَيْشَةَ تَرْعَى فى أَرَاكٍ وحُلَّبِ

---

(١) ربعية: منسوبة إلى الربيعة. إير: جبل بأرض غطفان. شربب: موضع.

(٢) الوشاة: السعاة بالشر، والمشاة بالمرقة الصرم: الهجر. أنهجت: قطعت التقضب: التقطع.

(٣) عرقوب؛ زعموا أنه كان رجلا من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا أطلعت النخلة فلك طلعها. فلما أبسرت وعده ببلحها. فلما أبلحت وعده بزهوها. فلما أزهت وعده ببسرها. فلما أبسرت وعده برطبها. فلما أرطبت وعده بتمرها. فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجزها ولم يعطه شيئا. فضرب به المثل فى الخلف. وأما يثرب فقد قال بعضهم إنها يثرب مدينة الرسول، وأن عرقوب كان من قدماء يهود يثرب. وقال آخرون. إنها يترب وهى قرية باليمامة عند جبل وشم، وقد جاء فى شعر الأعشى: «بسهام يترب أو سهام الوادى» وفى قول الأشجعى:

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وللصنوبرى قصة نظمها على غرار حادثة عرقوب فقال:

قالوا لنا نخلة وقد طلعت ... نخلتها فاصطبر اطلعتها

حتى إذا صار طلعها بلحاً ... قالوا توقع بلوغ بسرتها

حتى إذا بسرها غدا رطباً ... فازوا بأعداقها برمتها

عدمتها نخلة كنخلة عر ... قوب ومن قصة كقصتها

(٤) يعتلل: يأتى بالعلل والمعاذير. تدرب: تعتاد من الدربة.

(٥) فيئى: ارجعى إلى نفسك.

(٦) الأدم: جمع أدماء: وهى البقرة الوحشية. بيشة: اسم موضع. الحلب: نبت برى

فَعِشْنَا بِها مِنَ الشَّبابِ مَلَاوَةً فَأَنْجِحَ آيَاتِ الرَّسُولِ الْمُحبَّبِ (١)

فَإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عاشِقٍ بِمِثْلِ بُكورٍ أَوْ رَواحٍ مُؤَوِّبِ (٢)

بِمُجَفَّرَةِ الْجَنْبَيْنِ حَرْفٍ شِمِلَّةٍ كَهَمِّكَ مِرْقالٍ عَلَى الأَيْنِ ذِعْلِبِ (٣)

إذا ما ضَرَبْتُ الدَّفَّ أَوْ صُلْتُ صَوْلَةً
تَرَقَّبُ مِنِّى غَيْرَ أَدْنَى تَرَقُّبِ (٤)

بِعَيْنٍ كَمِرْآةِ الصَّنَاعِ تُدِيرُها لِمَحْجِرِها مِنَ النَّصِيفِ الْمُثَقَّبِ (٥)

كأَنَّ بِحاذَيْها إذا ما تَشَذَّرَتْ عَثَاكِيلُ قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرْطِبِ (٦)

تَذُبُّ بِهِ طَوْرًا وطَوْرًا تُمِرُّهُ كَذَبِّ الْبَشِيرِ بِالرِّدَاءِ الْمُهَدَّبِ (٧)

وقَدْ أَغْتَدِى والطَّيْرُ فى وكُنَاتِها وَماءُ النَّدَى يَجْرِى عَلَى كُلِّ مِذْنَبِ (٨)

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ لَاحَهُ طِرَادُ الْهَوادِى كُلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ (٩)

---

(١) الملاوة : البرهة من الزمن .

(٢) اللبانة : الحاجة والمطلب . البكور : الخروج فى بكرة النهار ، أى فى أوله والرواح : الرجوع فى آخر النهار. المؤوب : العائد مع الليل .

(٣) المجفرة : الواسعة الجفرة ، وهى الكشح . حرف : قوية . شملة : سريعة ، مرقال : كثيرة الرقلان وهو المشى السريع . الأين : التعب . ذعلب : سريعة ، يصف ناقته بهذه الصفات .

(٤) الدف : الجنب .

(٥) الصناع : المرأة الحاذقة اليدين تجيد كل شىء تعمله ، يصف عين ناقته بمرآة مجلوة بيد صناع . المحجر : وقب العين . النصيف المثقب : النقاب ذو الثقوب .

(٦) الحاذان : ماوقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . تشذرت : تهيأت وتحركت . عثاكيل قنو : أعذاق بها بلح سميحة : اسم مكان جيد النخل .

(٧) تذب : تدفع به الذباب . الرداء المهدب : الثوب ذو الأهداب .

(٨) الوكنات : أوكار الطير

(٩) بمنجرد : بفرس خفيف الشعر . قيد الأوابد : يعنى أن الوحوش الآبدة متى طلبها هذا الفرس أدركها فكأنه قيدها فى أماكنها ، لاحه : بدا له ، طراد الهوادى :

بِغَوْجٍ لَبَانُهُ يُتَمُّ بَرِيمُهُ عَلَى نَفْثِ رَاقٍ خَشْيَةَ العَيْنِ مُجْلِبِ (١)
كُمَيْتٍ كَلَوْنِ الأُرْجُوَانِ نَشَرْتَهُ لِبَيْعِ الرِّدَاءِ فِي الصِّوَانِ المُكَعَّبِ (٢)
مُمَرٍّ كَعَقْدِ الأَنْدَرِيِّ يَزِينُهُ مَعَ العِتْقِ خَلْقٌ مُفْعَمٌ غَيْرُ جَانِبِ (٣)
لَهُ حُرَّتَانِ تَعْرِفُ العِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ مَذْعُورَةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ (٤)
وَجَوْفٌ هَوَاءٌ تَحْتَ مَتْنٍ كَأَنَّهُ مِنَ الهَضْبَةِ الخَلْقَاءِ زُحْلُوقُ مَلْعَبِ (٥)
قَطَاةٌ كَكُرْدُوسِ المُحَالَةِ أَشْرَفَتْ إِلَى كَاهِلٍ مِثْلِ الغَبِيطِ المُذَأَّبِ
وَغُلْبٌ كَأَعْنَاقِ الضِّبَاعِ مُضِيفُهَا سِلَامُ الشَّظَى يَغْشَى بِهَا كُلَّ مَرْكَبِ (٦)
وَسُمْرٌ يُفَلِّقْنَ الظِّرَابَ كَأَنَّهَا حِجَارَةُ غَيْلٍ وَارِسَاتٌ بِطُحْلُبِ (٧)
إِذَا مَا اقْتَنَصْنَا لَمْ نُخَاتِلْ بِجُنَّةٍ وَلَكِنْ نُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ أَلَا ارْكَبِ (٨)
أَخَا ثِقَةٍ لَا يَلْعَنُ الحَيُّ شَخْصَهُ صَبُورًا عَلَى العِلَّاتِ غَيْرَ مُسَبَّبِ (٩)

مطاردة الوحوش . الشأو : الشوط . المغرب : المتباعد .

(١) بغوج لبانه ، يقال : فرس غوج اللبان : واسع الصدر . البريم . العوذة تعلق فى العنق خوف العين ـ زعموا ـ

(٢) الكميت : الفرس الذى خالط حمرته قنوء . الأرجوان : الأحمر .

(٣) ممر : مفتول جيد الفتل ، يعنى الضامر الصلب الأعصاب . عقد الأندرى : الحبل الغليظ . العتق : كرم الجوهر . مفعم : ممتلىء . الجانب : البعيد ما بين الرجلين . وقد نفى عن فرسه ذلك لأنه من العيوب المشنوءة .

(٤) الحرتان : الأذنان . المذعورة : البقرة الوحشية . الربرب : السرب من الظباء

(٥) مر هذا البيت والذى بعده لامرئ القيس .

(٦) الغلب : الغلاظ الأعناق . السلام : الحجارة . الشظى : واد كثير الحجارة

(٧) السمر : الحوافر . الظراب : الحجارة المحددة الأطراف . الغيل : الهين .

(٨) اقتنص الصيد : أمسكه وحصل فى يده . المخاتلة : المخادعة والمراوغة . الجنة : ما تحتجب به عند الصيد أو عند القتال .

(٩) صبوراً على العلات : على مختلف الأحوال . غير مسبب : ليس بملعن ولا بمشتم

إِذَا أَنْفَدُوا زَادًا فَإِنَّ عِنَانَهُ وأَكْرُعَهُ مُسْتَعْمَلاً خَيْرَ مَكْسَبِ (١)

رَأَيْنَا شِيَاهًا يَرْتَعِينَ خَمِيلَةً كَمَشْيِ العَذَارَى فِي المُلَاءِ المُهَدَّبِ (٢)

فَبَيْنَا تُمَارِينَا وعَقْدُ عِذَارِهِ خَرَجْنَ عَلَيْنَا كَالجُمَانِ المُثَقَّبِ (٣)

فَأَتْبَعَ أَدْبَارَ الشِّيَاهِ بِصَادِقٍ حَثِيثٍ كَغَيْثِ الرَّائِحِ المُتَحَلِّبِ (٤)

تَرَى الفَأْرَ عَنْ مُسْتَرْغِبِ القَدْرِ لَائِحًا
عَلَى جَدَدِ الصَّحْرَاءِ مِنْ شَدٍّ مُلْهِبِ (٥)

خَفَا الفَأْرَ مِنْ أَنْفَاقِهِ فَكَأَنَّمَا تَجَلَّلَهُ شُؤْبُوبُ غَيْثٍ مُثَقَّبِ (٦)

فَظَلَّ لِثِيرَانِ الصَّرِيمِ غَمَاغِمٌ يُدَاعِسُهُنَّ بِالنَّضِيِّ المُعَلَّبِ (٧)

فَهَاوٍ عَلَى حُرِّ الجَبِينِ ومُتَّقٍ بِمَدْرَاتِهِ كَأَنَّهَا ذَلْقُ مُشْعَبِ (٨)

---

(١) أنفدوا زاداً : فرغ زادهم ، يعنى أن هذا الفرس كفيل بأن يكسب لهم زادهم كائناً ما كان .

(٢) الشياه : النعاج الوحشية . الخميلة : الأرض الشجراء ، الملاء المهدب : الثياب ذات الأهداب الطويلة .

(٣) خرجن عليه : يريد الشياه . كالجمان المثقب : كقطع الفضة المنتظمة فى عقد

(٤) مضى خلفهن بجواده الصادق الجرى كالمطر الصيب .

(٥) الجدد الطريق المرتفع . شد ملهب : قوى الجرى .

(٦) خفا الفأر : أخرجه من جحره ، وهو نفقه .

(٧) ثيران الصريم : بقر الرمل . الغماغم : أصوات الثيران . يداعسهن : يطاعنهن . النضى : الرمح . المعلب : المشدود بالعلباء . ويروى هذا البيت لامرئ القيس وهو فى قصيدته بتغيير طفيف فى اللفظ .

(٨) فهاو على حر الجبين : فساقط على وجهه . ومتق بمدراته ومدافع بقرنه . الذلق : الحد . المشعب : المخرز الذى تخرز به النعال والجلود ، يعنى أن قرن الثور كأنه فى جدته المخرز ، ويروى هذا البيت لامرئ القيس وهو فى قصيدته السابقة .

وعادَى عداءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ ... وتَيسٍ شَبُوبٍ كالهَشِيمَةِ قَرْهَبِ (١)

فقُلْنا ألَا قدْ كان صَيْدٌ لِقانِصٍ ... فخَبُّوا علَيْنا فَضْلَ بُرْدٍ مُطَنَّبِ (٢)

فَظَلَّ الأَكُفُّ يَخْتَلِفْنَ بحانِذٍ ... إلى جُؤْجُؤٍ مِثْلِ المَدَاكِ المُخضَّبِ (٣)

كأنَّ عُيُونَ الوحْشِ حَوْلَ خِبائِنَا ... وأَرْحُلِنا الجزْعُ الّذِى لَمْ يُثقَّبِ (٤)

ورَاحَ كشَاةِ الرَّبْلِ يُنْغِضُ رَأْسَهُ ... أَذاةً بِهِ مِنْ صَائِكٍ مُتَحلِّبِ (٥)

ورَاحَ يُبَارِى فى الجِنَابِ قَلوصَنَا ... عَزِيزًا عَلَيْنا كالحُبَابِ المُسَيَّبِ (٦)

فأَدْرَكَهُنَّ ثانياً مِنْ عِنانِهِ ... يَمُرُّ كَمَرِّ رائحٍ مُتَحلِّبِ (٧)



وقال امرؤ القيس :

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ ... ونُسْحَرُ بالطَّعَامِ وبالشرابِ (٨)

---

(١) فعادى عداء: فجرى أشواطاً متوالية. التيس الشبوب: الذى هو فى قوة فتوته. القرهب: الثور الكبير الضخم، ويروى لامرئ القيس.

(٢) هذا البيت يماثل بيت امرئ القيس الوارد فى قصيدته: وقلنا لفتيان كرام والمعنى فى البيتين: حجبوا عنا الشمس بالثياب لئلا يفسد صيدنا.

(٣) الحانذ: المشوى بالحجارة المحماة. الجؤجؤ: الصدر. المداك: الحجر الذى يداك به الطيب: أى يسحق به، ويكون من أصلب الحجارة.

(٤) و (٥) تروى لامرئ القيس.

(٦) يبارى يسابق. الجناب. الجنب. القلوص: الناقة الشابة. كالحباب: كالحية المنسابة

(٧) بهذا البيت حكمت أم جندب لعلقمة على امرىء القيس كما مر.

(٨) موضعين. سائرين مسرعين: لأمر غيب. لأمر لا علم لنا به، ويروى: لحتم غيب. ونسحر. نلهى ونخدع ونقطع أيامنا بالأمانى.

عَصافِيرٌ وذِبَّانٌ وَدُودٌ ... وأَجْرَأُ مِنْ مُجَلِّحَةِ الذِّئابِ (١)

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عاذِلَتِي فإنِّي ... سَتَكْفِينِي التَّجارِبُ وانْتِسابِي (٢)

إلى عِرْقِ الثَّرَى وشَجَتْ عُرُوقِي ... وهٰذَا المَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبابِي (٣)

ونَفْسِي سَوْفَ يَسْلُبُنِي وجُرْمِي ... فَيُلْحِقُنِي وشِيكاً بِالتُّرابِ (٤)

أَلَمْ أُنْضِ المَطِيَّ بكلِّ خَرْقٍ ... أَمَقِّ الطولِ لَمَّاعِ السَّرابِ (٥)

وأَرْكَبُ فى اللُّهامِ المَجْرِ حَتَّى ... أَنالَ مَآكِلَ القُحَمِ الرِّغابِ (٦)

وكُلُّ مَكارِمِ الأَخْلَاقِ صارَتْ ... إلَيْهِ هِمَّتِي وبِهِ اكْتِسابِي (٧)

وقَدْ طَوَّفْتُ فى الآفاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيابِ (٨)

---

(١) ويروى. وذوبان ، وهى جمع ذئب . المجلحة . المصممة ، يعنى أننا على ضعفنا وأننا لا نزيد على العصافير والذبان والدود نكون أشد جرأة من الذئاب.

(٢) فبعض اللوم . أى كفى عنى لومك أيتها العاذلة اللائمة فإن تجاربى وخبرتى أقنعانى بأن كل شيء فى هذا الوجود صائر إلى الزوال ، وقد رأيت آبائى وأجدادى قد ماتوا جميعاً وصاروا تحت الثرى وأصبح انتسابى إلى التراب الذى ضمهم . فزاد هذا فى يقينى بأنى صائر إلى حيث صاروا . فلا أترك لهوى ولعبى حتى ألحق بهم .

(٣) عرق الثرى . مادة التراب فى الأرض . وشجت عروقى . اتصلت وتغلغلت وتشابكت والتفت .

(٤) وشيكا . سريعا .

(٥) أنضى المطى : أهزل ما أركب من النوق من شدة السير . الخرق . الفلاة تنخرق فيها الرياح . الأمق الطويل . السراب . ما يبدو وقت الظهيرة للمسافر فى الصحراء كأنه ماء .

(٧) اللهام . الجيش الوافر العدد . المجر . الثقيل المتمدد فى سيره . القحم : الكثيرة من الأموال وغيرها . الرغاب الواسعة .

(٧) وهذا أفضل ما اتجه المرء نحوه بهمته لاكتسابه والتحلى به .

(٨) طوفت . أكثرت من الطواف فى آفاق الأرض ، فلم أر خيراً من الرجوع إلى أهلى ، وأوبى إلى وطنى ، فهو غنيمتى التى تسقط فى جانبها كل غنيمة ، لأنى فى تطوافى لم أفد خيراً

أَبَعْدَ الحَارِثِ المَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو وَبَعْدَ الخَيْرِ حُجْرٍ ذِي القِبَابِ (١)

أُرَجِّي مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِينًا وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصُّمِّ الهِضَابِ (٢)

وَأَعْلَمُ أَنَّنِي عَمَّا قَلِيلٍ سَأُنْشَبُ فِي شَبَا ظُفُرٍ وَنَابِ (٣)

كَمَا لَاقَى أَبِي حُجْرٌ وَجَدِّي وَلَا أَنْسَى قَتِيلًا بِالكُلَابِ (٤)

---

(١) الحارث بن عمرو: جده. وحجر: والده. القباب: لم تكن القباب معروفة فى الجاهلية إلا للملوك، ولهذا وصف امرؤ القيس آباءه بأصحاب القباب، لأنهم كانوا ملوكا.

(٢) الصم: الحجارة الصلبة المصمتة. الهضاب: الصخور الضخمة الراسية، يعنى أن صروف الدهر لم تغفل عن هذه الصخور بل أذابتها وأزالتها، فكيف يرجى منها لينا وهذا هو عملها فى الكائنات القوية المتينة.

(٣) سأنشب: سأعاق. الشبا: الحد، يريد أن المنية لابد أن ستنشب فيه أظفارها وأنيابها.

(٤) قتيل الكلاب: هو عمه شرحبيل بن الحارث بن عمرو، قتل فى ذلك اليوم: وكان من حديثه أن بنى بكر بن وائل لما تسافهت وفسد أمرها، وغلب عليها سفهاؤها، وتقطعت أرحامها، ارتأى رؤساؤهم أن يولوا عليهم ملكا يأخذ منهم الشاء والبعير، فيأخذ للضعيف من القوى ويرد على المظلوم من الظالم. على أن يكون من غيرهم. فأتوا تبعاً وذكروا له أمرهم فملك عليهم الحرث بن عمرو آكل المرار الكندى. فلما ملك غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما فى أيدى ملوك الحيرة اللخميين، وملوك الشام الغسانيين، وردهم إلى أقاصى أعمالهم، ثم مات ودفن ببطن عاقل. واختلف ابناه شرحبيل وسلمة فى الملك من بعده فتواعدا الكلاب، وهو ماء، فأقبل شرحبيل فى قبائل ضبة والرباب كلها وبنى يربوع وبكر بن وائل، وأقبل سلمة فى قبائل تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة، وعليهم سفيان بن مجاشع، وعلى تغلب السفاح. وإنما خرجت بكر بن وائل مع شرحبيل لعداوتها لبنى تغلب، فالتقوا على الكلاب واستحر القتل فى بنى يربوع، ولما غشيهم الليل نادى منادى شرحبيل: من أتى برأس سلمة فله مائة من الإبل؛ ونادى منادى سلمة مثل ذلك، وشد أبو حنش عصيم بن النعمان بن مالك الجشمى على شرحبيل فقتله وكان شرحبيل قتل حنشا ولده ثم إن أبا حنش =

٤

وقال امرؤ القيس :

سَقَى وارِدَاتٍ والقَلِيبَ ولَعْلَعَا مُلِثٌّ سِمَاكِي فَهَضْبَةَ أَيْهَبَا (١)

فَمَرَّ عَلى الخَبْتَيْنِ خَبْتِ عُنَيْزَةٍ فذَاتِ النِّقَاعِ فانْتَحَى وتَصوَّبَا (٢)

فلَمَّا تَوَلَّى مِنْ أَعالِي طَمِيَّةٍ أَبَسَّتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا فتَحَلَّبَا (٣)

٥

استعان امرؤ القيس بقبائل بكر وتغلب على خصومه بنى أسد، فأجابوه فلما اتصل الخبر ببنى أسد لحقوا ببنى كنانة، ثم لم يثقوا بحمايتهم ففارقوهم. فقصد امرؤ القيس بنى أسد فى أنصاره ووضع السيف فى بنى كنانة ونادى: يا لثارات الملك! يا لثارات الهمام! فقالت له عجوز منهم: لسنا لك بثأر! فإن شئت فاطلب ثأرك من خصومك بنى أسد فقد رحلوا مساء! فقال:

= بعث برأسه إلى سلمة مع عسيف له، فلما رآه سلمة دمعت عيناه، فقال له: أنت قتلته؟ قال: لا، ولكن قتله أبو حنش فقال: إنما أدفع الثواب إلى قاتله - وهرب أبو حنش - فقال سلمة: ألا أبلغ أبا حنش رسولا فمالك لا تجىء إلى الثواب

تعلم أن خير الناس ميتاً قتيل بين أحجار الكلاب

تداعت حوله جشم بن بكر وأسلمه جعاسيس الرباب

(١) وردات، والقليب، ولعلع: أسماء أماكن. ملث: مطر جود مدرار. سماكى: منسوب إلى السماك، وهو نجم بالسماء تنسب العرب إليه المطر. فهضبة أيهب: موضع فى بلاد بنى أسد.

(٢) الخبتين: مثنى خبت. وهو المتسع من بطون الأرض؛ خبت عنيزة: اسم مكان، وخبت ذات النقاع. اسم مكان آخر. انتحى مال. تصوب: ارتفع.

(٣) طمية: جبل بالبادية. أبست: ساقت إليه السحاب. تحلب: سال، يريد بذلك المطر السماكى الملث. يدعو لتلك البقاع بالغيث والخصب والنماء.

أَلَا يَالَهْفَ هِنْــد إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كانُوا الشِّفاءَ فَلَمْ يُصابُوا (١)
وقاهُمْ جَــدُّهُم بِبَنِى أَبِيهِمْ وبِالْأَشْقَيْنِ ما كانَ العِقَابُ (٢)
وأَفلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَــرِيضاً ولَوْ أَدْرَكْنَه صَفِرَ الْوِطَابُ (٣)

٦

وقال امرؤ القيس :

يَا بُؤْسَ لِلقَلْبِ بَعْــد اليَــوْمِ ما آبَه
ذِكْرَى حَبِيبٍ بِبَعْضِ الأَرْضِ قَدْ رَابَهْ (٤)
قالَتْ سُلَيْمَى أَرَاكَ اليَومَ مُكْتَئِبًا
والرَّأْسُ بَعْدِى رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ عابَه (٥)
وحَارَ بَعْدَ سَوَادِ الرَّأْسِ جُمَّتَــهُ كَمِعْقَبِ الرَّيْطِ إِذْ نَشَّرْتَ هُدَّابه (٦)

(١) القوم الذين قصدهم . هم بنو أسد قتلة أبيه . كانوا الشفاء . كانوا شفاء نفسه لو أصابهم ، لأنه موتور منهم بقتل أبيه

(٢) الجد : الحظ . بنو أبيهم : بنو كنانة ، لأن كنانة ، وأسد . أخوان أبوهم جزيمة . وسماهم الأشقين ، لأن العقاب حل بهم على غير جريرة ، دون بنى أسد

(٣) أفلتهن : فاتهن ، والضمير عائد إلى الخيل . علباء : هو علباء بن الحارث الكاهلى أحد قتلة الملك حجر . الجريض : الغاص بريقه من الفزع . صفر الوطاب . انتهى الأمر وخلت النفس من الحقد . وزعم بعض الشراح فى معنى صفر الوطاب . أن خيل امرئ القيس لو أدركت علباء بن الحارث فقتلته وساقت إبله صفرت وطابه من اللبن . وقيل صفر الوطاب . أى أنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللبن . وعندى أن هذا ليس بشىء ، وما أثبته خير منه وأقرب إلى الصواب .

(٤) ما آبه . ماشأنه ومرجع أمره . رابه . أدخل عليه الريبة فى وصله

(٥) مكتئباً : حزيناً .

(٦) حار : رجع وصار . الجمة : مقدّم شعر الرأس . معقب الريط : خمار المرأة تعتقب به ؛ والريط ، جمع ريطة : ثوب لين رقيق .

وَمَرْقَبٍ تَسْكُنُ العِقْبانُ قُلَّتَهُ ... أَشْرَفْتُهُ مُسْفِراً والنَّفْسُ مُهْتابَه (١)

عَمْداً لِأَرْقُبَ مَا لِلْجَوِّ مِنْ نَعَمٍ ... فَناظِرٌ رائِحاً مِنْهُ وعُزَّابَهْ (٢)

وقدْ نَزَلْتُ إلَى رَكْبٍ مُعَقَّلَةٍ ... شُعْثِ الرُّؤُسِ كأَنَّ فَوْقَهُمْ غابَهْ (٣)

لَمَّا رَكِبْنا رَفَعْناهُنَّ زَفْزَفَةً ... حَتى احْتَوَيْنا سَوَامًا ثُمَّ أَرْبابَهْ (٤)



وقال امرؤ القيس :

قدْ أَشْهَدُ الغَارَةَ الشَّعْواءَ تَحْمِلُنى ... جَرْداءُ مَعْرُوفَةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ (٥)

كأَنَّ صَاحِبَها إذْ قامَ يُلْجِمُها ... مَعْدٌ عَلى بَكْرَةٍ زَوْرَاءَ مَنْصُوبُ (٦)

إذا تَبَصَّرَها ٱلرَّاؤُونَ مُقْبِلَةً ... لَاحَتْ لَهُمْ غُرَّةٌ مِنْها وتَجْبيبُ (٧)

---

(١) المرقب : المكان المرتفع . قلته : رأسه وما ذهب منه صعدا أشرفته . علوته . مسفرا : عند ما أسفر الصبح . مهتابة : وجلة خائفة .

(٢) عزابة ، جمع عازب : البعيد .

(٣) معقلة : أى ركابهم مرتبطة معقولة .

(٤) زفزفة : جرى شديد كزفيف الريح . السوام : البهائم السائمة ، يعنى المطلقة فى المراعى . أربابه : أصحابه .

(٥) الغارة الشعواء : المعركة الحامية الوطيس المتفرقة الجنود فى نواحى الحى . الجرداء : الفرس قصيرة الشعر ، معروفة اللحيين : قليلة لحمهما . سرحوب : طويلة مشرفة ، زعم ابن يسعون أن هذا البيت لعمران بن إبراهيم الأنصارى . أقول : ولعل هذا الأنصارى أخذه من شعر امرئ القيس وأدخله فى شعره .

(٦) المعد : البكر المنشمة .

(٧) التجبيب : ارتفاع البياض إلى جنب الفرس .

وِقافُهَا ضَرِرٌ وجَرْيُهَا جَــذَمٌ ... ولَحْمُها زِيَمٌ والبَطْنُ مَقْبُوبُ (١)

واليَـدُ سَابِحَـةٌ وٱلرِّجْلُ ضارِحَـةٌ ... والعَيْنُ قادِحَةٌ والمَتْنُ مُلْحُوبُ (٢)

والمَـاءُ مُنْهَمِـرٌ والشَّـدُّ مُنْحَـدِرٌ ... والقَصْبُ مُضْطَمِرٌ واللَّوْنُ غِرْبِيبُ (٣)

كأَنَّها حِينَ فاضَ الْمَاءُ واحْتَفَلَتْ ... صَقْعاءُ لاحَ لهَـا بِالقَفْرَةِ الذِّيبُ (٤)

فأَبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ فوْقِ مَرْقَبَةٍ ... ودُونَ مَوْقِعِها مِنْـهُ شَنَاخِيبُ (٥)

فَأَقْبلَتْ نَحْـوَهُ فِى الجَـوِّ كَاسِرَةً ... يَحُثُّها مِنْ هُوِىِّ الرِّيحِ تَصْوِيبُ (٦)

صُبَّتْ علَيْهِ وما تنْصَبُّ مِنْ أَمَمٍ ... إنَّ الشَّقَاءَ عَلى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبُ (٧)

كالدَّلْوِ ثَبْتُ عُرَاهَا وهْىَ مُثْقَلَةٌ ... إذْ خَانَها وذَمٌ مِنْهَا وتَكْرِيبُ (٨)

لا كالَّتِى فى هَـواءِ الجَـوِّ طَالِبَـةً ... ولا كَهٰذَا الَّذِى فى الْأَرْضِ مَطْلوبُ

كالْبَرِّ وٱلرِّيحِ فى مَرْآهُما عَجَبُ ... مَا فى اجْتِهادٍ عَلى الإصْرَارِ تَعْيِيبُ

فَأَدْرَكَتْهُ فنَالَتْهُ مَخَالِبُهَا ... فَانْسَلَّ مِنْ تَحْتِها وٱلدَّفُّ مَعْقُوبُ (٩)

---

(١) وقافها ضرم: وقفها نار. الجذم: السريع. زيم: فرق. مقبوب: مضمر

(٢) اليد سابحة: يعنى أنه إذا جرى ومدّ يديه فكأنه سابح فى الماء. ضارحة نافحة. قادحة: غائرة. والمتن: الظهر سلحوب. أملس قليل اللحم، ويروى ملحوب يعنى مستو

(٣) القصب: الخصر. مضطمر: ضامر. غربيب: أسود كلون الغراب.

(٤) من هنا رواية الجاحظ للأبيات الآتية، وقد شك فى نسبتها إلى امرئ القيس، وهو شك لا يعول عليه، فالنسق واحد والموضوع مطرد. صقعاء: عقاب ذات صوت.

(٥) شناخيب: رؤس الجبال.

(٦) كاسرة: منقضة. تصويب: ارتفاع.

(٧) من أمم: من قرب.

(٨) الوذم: السيور بين آذان الدلو والعراقى. وتكريب: انحل كربها.

(٩) الدف: الجنب. معقوب: مصاب بالعقب.

يَلوذُ بِالصَّخرِ مِنْهَا بَعْدَ مَا فَتَرَتْ ... مِنْهَا ومِنْهُ عَلى الصَّخْرِ الشَّآبِيبُ (١)

ثُمَّ اسْتَغَاثَتْ بِمَتْنِ الأرْضِ تَعْفِرُهُ ... وبِاللِّسَانِ وبِالشِّدْقَيْنِ تَتْرِيبُ

فَأَخطَأَتْهُ المَنَايَا قِيسَ أُنْمُلَةٍ ... ولَا تَحْرَزَ إلَّا وهْوَ مَكْتُوبُ

يَظَلُّ مُنْحَجِرًا مِنْهَا يُرَاقِبُهَا ... ويَرْقُبُ اللَّيْلَ إنْ اللَّيْلَ مَحْجُوبُ

والخَيْرُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ ومَا غَرُبَتْ ... مُطَّلَبٌ بِنَواصِي الخَيْلِ مَعْصُوبُ (٢)



وقال لما بلغه قتل أبيه وهو يشرب :

خَلِيلَيَّ مَا فِى اليَوْمِ مَصْحًى لِشَارِبٍ ... ولَا فِى غَدٍ إذْ كَانَ مَا كَانَ مَشْرَبُ (٣)



ويروى له هذا البيت :

مَا يُنْكِرُ النَّاسُ مِنَّا حِينَ نَمْلِكُهُمْ ... كَانُوا عَبِيدًا وكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابَا (٤)



ومن منحول ما يروى له قوله :

قَالَتِ الخَنْسَاءُ لَمَّا جِئْتُهَا ... شَابَ بَعْدِى رَأْسُ هٰذَا واشْتَهَبْ (٥)

---

(١) الشآبيب : الماء .

(٢) وفى الحديث : الخير معقود بنواصى الخيل .

(٣) مصحى : صحو ، يريد مافى اليوم صحو ، ولا فى غد سكر ، حتى أقتل قاتل أبى وأشتفى بأخذ ثأرى .

(٤) أرباب : سادة يملكون ؛ قال أحمد بن يحيى ثعلب . هذا أعجز بيت قالته العرب . وقد روى هذا البيت ابن رشيق صاحب العمدة .

(٥) اشتهب : صار أشهب الرأس . والشهبة بياض فى سواد .

عَهِدَتْنِى نَاشِئاً ذَا غُرَّةٍ رَجِلَ الْجُمَّةِ ذَا بَطْنٍ أَقَبْ (١)

أَتْبَعُ الوُلْدَانَ أُرْخِى مِئْزَرِى إبنَ عَشرٍ ذَا قُرَيْطٍ مِنْ ذَهَبْ (٢)

وهْىَ إذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِئْزَرٌ ولَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لعَبْ (٣)

١١

وقال امرؤ القيس حين رأى امرأة تدفن إلى سفح عسيب الذى مات عنده :

أَجارَتَنا إنَّ الخُطوبَ تَنُوبُ وإنى مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ (٤)

أَجارَتَنَا إنَّا غَرِيبَانِ هٰهُنَا وكُلُّ غَرِيبٍ لِلغَرِيبِ نَسِيبُ (٥)

---

(١) رجل الجمة : ممشط شعر الرأس . أقب ضامر .

(٢) المئزر : مايؤتزر به من ثوب ونحوه . ذا قريط : له قرط معلق فى أذنه من ذهب ، وكان هذا شأن أبناء الملوك .

(٣) يعنى أنها كانت لاتزال فتاة صغيرة ولها بيت تضع فيه لعبها التى هى على صور الجوارى (عرايس) .

(٤) ذكر السيوطى أنه رأى فى كتاب مقاتل الفرسان لأبى عبيدة أن صخر بن عمرو أخا الخنساء لما أدركه الموت قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب علينا وكل المخطئين مصيب
أجارتنا لست الغداة بظاعن وإنى مقيم ما أقام عسيب

ومات ودفن بقرب عسيب . قال : فلعلهما تواردا ، قلت : إذا صح أن صخراً دفن بسفح عسيب فلعله تمثل بقول امرئ القيس مع بعض تغيير فى الألفاظ . وعسيب : اسم جبل يؤخذ من كلام امرئ القيس أنه قريب من أنقرة وما عرفنا أن صخراً مات هناك

(٥) يعنى أن الغريب نسيب الغريب ، لأن الغربة تجمع بينهما كما يجمع النسب بين المتباعدين فى القرابة .

فَإِنْ تَصِلِينَا فَالقَرَابَةُ بَيْنَنَا وإِنْ تَصْرِمينَا فَالقَرِيبِ غَرِيبِ [١]

أَجارَتَنَا مَا فَاتَ لَيْسَ يَؤُوبُ ومَا هُوَ آتٍ فِى الزَّمَانِ قَرِيبُ [٢]

ولَيْسَ غَرِيباً مَنْ تَنَاءَتْ دِيارُهُ ولٰكِنَّ مَنْ وارَى التُرَابْ غَرِيبُ [٣]

---

(١) روى ابن دريد فى شرح مقصورته هذا البيت هكذا :

فإن تصلينى فالمودّة بيننا وإن تبعدينى فالمزار عصيب

وهو روای البيتين التاليين :

(٢) ليس يؤوب : لن يعود .

(٣) تناءت : تباعدت ، ولكن من يموت ويدفن تحت التراب هو الغريب .

قافيـة التـاء

١٣

وقال امرؤ القيس يصف الوحش وصيده له :

غَشِيتُ دِيَارَ الحَيِّ بِالبَكَرَاتِ　　فَعَارِمَةٍ فَبُرْقَةِ العِيَرَاتِ (١)

فَغَوْلٍ فَحِلِّيتٍ فَأَكْنَافِ مَنْعِجٍ　　إلى عَاقِلٍ فَالجُبِّ ذِي الأَمَرَاتِ (٢)

ظَلِلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِيَ قَاعِدًا　　أَعُدُّ الحَصَى مَا تَنْقَضِي عَبَرَاتِي (٣)

أَعِنِّي عَلَى التَّهْمَامِ وَالذِّكَرَاتِ　　يَبِتْنَ عَلَى ذِي الهَمِّ مُعْتَكِرَاتِ (٤)

بِلَيْلِ التِّمَامِ أَوْ وُصِلْنَ بِمِثْلِهِ　　مُقَايَسَةً أَيَّامُهَا نَكِرَاتِ (٥)

---

(١) غشيت : نزلت وجئت . والبكرات ، جمع بكرة : مياه لبنى ذويبة من الضباب ، عندها جبال شمخ سود يقال لها البكرات . عارمة : ماء لبنى تميم بالرمل بحياله جبل لبنى عامر بنجد . برقة العيرات ، البرقة : البقعة التى يخالط حجارتها السود رمل أبيض ، والعيرات : الحمر الوحشية .

(٢) غول : ماء للضباب بجوف طخفة . وحليت : معدن عند جبال ضرية فيه ذهب . منعج : مكان فى جانب حمى ضرية . عاقل : مكان . الجب ، ويروى : الخبت ، موضع ، الأمرات . العلامات فى الطريق ترشد المسافر

(٣) يعنى أنه لما لم يجد فى ديار الحى مايريد ، وضع رداءه فوق رأسه وقعد مفكراً يعد الحصى ، ودموعه لا ترقأ .

(٤) أعنى : ساعدنى وأسعفنى . التهمام : الهم . الذاكرات : جمع ذكرة من التذكر . معتكرات : نازلات متتابعات .

(٥) ليل التمام : أطول ليالى العام مقايسة : أى أن طول الليل فى قياس طول النهار . نكرات : شديدات ، لاتصال الهموم ليلا ونهاراً .

كأنى وردفى والقِرابَ ونُمْرُقِى ... على ظَهْرِ عَيْرٍ وَارِدِ الخَبِرَاتِ (١)

أَرَنَّ على حُقْبٍ حِيَالٍ طَرُوقَةٍ ... كَذَوْدِ الأَجِيرِ الأَرْبَعَ الأَشِرَاتِ (٢)

عَنِيفٍ بِتَجْمِيعِ الضَّرَائِرِ فَاحِشٍ ... شَتِيمٍ كَذَلْقِ الزُّجِّ ذِى ذَمَرَاتِ (٣)

وَيأْكُلْنَ بُهْمَى جَعْدَةً حَبَشِيَّةً ... وَيَشْرَبْنَ بَرْدَ المَاءِ فى السَّبَرَاتِ (٤)

فَأَوْرَدَهَا مَاءً قليلاً أَنِيسُهُ ... يُحَاذِرْنَ عَمْرًا صَاحِبَ القُتُرَاتِ (٥)

تَلُتُّ الحَصَى لَتًّا بِسُمْرٍ رَزِينَةٍ ... مَوَازِنَ لَا كُزْمٍ ولَا مَعِرَاتِ (٦)

وَيُرْخِينَ أَذْنَابًا كأَنَّ فُرُوعَهَا ... عُرَى خِلَلٍ مَشْهُورَةٍ ضَفِرَاتِ (٧)

---

(١) الردف : ماردف خلف الراكب . القراب : جفن السيف . والنمرق : الوسادة ، العير : الحمار الوحشى ، الخبرات : جمع خبرة ، وهو قاع يحبس الماء وينبت السدر ، ويروى . كأنى ورحلى .

(٢) أرنّ : نعق ، يعنى حمار الوحش ، الحقب : الأتن الوحشية البيض الأعجاز : واحدتها حقباء . حيال : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل فى سنها ، الطروقة : المستعدة للضراب . كذود الأجير . الذود ـ من الإبل بين الثلاث والعشر ، وقد حددها بالأربع . الأجير : الراعى المستأجر . الأشرات : القويات النشطات ، من الأشر وهو الشبع والرى

(٣) عنيف ـ يعنى حمار الوحش ـ شديد غير رقيق . الضرائر . يريد بها هاته الأتن ليضرب فيها كأنهن ضرائر . فاحش . متجاوز الحد فى عنفه . شتيم . كريه المنظر . كذلق الزج . كحد الرمح الأسفل ؛ ذو زمرات . صاحب زجر ودفع بشدة وعنف .

(٤) البهمى : نبت . جعدة : ندية . حبشية : شديدة الخضرة . وهى لشدة خضرتها تضرب إلى السواد . السبرات : الغدوات الباردة

(٥) عمرو : هو ابن الشيخ الثعلى ، وكان من أرمى العرب . القترات ، جمع القترة : بيت الصائد الذى يختفى فيه لئلا يراه الوحش فينفر منه

(٦) تلت الحصى لتا : تسحقه سحقاً وتخلطه خلطاً . السمر : يريد بها الحوافر . رزينة : ثقيلة . موازن . صلاب لا تعمل فيها الحجارة . لا كزم . غير قصار . ولا معرات . ولا ممروط شعورهن

(٧) يرخين : يسبلن . عرى خلل : عرى جفون السيوف . مشهورة : كل جلد

وعَنْسٍ كَألْوَاحِ الإِرَانِ نَسَأْتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَالْبُرْدِ ذِى الحِبَرَاتِ (١)

فَغَادَرْتُهَا مِنْ بَعْدِ بُدْنٍ رَذِيَّةً تَغَالَى عَلَى عُوجٍ لَهَا كَدِنَاتِ (٢)

وأَبْيَضَ كَالْمِخْرَاقِ بَلَّيْتُ حَدَّهُ وهَبَّتَهُ فى السَّاقِ والقَصَرَاتِ (٣)

= منقوش ، وضفرات : مجدولات . وهذا وصف لأذناب هاتيك الأتن .

(١) وعنس : ورب عنس أى ناقة قوية شديدة الأسر . الإران : خشب صلب كانت تتخذ منه توابيت الموتى . نسأتها : زجرتها وضربتها بالمنسأة وهى العصا . اللاحب : الطريق الواضح ، البرد ذو الحبرات : الثياب اليمنية الموشاة .

(٢) فغادرتها : تركتها . البدن : البدانة والسمن . رذية : هزيلة . تغالى : تغلو جادة فى السير . العوج : يريد بها قوائمها المفتولات مع الصلابة . كدنات : غلاظ مع شدة وصلابة

(٣) وأبيض كالمخراق : يصف سيفه وينعته بالمخراق وهو المنديل يلوى ويضرب به — وهو من لعب الصبيان — وإنما شبه سيفه بالمخراق لخفته وسرعة استعماله فى الضرب فى الساق والقصرات : أى فى السوق والأعناق .

قافية الدال

١٣

قال امرؤ القيس يتوعد بنى أسد (١) :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمُدِ ... وَنَامَ الخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ (٢)

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ... كَلَيْلَةِ ذِى العَائِرِ الأَرْمَدِ (٣)

وذَلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِى ... وَأُنْبِئْتُهُ عَنْ أَبِى الأَسْوَدِ (٤)

ولَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِى ... وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ اليَدِ (٥)

---

(١) اختلف فى هذا الشعر بين الرواة، فرواه الأصمعى وأبو عمرو الشيبانى وأبو عبيدة وابن الأعرابى والطوسى لامرئ القيس بن حجر الكندى . ورواه ابن دريد لامرئ القيس ابن عابس الكندى الصحابى . وقال ابن الكلبى : هو لعمرو بن معديكرب قاله فى قتله بنى مازن بأخيه عبد الله وإخراجهم عن بلادهم، ثم رجوعهم بعد ذلك، وندم عمرو على قتالهم

(٢) تطاول ليلك : يخاطب نفسه بضمير الغير ويشكو طول السهر وكثرة السهاد الأثمد — بضم الميم اسم موضع . والخلى : الخالى من الهموم وبواعثها .

(٣) باتت له ليلة : بات فى ليلة . العائر : المصاب فى عينه بالرمد .

(٤) أبو الأسود : رجل من كنانة يظهر أنه كان هجا امرئ القيس وقال الشنقيطى فى حاشيته : إنه أبا الأسود الكندى . وهو ابن عم امرئ القيس من بنى الجون من كنده وكان زمانا ينازع امرأ القيس حقه فى الملك ، فواعده موضعا فالتقيا كل منهما فى كبكبة من أصحابه فشد أصحاب امرىء القيس على أصحاب أبى الأسود فهزموهم وكشفوهم، وشد امرؤ القيس على أبى الأسود فطعنه فأنفذ حضنيه فمات أبو الأسود وحصل الملك لامرئ القيس . ولم يذكر الشنقيطى مصدر هذا الخبر . وقد كان بلا شك كثير الاطلاع .

(٥) النثا : النبأ . وجرح اللسان كجرح اليد . هذا مثل صحيح . يعنى أن فى الكلام ما يؤثر فى النفس أثر السلاح فى الجسم .

لَقُلْتُ مِنَ القَوْلِ مَالَا يَزَا ... لُ يُؤْثَرُ عَنِّى يَدَ الْمُسْنَدِ (١)

بِأَىِّ عَلَاقَتِنَا تَرْغَبُونَ ... أَعَنْ دمِ عَمْرٍو على مَرْثَدِ (٢)

فَانْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِهِ ... وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لَا نَقْعُدِ (٣)

وإنْ تَقْتُلُونَا نُقَتِّلْكُمْ ... وإنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ (٤)

مَتَى عَهْدُنَا بِطِعَانِ الكُمَا ... ةِ والمَجْدِ والحَمْدِ والسُّؤْدُدِ (٥)

وَبَنْيِ القِبَابِ ومَلْءِ الجِفَانِ ... والنَّارِ والحَطَبِ الْمُفْأَدِ (٦)

وَأَعْدَدْتُ لِلحَرْبِ وَثَّابَةً ... جَوَادَ المَحَثَّةِ والمُرْوَدِ (٧)

سَبُوحًا جَمُوحًا وَإِحْضَارُهَا ... كَمَعْمَعَةِ السَّعَفِ الْموقَدِ (٨)

ومُطَّرِدًا كَرِشَاءِ الجَرُو ... رِ مِنْ خُلُبِ النَّخْلَةِ الأَجْرَدِ (٩)

---

(١) يؤثر . يروى . يد المسند : يد الدهر وأبد الدهر .

(٢) العلاقة : ماتعلقوا به من طلب الترات والطوائل ، ومرثد : رجل من حمير يقول أترغبون عن دم عمرو بدم مرثد ؟ وهو ليس له بكفء .

(٣) لانخفه : لانظهره ، يعنى إن دفنتم من بيننا ما إحن فنحن لانثيرها ، وإن تبعثوا الحرب لانقعد عنها بل نخوض غمراتها الآن خفاه هنا بمعنى أظهره ، وهى غير أخفاه بمعنى ستره .

(٤) وإن تقصدوا لدم نقصد : وإن أردتم حقن الدماء فيما بيننا فلا نخالفكم فى ذلك بل نقصد إليه ونؤثره على غيره .

(٥) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع التام السلاح

(٦) المفأد : عود تحرك به النار، ويروى : والحطب الموقد .

(٧) الوثابة : الفرس النشطة المرحلة الجيدة الوثب. جواد المحثة : يعنى إذا حثت جاد سيرها . المرود : الرفق فى السير .

(٨) السبوح : الفرس التى متى جرت وفتحت ضبعيها كانت كأنها تسبح بيديها . الجموح : الذاهبة على وجهها مرحا ونشاطا . الإحضار : ضرب من السير السريع . المعمعة : صوت الحريق فى سعف النخل الموقد .

(٩) المطرد: الرمح المستوى الكعوب . الرشاء: الحبل . الجرور : الفرس الذى =

وذَا شُطَبٍ غَامِضًا كَلْمُهُ إذَا صَابَ بِالعَظْمِ لَمْ يَنْأَدِ (١)
ومَشْدُودَةَ السَّكِّ مَوْضُونَةً تَضَاءَلَ فِي الطَّيِّ كَالمِبْرَدِ (٢)
تَفِيضُ عَلَى المَرْءِ أَرْدَانُهَا كَفَيْضِ الأَتِيِّ عَلَى الجُدْجُدِ (٣)

١٤

وقال امرؤ القيس وهو بأرض الروم :

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو وأَبْلِغْ ذَلِكَ الحَيَّ الجَدِيدَا (٤)
بِأَنِّي قَدْ هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ بَعِيدًا مِنْ دِيَارِكُمُ بَعِيدَا (٥)
وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمِي لَقُلْتُ المَوْتُ حَقٌّ لَا خُلُودَا (٦)

= يمتنع من القياد ، يعنى أن هذا الرمح فى استوائه كالحبل شد بين الفرس الحرون عن القياد وبين قائده . خلب النخلة : سعفها . الأجرد : الذى لا خوص فيه .

(١) ذو الشطب : السيف المشطب . غامضاً كلمه : بعيد غور جرحه . لم ينأد : لم ينثن ولم يلتو ، بل يقدم العظام قدماً .

(٢) مشدودة السك : الدرع المسرودة المنظومة المتداخل بعضها فى بعض ويروى : ومسرودة السك تضاءل فى الطى : تصغر إذا طويت وتلطف حتى تصير كالمبرد ويروى : ومسرودة النسج .

(٣) تفيض : تغطى وتغمر . أردانها : ذيولها وأطرافها . الأتى : السيل الجارف . الجدجد : الأرض الصلبة القوية .

(٤) بنو حجر : قوم امرئ القيس ورهطه الأدنين . الجديد المقطوع ، ويروى الجدود ، وهو القوى الشديد

(٥) هلكت : يريد أوشكت على الهلاك .

(٦) يعنى لو كان هلاكه حدث بين عشيرته وأهله لآمن بأن الموت حق وأن لا خلود فى هذه الحياة . على أنه لا بقاء ولا خلود سواء أكان بين أهله أم كان بعيدا عنهم

أُعَالِجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كُلَّ يَوْمٍ وأَجْدِرْ بِالمَنِيَّةِ أَنْ تَقُودَا [١]

بِأَرْضِ الرُّومِ لَا نَسَبٌ قَرِيبٌ ولَا شَافٍ فَيُسْنِدَ أَوْ يَعُودَا [٢]

ولَوْ صَادَفْتُهُنَّ عَلى أُسَيْسٍ وحَاقَةَ إِذْ وَرَدْنَ بِنَا وُرُودَا [٣]

عَلَى قُلُصٍ تَظَلُّ مُقَلَّدَاتٍ أَزِمَّتُهُنَّ مَا يَعْدِقْنَ عُودَا [٤]

١٥

وقال امرؤ القيس ، وهو من أول شعره : [٥]

أَذُودُ القَوَافِيَ عَنِّي ذِيَادَا ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِيءٍ جَوَادَا [٦]

فَلَمَّا كَثُرْنَ وعَنَّيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتًّا جِيَادَا [٧]

---

(١) أعالج : أحاول وأطلب . أجدر : أولى . أن تقود : أن تذهب بى إلى حيث المصير الذى صار اليه آبائى وأجدادى ، ويروى : وأجدر بالمنية أن تعودا .

(٢) ويروى : بأرض الشام ، ولا فرق فقد كانت الشام فى ملك الروم ، يعنى لاقريب له يعوله فى حاله ويساعده على شأنه ، ولا طبيب يعوده فى مرضه ويشفيه مما ألم به .

(٣) ولو صادفتهن ، ويروى : واقعتهن ، يريد النوق . أسيس ، وحاقة : موضعان بالشام .

(٤) القلص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة . مايعدقن : مايجمعن .

(٥) ذكر ابن الكلبى أن هذه الأبيات لامرئ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية الكندى ، وبهذا أخذ الآمدى فى كتابه المؤتلف والمختلف . وقال غيره : إنها لامرئ القيس بن عابس الكندى . قال الآمدى : وبهذه الأبيات سمى امرئ القيس بن بكر الذائد ، ورواها غير هؤلاء لامرئ القيس بن حجر .

(٦) أذود : أدفع . القوافى : يريد بها قوافى الشعر أو القصائد نفسها . جرىء ، ويروى : سفى ، والسفى : السفيه والخفيف أيضا وإليه يرجع اشتقاقه . جواد : كريم ويروى : جراد .

(٧) عنينه : تهافتن عليه وكثرن حتى حار فى أمرهن ولاقى العناء منهن فلا يدرى ماذا يأخذ وماذا يرد . ستا جيادا : ست قصائد جيدة .

فَأَعْــزِلُ مَرْجَانَهـا جَانِبًا ... وآخُـذُ مِنْ دُرِّهَا المسْتَجَادَا [١]

١٦

وقال امرؤ القيس :

لِلّهِ زُبْدَانَ أَمْسَى قَرْقَرًا جَــلَدَا ... وكانَ مِنْ جَنْدَلٍ أَصَمَّ مَنْضُودَا [٢]

لا يَفْقَهُ القَوْمُ فِيـهِ كلَّ مَنْطِقِهِمْ ... إلّا سِرَارًا تَخَالُ الصَّوْتَ مَرْدُودَا [٣]

قَامَتْ رَقَاشُ وأَصْحَـابِي عَلى عَجَلٍ ... تُبْدِى لَكَ النَّحْرَ واللَّبَّاتِ والجِيدَا [٤]

١٧

وقال وهو عند قيصر يذكر ابنته هنـد :

أَأَذْكَرْتَ نَفْسَكَ ما لنْ يَعُودَا ... فَهَاجَ التَّذَكُّرُ قَلْبًا عَمِيدَا [٥]

تَذَكَّرْتُ هِنْــدًا وأَتْرابَهـا ... فَأَصْبَحْتُ أَزْمَعْتُ مِنْهَا صُدُودَا [٦]

ونَادَمْتُ قَيْصَرَ فى مُلْكِهِ ... فَأَوْجَهَنِى ورَكِبْتُ البَرِيدَا [٧]

إِذَا ما ٱزْدَحَمْنَـا عَـلى سِكَّةٍ ... سَبَقْتُ الفُرَانِقَ سَبْقًا شَدِيدَا [٨]

---

(١) المرجان : صغار الدر .

(٢) زبدان : يراد به الزبدانى ، وهى كورة مشهورة بين دمشق وبعلبك منها مخرج نهر دمشق ، قرقر جلدا : ظهر تراكب عليه الجليد . وهذا البيت وصف للنهر خاصة

(٣) السرار : الخفوت .

(٤) رقاش : اسم امرأة .

(٥) القلب العميد : الذى عمده الحب وأمرضه .

(٦) أزمعت : توقعت منها الصدّ والهجران .

(٧) أوجهنى : جعلنى عنده وجيها . ويروى : فأرحبنى ، يعنى أنزلنى فى مكان رحب وركبت البريد : يريد خيل البريد . وهذا دليل العناية به والحفاوة بشأنه .

(٨) الفرانق : قالوا إنه حيوان يتقدم الأسد ، وقالوا إنه الأسد نفسه .

١٨

وقال يمدح ابنى زهير من بنى سلامان بن ثعل :

أَرَى إبلِي والحَمْدُ لِلّهِ أَصْبَحَتْ ثِقَالًا إذَ مَا اسْتَقْبَلَتْهَا صُعُودُهَا(١)

رَعَتْ بِحِيَالِ ابْنَيْ زُهَيْرٍ كِلَيْهِمَا مَعَاشِيبَ حَتَّى ضَاقَ عَنْهَا جُلُودُهَا(٢)

١٩

وقال امرؤ القيس :

وَلَقَدْ رَحَلْتُ العِيسَ ثُمَّ زَجَرْتُهَا وَهْنًا وقُلْتُ عَلَيْكِ خَيْرَ مَعَدِّ(٣)

فَعَلَيْكِ سَعْدَ بْنَ الضِّبَابِ فَأَسْرِعِي سَيْرًا إلَى سَعْدٍ عَلَيْكِ بِسَعْدِ(٤)

قَرْمٍ تَفَرَّعَ مِنْ إِيَادٍ بَيْتُهُ بَيْنَ النَّبِيتِ الأَكْرَمِينَ وَسَرْدِ(٥)

---

(١) ثقالا : يريد سماناً . أو ثقالا بما حملت من الخيرات

(٢) بحيال : بكنف ، ابنا زهير ، هما : قيس وشمر . معاشيب : كثير عشبها . حتى ضاق عنها جلودها : يريد أن إبله لكثرة سمنها كادت جلودها تضيق عنها .

(٣) روى سيبويه هذا البيت له . العيس : الإبل العيساء أى المائلة ألوانها إلى الحمرة. وهنا : يعنى من أول الليل. خير معد: أى خير العرب كلها من أبناء معد بن عدنان.

(٤) ويروى : وعليك سعد بن الضبان فسمحى . قال ابن سيده: كان ابن جنى ينشد هذا البيت هكذا ويفتح الضاد من الضباب ؛ وإذا فعلينا أن نرويه بالفتح ، وبالكسر على رأى الآخرين .

(٥) القرم السيد العظيم . النبيت وسرد : من قبائل إياد . ودوى له هذه الأبيات الثلاثة ابن عساكر فى تاريخه .

٢٠

ويروى له :

تَرَاءَتْ لَنَا بَيْنَ النَّقَا وعُنَيْزَةٍ وَبَيْنَ الشَّجَى مِمَّا أَحَالَ عَلَى الْوَادِي (١)

---

(١) قال ياقوت فى معجمه : إن الحجاج أنشد هذا البيت لامرئ القيس وكان الحجاج بعث رجلا يحفر مجرى المياه بين البصرة ومكة وقال له : احفر بين عنيزة والشجى حيث تراءت الملك الضليل ، والله ماتراءت له إلا على الماء . والنقا: القطعة من الرمل تنقاد محدودبة. وعنيزة : تنهية تنتهى مياه الأودية إليها . وهى ببطن الرمة على ميل من القريتين ، وكانت لبنى عامر بن كريز . والشجى : مفازة لا نبت فيها . وقد أدخل بعض الاعراب الالف واللام على عنيزة فقال :

لعمرى لضب بالعنيزة صائف تضحى عراداً فهو ينفخ كالقرم
أحب إلينا أن يجاور أهلها من السمك الجرىّ والسلجم الوخم

قافية الراء

٣١

وقال امرؤ القيس ، فى توجهه إلى قيصر ملك الروم مستنجداً به على ردّ ملكه إليه ، والانتقام من بنى أسد :

سَمَا بِكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا ... وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا (١)

كِنَانِيَّةٌ بَانَتْ وفِى الصَّدْرِ وُدُّهَا ... مُجَاوِرَةً غَسَّانَ والحَىَّ يَعْمُرَا (٢)

بِعَيْنَىَّ ظُعْنُ الحَىِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَى جانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمُرا (٣)

---

(١) سما : علا وتزيد أقصر : ترك وارعوى . وحلت : نزلت . قو : واد بجزيرة العرب يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج وعليه قنطرة يعبر القفول عليها يقال لها بطن قو . قال الجوهرى : قو بين فيد والنباج واستشهد ببيت امرئ القيس . وعرعر : واد آخر يظهر أنه قريب من قو . ويروى : سمالك .

(٢) كنانية . هى سليمى التى ذكرها فى البيت الأول ، وكانت من بنى كنانة ، وبنى كنانة قبيلة مضرية . بانت . بعدت . وفى الصدر ودها . وحبها لا يزال يملأ الصدر ويشغل البال . غسان . اسم ماء نزل عليه بنو مازن بن الغوث وبنو جفنة وخزاعة فسموا به ، وإليه ينسب الغساسنة ملوك الشام . ويعمر . قبيلة من قبائل كنانة . ويروى . بجاورة نعمان ، وهو جبل مشرف على عرفات .

(٣) بعينى . يقول . بمرأى منى ومنظر كان ظعنهم . الظعن . الهوادج تحمل النساء ، والظعن الرحيل . الأفلاج . جمع فلج ، والفلج كما قال أبو منصور . اسم بلد ؛ ومنه قيل لطريق تأخذ من البصرة إلى اليمامة ، طريق بطن فلج ، وأنشد للأشهب « ابن رميلة » :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرَا (١)

أَوِ المُكْرِعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِي يَلِينَ المُشَقَّرَا (٢)

سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ وَعَالَيْنَ قِنْوَانًا مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا (٣)

= هم ساعد الدهر الذى يتقى به وما خير كف لاتنوء بساعد

وقيمر . مكان به قلعة بين الموصل وخلاط، أوهى مدينة بالشام كانت، ويروى : بعينيك

(١) الآل السراب يرى فى أول النهار عند ارتفاع الضحى كأنه الماء. تكمشوا : أخذوا فى سيرهم وجدوا فيه ويروى : حين زماهم . حدائق دوم : شبههم بالحدائق المملوءة بشجر الدوم وهو المقل . أو السفين المقير ، وهو المطلى بالقار : يعنى الزفت ، ويروى : عصائب دوم .

(٢) المكرعات من النخل. أى النخل النابت على الماء . ابن يامن : اسم رجل كان له نخيل بهجر . المشقر . قال ابن الفقيه : هو حصن بين نجران والبحرين ، يقال إنه من بناء طسم ، وهو على تل عال ، ويقا له حصن بنى سدوس وقال غيره. المشقر حصن بالبحرين عظيم لعبد قيس ، يلى حصناً لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر . وقال يزيد بن مفرغ يهجو المنذر بن الجارود العبدى ، وكان أجاره فلم يحسن جواره :

تركت قريشاً أن اجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر

اناس أجارونا فكان جوارهم أعاصير من فسو العراق المبذر

فهلا بنى اللفاء كنتم بنى استها فعلتم فعال العامرى ابن جعفر

حمى جاره بشر بن عمرو بن مرثد بألف كمى فى الحديد مكفر

وخاض حياض الموت من دون جاره كهولا وشباناً كجنة عبقر

وأداه موفوراً وقد جمعت له كتائب حضر للهمام ابن منذر

(٣) سوامق : عاليات . الجبار من النخل . الفتى وهو الذى فات الأيدى فلم تنله والأثيث : الملتف بعضه على بعض . وعالين : رفعن . قنوان : عذق . البسر : ما احمر من التمر . ويروى :

فأثت أعاليه وآدت أصوله ومال بقنوان من البسر أحمرا

هذا تشبيه للظعن وهى سائرة بهذه النخيل وهى ظاهرة متناوحة .

حَمَتْهُ بَنُو الرَّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِنٍ ... بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى أَقَرَّ وَأَوْقَرَا (١)

وأَرْضَى بَنُو الرَّبْدَاءِ واعتَمَّ زَهْرُهُ ... وأَكْمامُهُ حَتَّى إِذَا ماتَهَصَّرَا (٢)

أَطَافَتْ بِهِ جَيْلَانُ عِنْدَ قِطَاعِهِ ... تَرَدَّد فِيهِ العَيْنُ حَتى تَحَيَّرَا (٣)

كَأَنَّ دُمَى سُقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ ... كَسَا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشْيًا مُصَوَّرَا (٤)

غَرَائِرُ فِي كِنٍّ وَصَوْنٍ وَنِعمَةٍ ... يُحَلَّيْنَ يَاقُوتًا وَشَذْرًا مُفَقَّرَا (٥)

ورِيحَ سَنًا فِي حُقَّةٍ حِمْيَرِيَّةٍ ... تُخَصُّ بِمَفْرُوكٍ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرَا (٦)

---

(١) حمته : منعته يعنى هذا النخل الجبار . بنو الربداء : قوم كانوا فى شق البحرين لهم بصر بالنخيل ومعرفة بغراسه واستغلاله . أقر استقر . وأوقر : حمل ثمراً كثيراً جيداً .

(٢) اعتم زهره : بدا وطال وصلح بسره . ويروى : واعتم زهوه . وأكمامه : أقماعه . وتهصر : تدلى وطلب أن يهصر أى يجنى وتقلع أعذاقه .

(٣) أطافت به : اكتنفته وأحاطت به جيلان. قوم من الديلم كان كسرى يرسلهم عمالا له على البحرين . عند قطاعه : وقت انصرامه . تردد فيه العين : تكر عليه العين مرة بعد مرة، وهى عين ماء البحرين : قال أبو منصور : عين فوارة بالبحرين وما رأيت عيناً أكثر ماء منها ، وماؤها حار فى منبعها فإذا برد فهو ماء عذب . وقال ابن الكلبي : محلم ، الذى تنسب إليه هذه العين ، ابن عبدالله زوج هجر بنت المكفف من الجرامقة . ويروى : وردت عليه الماء حتى تحيرا .

(٤) الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة من رخام أو خشب أو نحو ذلك . سقف : جبل بديار طيئ. يظهر أنه كانت به تماثيل قديمة وصفها امرئ القيس بالدمى . المرمر : ضرب من عالى الرخام . مزبد : علاه الزبد . الساجوم : واد بجزيرة العرب . ولم يذكره ياقوت فى معجمه . الوشى : الثياب المحلاة بالوشى ، وفيها صور طيور وغيرها .

(٥) غرائر : غوافل لا تجربة لهن . الكن : ما يكنهن ويحفظهن ويصونهن . الشذر : قطع الذهب . مفقر : مصوغ على شكل فقار الجرادة .

(٦) السنا : نبت ذو رائحة زكية، وقد يتخذ للتداوى . الحقة : علبة من خشب أو =

وبَانًا وأَلْوِيًّا مِنَ الهِندِ ذَاكِيًا ورَنْدًا ولُبْنَى والكِبَاءَ المُقَتَّرَا (١)

غَلِقْنَ بِرَهْنٍ مِنْ حَبِيبٍ بِهِ ادَّعَتْ سُلَيْمَى فَأَمْسَى حَبْلُهَا قَدْ تَبَتَّرَا (٢)

وكَانَ لَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ خُلَّةٌ يُسَارِقُ بِالطَّرْفِ الخِبَاءَ المُسَتَّرَا (٣)

إِذَا نَالَ مِنْهَا نَظْرَةً رِيعَ قَلْبُهُ كَمَا ذَعَرَتْ كَأْسُ الصَّبُوحِ المُخَمَّرَا (٤)

نَزِيفٌ إِذَا قَامَتْ لِوَجْهٍ تَمَايَلَتْ تُرَاشِي الفُؤَادَ الرَّخْصَ إِلَّا تَخَتَّرَا (٥)

أَأَسْمَاءُ أَمْسَى وُدُّهَا قَدْ تَغَيَّرَا سَنُبْدِلُ إِنْ أَبْدَلْتِ بِالوُدِّ آخَرَا (٦)

أَلَا هَلْ أَتَاهَا والحَوَادِثُ جَمَّةٌ بِأَنَّ امْرَأَ القَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرَا (٧)

= نحوه . حميرية : مما يصنع ملوك حمير بالبين المفروك المسك الجيد يفرك ويوضع في هذه الحقة . الأذفر : صفة للمسك وهو الشديد الرائحة ، الطيب النكهة .

(١) البان : شجر طيب دهن الثمر . الألوى : العود . الرند : شجر طيب الثمر زكى الرائحة . واللبنى : الميعة . والكباء : البخور . المقتر : المدخن .

(٢) غلق الرهن : حل موعده وتعذر فكاكه . حبلها : يريد وصلها . تبتر : تقطع .

(٣) الخلة : الصحبة بخليل يعنى نفسه . يسارق : يخالس . الخباء المستر : المكان الذى تقيم فيه وعليه الستر .

(٤) ريع قلبه : فزع وذعر وخفق بحبها . الصبوح : شرب الخمر بالغداة . المخمر : الذى رنحه الخمر وأصابه بالخمار .

(٥) نزيف : نشوى . تراشى الفؤاد : ترميه بنظرها . التختر : التخدر والخداع

(٦) سنبدل : سنتخذ بدلا منك إن اتخذت بدلا منا .

(٧) قيل إن أم امرئ القيس هى تملك بنت عمرو بن معد يكرب . وهو غير عمرو الزبيدى المشهور . وهى التى عناها بهذا البيت ؛ وقيل إنها أم أحد أجداده وإليها كانوا ينسبون . بيقر : قال الجوهرى : أقام بالحضر وترك قومه بالبادية .

تَذَكَّرْتُ أهْلِي الصَّالِحِينَ وقَدْ أتَتْ عَلَى خَمَلَى خُوصُ الرِّكَابِ وأوْجَرَا (١)

فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ والآلُ دُونَهَا نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرَا (٢)

تَقَطَّعُ أسْبَابُ اللُّبَانَةِ والهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وشَيْزَرَا (٣)

بِسَيْرٍ يَضِجُّ العَوْدُ مِنْهُ يَمُنُّهُ أخُو الجَهْدِ لا يَلْوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا (٤)

ولَمْ يُنْسِنِي ما قَدْ لَقِيتُ ظَعَائِنًا وخَمْلاً لَهَا كالقَرِّ يَوْمًا مُخَدَّرَا (٥)

كَأثْلٍ مِنْ الأعْرَاضِ مِنْ دُونِ بَيْشَةٍ ودُونَ الغُمَيْرِ عَامِدَاتٍ بِغَضْوَرَا (٦)

فَدَعْ ذَا وسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إذَا صَامَ النَّهَارُ وهَجَّرَا (٧)

---

(١) خملى وأوجر . موضعان . ويروى : على حمل بنا الركاب وأعفرا . ويروى على جمل منا .

(٢) حوران : كورة واسعة فى جنوب دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وقصبتها بصرى . والآن قصبتها تسمى السويداء . ومازالت منازل العرب، وبها الآن فرقة الدروز وهم من انبه عرب الشام ذكراً وأشجعهم قلباً . الآل : السراب ، ويروى : فلما بدا حوران والآل دونه ، يريد الجبل .

(٣) حماة وشيزر : مدينتان شهيرتان من مدن الشام .

(٤) العود : الجمل المسن . يمنه : يضعفه . أخو الجهد . يريد نفسه وهو السائق الجد الشديد الدفع . لايلوى : لايلتفت ولا يميل . تعذر : امتناع . ويروى :

عشية جاوزنا حماة وشيزرا أخو الجهد لايلوى على من تعذرا :

(٥) الظعائن : النساء فى الهوادج . الخمل : الظعينة . والقر : الهودج . والمخدر : المقيم فى الخدر .

(٦) الأثل : شجر معروف . الأعراض . الأودية . بيشة . مكان مشهور بكثرة السباع . الغمير : واد بديار حنظلة . ويروى :

عوامد للأعراض من بطن شابة ودون الغمير قاصدات لغضورا

(٧) الجسرة : الناقة القوية على السير . الذمول : السريعة صام النهار . قامت الظهيرة . وهجر : حميت الهاجرة واشتد حرها . ويروى فدعها

تَقَطَّعُ غِيطَانَاً كأنَّ مُتُونَهَا إذَا أَظْهَرَتْ تُكْسَى مُلَاءً مُنَشَّرَا (١)

بَعِيدَةِ بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ كأنَّهَا تَرَى عِنْدَ مَجْرَى الضَّفْرِ هِرًّا مُشَجَّرَا (٢)

تَطَايَرُ ظِرَّانُ الحَصَى بِمَنَاسِمٍ صِلَابِ العُجَى مَثْلُومُهَا غَيْرُ أَمْعَرَا (٣)

كأنَّ الحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وأَمَامِهَا إذَا نَجَلَتْهُ رِجْلُهَا حَذْفُ أَعْسَرَا (٤)

كأنَّ صَلِيلَ المَرْوِ حِينَ تَشِذُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا (٥)

عَلَيْهَا فَتًى لَمْ تَحْمِلِ الأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ وأَوْفَى وأَصْبَرَا (٦)

هُوَ المُنْزِلُ الْأُلَّافِ مِنْ جَوِّ نَاعِطٍ بَنِي أَسَدٍ حَزْنَاً مِنَ الأَرْضِ أَوْعَرَا (٧)

---

(١) الغيطان : الأرض المطمئنة. متونها: ظهورها. وأظهرت : دخلت فى وقت الظهيرة . الملاء المنشر : الثوب المبسوط

(٢) المنكب : رأس العضد . الضفر : حبل يفتل من شعر وهو من أطناب الهودج . الهر : القط ، مشجر : مربوط معلق

(٣) الظران : قطع الحجارة المحددة. العجى. جمع عجاية، وهى كما قال الأصمعى : قدر مضغة تكون موصولة بعصبة تنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن . المثلوم : الخف الذى ثلمته الحجارة والحصى . غير أمعر : لم يذهب شعره . ويروى : تطاير شذان.

(٤) نجلته : رمته بمناسمها . الحذف : الرمى، الأعسر: الذى يعمل بيده اليسرى. فهو إذا حذف بها فقلما أصاب ، ويقال لمن يعمل بكلتا يديه : أعسر يسر

(٥) صليل المرو : صوت الحجارة . تشذه تطيره : الزيوف : الدراهم الزائفة التى لافضة فيها . عبقر : وادزعموا أنه كثير الجن ، وإليه تنسب نفائس الأشياء وبدائع الفكر ، فيقال : هذا بساط عبقرى، وهذا رأى عبقرى ، وهذا رجل عبقرى ، وذلك لكل حسن مستجاد ويروى ، حين تطيره

(٦) الفتى، يريد به نفسه : الميثاق ، العهد يستوثق فيه بالوفاء ، ويروى ، وأبصرا

(٧) الألاف ، القصاد الذين يؤمونه لإلفهم الإحسان به : ناعط ، جبل باليمن برأسه حصن قديم كان لبعض الأذواء قرب عدن قال وهب : قرأنا على حجر فى =

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمْيَرٍ ... وَلَكِنَّهُ عَمْدًا إِلَى الرُّومِ أَنْفَرَا (١)

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا (٢)

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا (٣)

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكًا ... بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الفُرَانِقَ أَزْوَرَا (٤)

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ ... إِذَا سَافَهُ العَوْدُ النُّبَاطِيُّ جَرْجَرَا (٥)

= قصر ناعط . بنى هذا القصر سنة كانت ميرتنا من مصر . قال وهب . فإذا ذلك أكثر من ألف وستمائة سنة . الحزن : الأرض الصعبة المسالك . أوعر من الوعورة : وهى الشدة والصعوبة . وبنى أسد : منادى مضاف . فكأنه يقول . عليكم يا بنى أسد بالنزول بالأرض الغليظة الخشنة ذات الوعورة . وهو وعيد وتهديد لبنى أسد

(١) العمد القصد . أنفر . غزا ، يقول إنه لو شاء لغزا بنى أسد بجموع من أرض حمير ، ولكنه آثر أن يغزوهم بجيوش من أرض الروم تنكيلا بهم وتسويئاً لسمعتهم

(٢) لما قصد امرؤ القيس أرض الروم مستنجداً القيصر على بنى أسد ورد ملك أبيه إليه صحب معه عمرو بن قميئة ، وكان من أقدم شعراء بكر ومن أقواهم عارضة . وشعره جيد حسن ، قال وهو مع امرئ القيس ، وقد بكت بنته فبكى لبكائها :

سألتنى بنت عمرو عن الأر ... ضين إذ تنكر أعلامها
لما رأت ساتيد ما استعبرت ... لله در اليوم من لامها
تذكرت أرضا بها أهلها ... أخوالها فيها وأعمامها

فقال امرؤ القيس : «بكى صاحبي» . . ومات عمرو فى هذه الرحلة فقيل له : عمرو الضائع . والدرب : المدخل إلى أرض الروم

(٣) يقول : نحن نطلب الملك فإن بلغنا أربنا منه وإلا ألححنا فى الطلب حتى نموت دونه ؛ وفى هذا أشرف العذر لنا

(٤) زعيم : كفيل . إن رجعت مملكا . إن عاد لى ملكى بعد هذه الرحلة . الفرانق . الأسد . أزور . مائل العنق . ويروى . وإنى أذين

(٥) اللاحب : الطريق الواضح . لا يهتدى بمناره : يعنى ليس له منار يهتدى به والمنار . العلامة توضع على الطريق لإرشاد المسافرين ، سافه . شمه . العود النباطى .

عَلَى كلّ مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدٍ   بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا (١)

أَقَبَّ كَسِرْحَانِ الغَضَى مُتَمَطِّرٍ   تَرَى الْمَاءَ مِنْ أَعْطَافِهِ قَدْ تَحَدَّرَا (٢)

إذا زُعْتَهُ مِنْ جَانِبَيْه كِلَيْهِمَا   مَشَى الْهَيْدَبَى فى دَفِّهِ ثُمَّ فَرْفَرَا (٣)

إذا قُلْتُ رَوَّحْنَا أَرَنَّ فُرَانِقٌ   عَلَى جَلْعَدٍ وَاهِى الأَبَاجِل أَبْتَرَا (٤)

لَقَدْ أَنْكَرَتْنِي بَعْلَبَكُّ وأَهْلُهَا   ولاَبْنُ جُرَيْجٍ فى قُرَى حِمْصَ أَنْكَرَا (٥)

نَشِيمُ بُرُوقَ الْمُزْنِ أَيْن مَصَابُهُ   ولاَ شَيْءَ يَشْفِى مِنْكِ يَا ابْنَةَ عَفْزَرَا (١)

= الجمل المسن الضخم . جرجر . رغا وضج . ويروى : على ظهر عادى تحاربه القطا .

(١) مقصوص الذنابى: محذوف الذيل . وقد كانت العادة عندهم أن تحذف أذناب خيل البريد ليكون ذلك علامة لها . معاود . معتاد السير . بريد السرى. رسول الليل والسرى لا يكون إلا ليلا . وبربر ؛ قبيلة كانت معروفة بالقيام على خيل البريد .

(٢) أقب . ضامر والسرحان . الذئب . والغضى . شجر تأوى إليه الوحوش وذئاب الغضى أخبث الذئاب . متمطر . سابق . أعطافه . نواحيه ويريد بالماء العرق

(٣) زعته: جذبته بلجامه، الهيدبى . ضرب من المشى السريع . دفه . جنبه. فرفر : أنغض رأسه ، ويروى : الهيذبى ؛ والهربذى ، ويروى : قرقرا ؛ ويروى . إذا راعه

(٤) روحنا : سرّعنا وأرواحنا من عناء السير . أرن فرانق : صاح أسد ، الجلعد القوى الغليظ : واهى الأباجل : ممتو عروق الأكحل وأبتر محذوف الذنب ، ويروى . على هزج .

(٥) بعلبك : مدينة معروفة من مدن الشام . أنكرتنى : لم يعرف فيها قدرى كما لم يعرف قدرى ابن جريج فى قرى حمص التى مررت بها . وفى رواية أبى سعيد السكرى : وابن جريج كان فى حمص أنكرا .

(٦) نشيم : تنظر ؛ بروق المزن . لمعان البرق فى السحاب ، لأنه يعقبه المطر . أين مصابه . أين يقع مطره ، فلعله يقع فى ديار الأحباب فتستريح النفس وتشفى من الوجد على أنه لا شىء يشفى من الشوق والحنين إليك يا ابنة عفزر : وهى امرأة كان يهواها =

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإتْبِ مِنها لأَثَّرَا (١)

لَهُ الوَيلُ إنْ أَمسَىٰ ولَا أُمُّ هَاشِمٍ قَرِيبٌ ولَا البَسْبَاسَةُ ابنَةُ يَشْكُرَا (٢)

أَرَى أُمَّ عَمرو دَمعُهَا قَدْ تَحَدَّرَا بُكاءً عَلى عَمْرو وَمَا كانَ أَصبَرَا (٣)

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمسَ عَشْرَةَ ليلَةٍ وَرَاءَ الحِسَاءِ مِنْ مَدَافِعِ قَيْصَرَا (٤)

إذَا قُلْتُ هٰذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ وَقَرَّتْ لهُ العينَانِ بُدِّلْتُ آخَرَا (٥)

كذٰلِكَ جَدِّي ما أُصَاحِبُ صَاحِبًا مِنَ النَّاسِ إلا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا (٦)

= فيمن هوى من النساء ، ويروى : أشيم مصاب المزن

(١) ثم وصف ابنة عفزر هذه فقال : من القاصرات الطرف : يعنى أنها ممن قصرت أعينهن عن النظر إلى من ليس لهن من الرجال ، ويظهر أنها كانت زوجه ، أو هو جعلها قد اختصته بنفسها دون سواه . لو دب محول من الذر : لو مشى الذر الصغير جدا على الإتب . القميص غير المخيط الجانبين الذى كانت تلبسه لأثر فى جسمها وهذا نهاية فى الرقة واللطف ، وهو دليل على أنها نشأت فى نعمة ورفاهية .

(٢) له الويل : له الشقاء والحزن الطويل ، يعنى نفسه . وأم هاشم : كنية ابنة عفزر . البسباسة ابنة يشكر . امرأة أخرى من صواحباته

(٣) أم عمرو : هى ما أرى ابنة عمرو بن قميئة الشاعر وصاحبه فى السفر ، وهى التى بكت لبعد الشقة ولتشوقها إلى ديار أهلها فبكى لبكائها عمرو أبوها لما رأى من طول السفر فى درب الروم فقال امرؤ القيس « بكى صاحبى » ؛ تحدر : انصب وما كان أصبرا : أى لم أجد أصبر من ابنته على سلوك الدرب ، وعلى فراق الأهل

(٤) الحساء : جمع حسى : الأماكن السهلة المنخفضة التى يستنقع فيها الماء . مدافع قيصر : مسالحه التى على حدود بلاده المعدة لحمايتها والدفاع عنها

(٥) يقول : إن الدهر لا يبقى لى على صاحب أرتضيه . ولهذا فأنا أزال فى استبدال الأصحاب واختيار أكثرهم موافقة لى ، وليس هذا إلا من معاكسة الدهر له

(٦) كذلك جدى : هكذا حظى . فلا أختار صاحباً وأجعله موضع ثقتى وراحة نفسى إلا خاننى وتغير على

وَكُنَّا أُنَاسًا قَبْلَ غَزْوَةِ قَرْمَلٍ ... وَرِثْنَا الغِنَى وَالمَجْدَ أَكْبَرَ أَكْبَرَا (١)

وَمَا جُبْنَتْ خَيْلِي ولٰكِنْ تَذَكَّرَتْ ... مَرَابِطَهَا مِنْ بَرْبَعِيصَ وَمَيْسَرَا (٢)

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ ... بِتَاذِفَ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرْطَرَا (٣)

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَذَارَانَ ظَلْتُهُ ... كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنِ أَعْفَرَا (٤)

وَنَشْرَبُ حَتَّى نَحْسَبَ الخَيْلَ حَوْلَنَا ... نَقَادًا وَحَتَّى نَحْسَبَ الجَوْنَ أَشْقَرَا (٥)

فَهَلْ أَنَا مَاشٍ بَيْنَ شَرْطٍ وَحَيَّةٍ ... وَهَلْ أَنَا لَاقٍ حَيَّ قَيْسِ بْنِ شَمَّرَا (٦)

---

(١) قرمل أحد أقيال حمير باليمن ، وهو قرمل بن الحميم ملك بعد مرثد الخير بن ذي جدن ، وكان امرؤ القيس قصده لينصره على بنى أسد الذين قتلوا أباه ، فأمده بأخلاط من عرب اليمن وشذاذ القبائل والمستأجرة ؛ فكان منهم فى عناء آخر الوقعة.

(٢) وفى رواية ابن السكيت :

يذكرها أوطانها تل ماسح ... منازلها من بربعيص وميسرا

قال: تل ماسح موضع . وقال ياقوت : هو من أعمال حلب بالشام ، وميسر مكان . وقال أبو عمرو : كانت ببربعيص وميسر وقعة قديمة

(٣) تاذف قرية من قرى حلب . وطرطر ، قال ياقوت : قرية بوادى بطنان وهو وادى بزاعة ، قرب حلب يسمونها طلطل

(٤) قذاران : اسم رومى لقرية فى نواحى حلب كما رواه ياقوت ، قال : ويروى : ولا مثل يوم فى قذار . وهذه القرية موجودة إلى الآن - يعنى إلى عهد ياقوت - معروفة ، وبحلب قرية يقال لها أذار ملك لبنى أبى جرادة . على قرن أعفر . قرن ظبي : يريد أنهم كانوا فى ذلك الموضع على غير استقرار ولا طمأنينة . ويروى : كأنى وأصحابى بقلة عندرا

(٥) ونشرب : نسكر . النقاد : صغار الغنم . الجون : الأبيض خالطه سواد ، أو الأسود مازجه بياض ، يعنى أنهم كانوا يشربون حتى يذهب تمييزهم بين الأشياء المتباينة

(٦) الشرط : الخطر العظيم

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ الدُّجَى بِاللَّيْلِ عَنْ سَرْوِ حِمْيَرَا (١)

أَجَارَ قُسَيْسًا فَالطَّهَاءَ فَمِسْطَحًا وجَوًّا فَرَوَّى نَخْلَ قَيْسِ بْنِ شَمَّرَا (٢)

وعَمْرُو بْنُ دَرْمَاءَ الْهُمَامُ إِذَا غَدَا بِذِي شُطَبٍ عَضْبٍ كَمِشْيَةِ قَسْوَرَا (٣)

وكُنْتُ إِذَا مَا خِفْتُ يَوْمًا ظُلامَةً فَإِنَّ لَهَا شِعْبًا بِبُلْطَةَ زَيْمَرَا (٤)

نِيَافًا تَزِلُّ الطَّيْرُ عَنْ قُذُفَاتِهِ يَظَلُّ الضَّبَابُ فَوْقَهُ قَدْ تَعَصَّرَا (٥)

---

(١) سرو حمير : أعالى بلاد حمير باليمن ، وهذا حنين منه إلى أوطانه

(٢) قسيس والطهاء : موضعان لم يذكرهما ياقوت ، ومسطح، قال ياقوت : اسم موضع فى جبل طيئ ، قال امرؤ القيس ،

ألا إن فى الشعبين شعب بمسطح وشعب لنا فى بطن بلطة زيمرا

(٣) عمرو بن درماء : رجل نزل به امرؤ القيس فيمن نزل بهم ، ومنزله بلطة وهى عين ونخل وواد به طلح لبنى درماء فى أجإ ، وفيه يقول امرؤ القيس :

نزلت على عمرو بن درمان بلطة فياحسن ماجار ويا كرم ماحل

ومن طريف مايروى أن امرأة من الأعراب قدمت مصر فرضت فأتاها النساء يعللنها بالكعك والرمان وأنواع العلاجات ، فلم يرق لها شئ من هذا ، وأخذت تقول :

لأهل بلطة إذ حلوا أجارعها أشهى لعينى من أبواب سودان

جاؤا بكعك ورمان ليشفينى ياويح نفسى من كعك ورمان

وذو شطب : سيف مشطب . عضب ، ماض . القسور : الأسد

(٤) زيمر : مكان به بلطة بجبلى طيئ

(٤) نيافا : يريد جبالا منيفات عالية ذاهبة فى العلو والارتفاع بحيث نزل الطير عن قذفاتها ، وهى أبعادها ومرتفعاتها ، ولا تثبت عليها ، وأن الضباب لايفارقها طوال السنة . وتعصر : سال ماؤه

٢٣

وقال امرؤ القيس : (١)

أَحَارِ ابْنَ عَمْرٍو كَأَنِّى خَمِرْ ... وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ (٢)

فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِىِّ ... لَا يَدَّعِى القَوْمُ أَنِّى أَفِرّْ (٣)

تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَأَشْيَاعُهَا ... وَكِنْدَةُ حَوْلِى جَمِيعًا صُبُرْ (٤)

إِذَا رَكِبُوا الخَيْلَ وَاسْتَلْأَمُوا ... تَحَرَّقَتِ الأَرْضُ وَاليَوْمُ قَرّْ (٥)

تَرُوحُ مِنَ الحَىِّ أَوْ تَبْتَكِرْ ... وَمَاذَا عَلَيْكَ بِأَنْ تَنْتَظِرْ (٦)

---

(١) اثبت المفضل وأبو عمرو الشيبانى وغيرهما هذه القصيدة لامرئ القيس وجعلوا أولها : البيت الثانى « لا وأبيك ابنة العامرى » وزعم الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم ، وأولها عنده « أحار بن عمرو » هذه خلاصة قول صاحب الخزانة .

(٢) أحار ، مرخم ياحارث . كأنى خمر : الخمار بقية السكر ، تقول : رجل خمر - بفتح فكسر - أى فى عقب خمار . ويقال : خامره الداء أى خالطه . وعدا عليه : جار . والائتمار : الامتثال ، أى ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشد فربما كان هلاكه فيه .

(٣) ثم التفت إلى صاحبته ابنة العامرى ، وهى هر بنت سلامة بن علندويقال سلامة بن عبدالله بن عليم ، وزعموا باطلا أنها كانت امرأة أبيه - فقال لها : وأبيك لا تأخرت عن نزال أعدائى لئلا يدعوا على الفرار من القتال ويروى أن هذا البيت هو أول القصيدة . وهذا قول راجح مقبول .

(٤) أشياعها : من شايعها على الحرب . وكندة : قوم امرئ القيس .

(٥) واستلأموا : لبسوا اللأمة وهى الدروع . وتحرقت : اشتعلت من شدة الحرب . قر بارد .

(٦) تروح : تخرج وقت الرواح وهو آخر النهار . أو تبتكر فى أول النهار ، ويروى : وماذا يضرك لو تنتظر .

أَمَرْخٌ خِيَامُهُمْ أَمْ عُشَرْ ... أَمِ القَلْبُ فى إِثْرِهِمْ مُنْحَدِرْ (١)

وَفى مَنْ أقامَ مِنَ الحَىِّ هِرْ ... أَمِ الظَّاعِنُونَ بِهَا فى الشُّطُرْ (٢)

وهِرٌّ تَصِيدُ قُلوبَ الرِّجَال ... وأَفْلتَ مِنْها ابنُ عَمْرٍو حُجُرْ (٣)

رَمَتْنى بِسَهْمٍ أَصَابَ الفُؤادَ ... غَدَاةَ ٱلرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ (٤)

فَأُسْبِلُ دَمْعِى كَفَضِّ الجُمَانِ ... أوِ الدُّرِّ رَقْرَاقُهُ المُنْحَدِرْ (٥)

وإِذْ هِىَ تَمْشِى كَمَشْىِ النَّزِيفِ ... يَصْرَعُهُ بِالكَثِيبِ البَهَرْ (٦)

بَرَهْرَهَةٌ رُودَةٌ رَخْصَةٌ ... كَخُرْعُوبَةِ البَانَةِ المُنْفَطِرْ (٧)

فَتُورُ القِيامِ قَطِيعُ الكَلَامِ ... تَفْتَرُّ عَنْ ذِى غُرُوبٍ خَصِرْ (٨)

---

(١) المرخ : شجر قصار ينبت بنجد والعشر : شجر طوال ينبت بالغور ، يعنى هل هم منجدون أم مغيرون ؟

(٢) الشطر : القرب ، ويروى :

وشاقك بين الخليط الشطر ... وفى من أقام من الحى هر

(٣) ابن عمرو حجر هو حجر أبو امرئ القيس ، يعنى أن أباه نجا منها ووقع هو فى حبائلها ، ومن هنا زعموا أنها كانت زوجة لحجر بن عمرو ، وعندى أن هذا البيت يشير إلى أنها كانت من القيان اللاتى يغشين قصور الملوك ليطربنهم ويأخذن جزرهم أى عطاءهم ، وهن مع ذلك يحاولن أن يوقعنهم فى شركهن . وفى البيت نكتة لطيفة لمن يلتفت إلى ذكر الصيد والهر والإفلات . فكأنه فأر أفلت من هر

(٤) يريد بالسهم : عينيها . فلم أنتصر : فلم آخذ بثأرى .

(٥) فاسبل دمعى : سال . كفض الجمان : كانتثار العقد المنتظم جمانا .

(٦) النزيف : السكران الذى لا يكاد يتماسك فى سيره . البهر : الكلال وانقطاع النفس .

(٧) البرهرهة : الرقيقة الجلد الملساء الممتلئة المترجرجة . الرود : الشابة الناعمة. رخصة : لينة مع نعومة . الخرعوبة : الغصة ، البانة : قضيب البان . المنفطر : المنشق.

(٨) فتور القيام : لثقل عجيزتها . قطيع الكلام : لكثرة الحياء . تفتر : تبتسم. عن غروب : عن ثغر حسن الأسنان رقيق الماء . خصر : عذب بارد .

كَأَنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمامِ   وريحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُرْ (١)

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا   إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ (٢)

فَبِتُّ أُكَابِدُ لَيلَ التِّمامِ   والقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ مُقْشَعِرْ (٣)

فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا   فَثَوْباً نَسِيتُ وثَوْباً أَجُرْ (٤)

وَلَمْ يَرَنَا كَالِئٌ كَاشِحٌ   وَلَمْ يَفْشُ مِنَّا لَدَى البَيْتِ سِرْ (٥)

وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا يَاهَنَاهُ   وَيْحَكَ أَلْحَقْتَ شَراً بِشَرْ (٦)

وَقَدْ أَغْتَدِي وَمَعِي القَانِصَانِ   وَكُلٌّ بِمَرْبَأَةٍ مُقْتَفِرْ (٧)

---

(١) المدام : الخمر . وصوب الغمام . ماء السحاب . الخزامى : خيرى البر وهو نبت حسن الريح . ونشر القطر : ريح العود الذى يتبخر به

(٢) يعل : يسقى بالمدام مرة بعد مرة . طرب الطائر : رفع صوته وصاح ، ويروى : إذا غرد . ويريد بالطائر هنا الديك المستحر : المؤذن فى السحر .

(٣) أكابد : أقاسى وأعانى . ليل التمام : أطول ليالى العام . خشية : خوف ووجل . مقشعر : خائف مضطرب .

(٤) تسديتها : علوتها وركبتها . ودنوت : قربت . فثوباً نسيت وثوبا أجر ، ويروى : فثوب . ويروى صدره فأقبلت زحفاً على الركبتين . قال الزمخشرى : يريد أنه اجتهد فى الوصول إليها فى الليل الطويل وقاسى شدة من خوف رقبائها فزحف على ركبتيه حتى وصل إليها ونسى بعض ثيابه عندها . والذى أراه أنها ملكت عليه عقله حتى نسى أحد ثوبيه عندها وخرج يجر ثوبه الآخر على الأثر ليعفيه فلا يظهر

(٥) كالئ : حارس : الكاشح . المعادى . لم يفش : لم يظهر .

(٦) رابنى : أوقع الريبة فى نفسى . ياهناه : كما تقول : ياهذا . ألحقت شرا بشر ركبت تهمة فوق تهمة .

(٧) اغتدى : أخرج للصيد فى غدوة النهار . القانصان : الصائدان . المربأة : المكان المرتفع يقف فيه ربيئة القوم ليشرف على العدو أو على الصيد ويروى مكانه . مقتفر : متتبع آثار الوحوش المراد صيدها .

فيُدْرِكُنَا فَغِمٌ دَاجِنٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ (١)

أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَبِيُّ الضُّلوعِ تَبُوعٌ طَلُوبٌ نَشِيطٌ أَشِرْ (٢)

فَأَنْشَبَ أَظْفَارَهُ فى النَّسَا فَقُلْتُ هُبِلْتَ أَلَا تَنْتَصِرْ (٣)

فَكَرَّ إِلَيْهِ بِمِبْرَاتِهِ كَمَا خَلَّ ظَهْرَ اللِّسَانِ الْمُجِرْ (٤)

فَظَلَّ يُرَنِّحُ فى غَيْطَلٍ كَمَا يَسْتَدِيرُ الحِمَارُ النَّعِرْ (٥)

وأَرْكَبُ فى الرَّوْعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ (٦)

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ رُكِّبَ فيهِ وَظِيفٌ عَجِرْ (٧)

---

(١) الفغم الداجن . الكلب الألوف، المعد للصيد ، الحريص على القنيصة ، المولع بها . طلوب : شديد الطلب ، مدرك لفائته . نكر : منكر داه .

(٢) ألص الضروس : ملتصق الأنياب بعضها ببعض . حبي الضلوع : مشرف الضلوع ظاهرها . ويروى : حنى الضلوعْ . تبوع : حريص على تتبع آثار الصيد حتى يدركه . أشر : نهم .

(٣) النسا : عرق فى الفخذ إلى القوائم . هبلت : دعاء من امرئ القيس لأحد زميليه أن يتقدم نحو الثور الذى أمسك به الكلب فيطعنه ليساعد الكلب فى صيده وينصره على فريسته .

(٤) كر عليه : يعنى أن الثور طعن الكلب بمبراته : بقرنه . وشبه طعنه إياه بإدخال العود فى لسان الفصيل ليمنع من الرضاع . والمجر : الذى يدخل العود ، وهذا مثل

(٥) يرنح : يترنح ويستدير ، يريد أن يسقط لشدة الطعنة التى أصابته من الثور . الغيطل : الشجر الملتف . الحمار النعر : الذى دخلت النعرة ـ وهى ذبابة خضراء ـ فى أنفه ، فهو فى هذه الحال لا يستقر له قرار . يشبه حالة الكلب حين طعنه الثور بهذا الحمار النعر .

(٦) الروع : الفزع . وخيفانة : فرس خفيفة تشبه الجرادة . سعف منتشر : شعر على الناصية متفرق ، شبه شعر الناصية بسعف النخلة .

(٧) قعب الوليد : قدر صغير يأكل منه الصبى . الوظيف ما بين الرسغ إلى الركبة ، وما بين الرجل إلى العرقوب أو ما فوق الحافر . عجر : غليظ .

لَهَا ثُنَنٌ كَخَوافِي العُقَابِ سُودٌ يَفِينَ إذَا تَزْبَئِرّْ (١)

وسَاقانِ كَعْبَاهُمَا أصْمَعَانِ لَحْمُ حَماتَيْهِمَا مُنْبَتِرْ (٢)

لهَا مَتْنَتَانِ خَظَاتَا كَمَا أكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرْ (٣)

لَهَا غُدُرٌ كَقُرُونِ النِّسَا ءِ رُكِّبْنَ فى يَوْمِ رِيحٍ وَصِرْ (٤)

وسَالِفَةٌ كَسَحُوقِ اللِّيا نِ أَضْرَمَ فِيهَا الغَوِىُّ السُّعُرْ (٥)

لَهَا جَبْهَةٌ كَسَرَاةِ المِجَنِّ حَذَّقَهُ الصَّانِعُ المُقْتَدِرْ (٦)

---

(١) الثنن : الشعر خلف الرسغ ، أوحول مؤخر الحافر . الخوافى : ريش فى باطن جناح الطائر . يفين : يزدن . تزبئر : تتنفس .

(٢) أصمعان : صغيران . وقال ابن قتيبة . الصمع اللزوق ، يريد أنهما ليستا برهلتى المفاصل ، وحماتيهما : عضلتا الساقين . ومنبتر : منقطع من الشدة .

(٣) متنتان : جانبا الصلب . خظاتا : كثيرتا اللحم . كما أكب : يعنى كأنهما ساعدا نمر قد برك ، فساعداه عند بروكه يكونان بارزين .

(٤) غدر : جمع غديرة ، وهى شعر بالناصية . وقال ابن قتيبة : ذوائب وقرون النواصى . وصر : برد . يريد أن هذه الشعرات كثيرة ومنتشرة وذاهبة هنا وهناك كأن الريح لعبت بها فى يوم بارد .

(٥) السالفة : جانب العنق . وسحوق : طويلة . والليان : النخل ، واحدتها لينة . وأضرم : أوقد . الغوى : الغاوى . السعر : النار .

(٦) سراة المجن : ظهر الترس : حذقه : سواه بحذق ومهارة فجاء محكم الصنعة . المقتدر : الحاذق بالعمل ، القادر عليه . قال ابن السيد البطليوسى : هذا البيت يروى لامرئ القيس بن حجر ، وكان الأصمعى يرويه عن أبى عمرو بن العلاء لرجل من النمر ابن قاسط يقال له ربيعة بن جشم .

لَهَا مَنْخِرٌ كَوِجَارِ الضِّبَاعِ فَمِنْهُ تُرِيحُ إِذَا تَنْبَهِرْ (١)

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّتْ مَآقِيهِمَا مِنْ أُخُرْ (٢)

إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتَ دُبَّاءَةٌ مِنَ الْخُضْرِ مَغْمُوسَةٌ فِي الغُدُرْ (٣)

وَإِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ أُثْفِيَّةٌ مُلَمْلَمَةٌ لَيْسَ فِيهَا أُثُرْ (٤)

وَإِنْ أَعْرَضَتْ قُلْتَ سُرْعُوفَةٌ لَهَا ذَنَبٌ خَلْفَهَا مُسْبَطِرْ (٥)

وَلِلسَّوْطِ فِيهَا مَجَالٌ كَمَا تَنَزَّلَ ذُو بَرَدٍ مُنْهَمِرْ (٦)

لَهَا وَثَبَاتٌ كَوَثْبِ الظِّبَاءِ فَوَادٍ خِطَاءٌ وَوَادٍ مَطِرْ (٧)

وَتَعْدُو كَعَدْوِ نَجَاةِ الظِّبَاءِ أَخْطَأَهَا الحَاذِفُ المُقْتَدِرْ (٧)

---

(١) الوجار : جحر الضبع : شبه به منخرها لسعته . تريح : تتنفس وتستروح إذا كلت . تنبهر : يضيق نفسها من شدة العدو . قال ابن السيد : البيت لامرئ القيس وذكر أبو عمرو بن العلاء والأصمعي أنه لرجل من النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جشم

(٢) حدرة : عظيمة . وبدرة تبدر بالنظر . والمآقى : مؤخر العينين . وأخر : آخرهما .

(٣) دباءة : منطوية ملساء كأنها الجرادة . مغموسة فى الغدر : مروية من الماء

(٤) الأثفية : الصخرة المستديرة المجتمعة . ململمة : متداخلة مدورة صلبة . الأثر : الخدوش .

(٥) السرعوفة . الجرادة . مسبطر : طويل ممتد .

(٦) يعنى أن سرعتها فى جريها كسرعة المطر المنصب ذى البرد .

(٧) يعنى أنها فى سرعتها لا تعدو حوافرها أماكنها ، فهى كالسحاب يمر بالوديان فيعدو هذا الوادى ويمطر الآخر .

(٨) تعدو : تسرع العدو . الحاذف : الرامى بالعصا ، يعنى أن الفرس هذه فى سرعتها كالظبية التى أفزعها القانص ورماها بعصاه أو بسهمه ، فهى أشد ما تكون عدوا لتنجو بنفسها .

٢٣

وقال يمدح سعد بن الضِّباب الإيادى ، ويهجو هانئ بن مسعود :

لَعَمْرُكَ مَا قَلْبِي إِلَى أَهْلِهِ بِحَرْ ... وَلَا مُقْصِرٍ يَوْمًا فَيَأْتِيَنِي بِقَرْ (١)

أَلَا إِنَّمَا الدَّهْرُ لَيَالٍ وَأَعْصُرُ ... وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ قَوِيمٍ بِمُسْتَمِرْ (٢)

لَيَالٍ بِذَاتِ الطَّلْحِ عِنْدَ مُحَجَّرٍ ... أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ لَيَالٍ عَلَى أُقُرْ (٣)

أُغَادِي الصَّبُوحَ عِنْدَ هِرٍّ وَفَرْتَنَا ... وَلِيدًا وَهَلْ أَفْنَى شَبَابِي غَيْرُ هِرْ (٤)

إِذَا ذُقْتُ فَاهَا قُلْتُ طَعْمُ مُدَامَةٍ ... مُعَتَّقَةٍ مِمَّا تَجِيءُ بِهِ التُّجُرْ (٥)

---

(١) لعمرك : وحياتك . بحر : بمطيق للصبر ولا يجد حرا . ولا مقصر : ولا نازع عما هو عليه . بقر : بما يقره ويصبره .

(٢) أعصر : جمع عصر ، يريد الليالى والأيام . قويم : مستقيم . مستمر : دائم ويروى : ألا إنما ذا الدهر يوم وليلة . ويروى : ألا إنما الدنيا .

(٣) ذات الطلح : أرض كثيرة شجر الطلح وهو أم غيلان . محجر : موضع قريب من ديار طيئ ، ويروى : لليل بذات الطلح .

(٤) أغادى الصبوح : أشرب الخمر فى الغداة ، أى أول النهار : وليد : يريد وهو فى طالعة شبابه ومستهل نشأته ، وهر وفرتنا : من الغوانى اللائى كن موضع غزله .

(٥) إذا ذقت فاها : إذا قبلتها فى فيها . مدامة : خمرة . معتقة : قديمة التجر : يريد تجار الخمر .

هما نَعْجَتَانِ مِنْ نِعَاجِ تَبَالَةٍ لَدَى جُؤْذُرَيْنِ أو كَبَعْضِ دُمَى هَكِرْ (١)

إذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا بِرَائِحَةٍ مِن اللَّطِيمَةِ والقُطُرْ (٢)

كَأَنَّ التِّجَارَ أَصْعَدُوا بِسَبِيئَةٍ مِنَ الخُصِّ حَتَّى أَنْزَلُوهَا على يَسَرْ (٣)

فلَمَّا اسْتَطَابُوا صُبَّ في الصَّحْنِ نِصْفُهُ وشُجَّتْ بِمَاءٍ غَيْرِ طَرْقٍ ولَا كَدِرْ (٤)

بِمَاءِ سَحَابٍ زَلَّ عَنْ مَتْنِ صَخْرَةٍ إلَى بَطْنِ أُخْرَى طَيِّبٌ مَاؤُهَا خَصِرْ (٥)

لَعَمْرُكَ مَا إنْ ضَرَّنِي وَسْطَ حِمْيَرٍ وأَقْوَالِهَا إلَّا المَخِيلَةُ والسَّكَرْ (٦)

---

(١) شبه هر وفرتنا صاحبتيه بالنعجتين : أى بقرتى الوحش . تبالة : موضع ببلاد اليمن. قال ياقوت: وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف ، فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن . والجؤذر: ولد البقرة . والدمى : الصور والتماثيل . هكر : موضع : قال الأزهرى : بلد ويقال قصر ، أراه روميا . وعندى — على ما يؤخذ من وصف امرئ القيس — أنه موضع كان به قصر فيه صور وتماثيل منحوتة من الرخام أو نحوه على شبه النساء ، كأبدع ما صور الإنسان : ويروى : كناعجتين من ظباء تبالة ويروى : هما ظبيتان من ظباء تبالة على جؤذرين . الخ

(٢) تضوع : فاح وانتشر ريحه . اللطيمة : ضرب من المسك الأذفر . والقطر: العود الذى يتبخر به .

(٣) أصعدوا : ساروا . السبيئة : الخمر تبتاع بالمال . الخص : حانوت الخمار . يسر : مقامرون وأغنياء مياسير .

(٤) استطابوا : وجدوها طيبة . الصحن : القدح الكبير . وشجت : مزجت . الماء الطرق : هو الذى بالت فيه الإبل . ولا كدر : وليست به كدورة ولا عكر ؛ فهم يختارون الماء صافياً نقياً .

(٥) بماء سحاب : أى أن الماء الذى مزجوا به الخمر كان من ماء السحاب . زل على متن صخرة : انحدر على صخرة متسربا إلى بطن صخرة أخرى لم يمس التراب ولم يلوثه شىء خصر : بارد .

(٦) حمير: قبيلة يمنية مشهورة. أقوالها : ملوكها ، لأن القيل كان عندهم بمنزلة الملك، أو هو الذى يليه فى السلطان . المخيلة : الخيلاء والكبر . السكر : الشراب المسكر .

وغَيْرُ الشَّقَاءِ المُسْتَبِينِ فَلَيْتَنِي أَجَرَّ لِسَانِي يَوْمَ ذلِكُمُ مُجِرْ (١)

لَعَمْرُكَ مَا سَعْدٌ بِخُلَّةِ آثِمٍ وَلَا نَأْنَإٍ يَوْمَ الحِفَاظِ ولا حَصِرْ (٢)

لَعَمْرِي لَقَوْمٌ قَدْ نَرَى فى دِيَارِهِمْ مَرَابِطَ لِلْأَمْهَارِ والعَكَرِ الدَّثِرْ (٣)

أَحبُّ إِلَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ بِقُنَّةٍ يَرُوحُ عَلى آثارِ شَاتِهِمُ النَّمِرْ (٤)

يُفَاكِهُنَا سَعْدٌ ويَغْدُو لِجَمْعِنَا بِمَثْنَى الزِّقَاقِ المُتْرَعَاتِ وبِالجُزُرْ (٥)

لَعَمْرِي لَسَعْدُ بْنُ الضِّبَابِ إِذا غَدَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ فَا فَرَسٍ حَمِرْ (٦)

وتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلًا ومِنْ خَالِهِ ومِنْ يَزِيدَ ومِنْ حُجُرْ (٧)

---

(١) المستبين : الواضح . أجر لسانى بجر : أى منعنى من الكلام مايمنع الفصيل من الرضاع والمجر : فاعل ذلك .

(٢) سعد : هو سعد بن الضباب . بخلة آثم : ليس هو فى مخالته ومصادقته ومودته بمرتكب الاثم . ولا نأنإ : ولاضعيف مقصر فى الأمور العظيمة . يوم الحفاظ : يوم الجد والكريهة . ولا حصر : ولافه عي عن الكلام ، ولاضيق الصدر عن الاضطلاع بالعظائم .

(٣) العكر الدثر : المال الكثير . ولايطاق إلا على الإبل . وقال الخليل : العكر مازاد عن الخمسمائة من الإبل .

(٤) القنة : رأس الجبل . شاتهم : غنمهم .

(٥) يفاكهنا : يمازحنا ويضاحكنا ، أويجيء لنا بالفاكهة . ويغدو : يبكر . مثنى الزقاق المترعات : أى يأتى إلينا بزقاق الخمر الممتلئات : مثنى مثنى ، وبالجزر : وبما ينحر لنا من البهائم لنأكل .

(٦) فا فرس حمر : أى يامنتن الريح كنتن فم الفرس الحمر الذى أكل شعيراً كثيرا حتى سنق ، فإذا كان فى هذه الحالة كان نتن فمه بالغاً حداً لايطاق . يصف بذلك أحد خصومه ولعله عامر بن جوين الطائى .

(٧) الشمائل : الخلائق والخصال ، جمع شمال .

سَمَاحَةَ ذا وبِرَّ ذَا ووَفَاءَ ذَا وَنَائِلَ ذا إذَا صَحَا وإذَا سَكِرْ (١)

٢٤

مر امرؤ القيس بأصحابه فى طريقهم إلى السموأل فإذا بقرة وحشية حرمية ، فلما رأوها مالوا إليها فذكوها . فبينا هم كذلك جاءهم قوم قناصون فقالوا لهم من أنتم ؟ فانتسبوا لهم من بنى ثعل ، وإذا هم من جيران السموأل ، فاصطحبوا جميعا إليه ، فقال امرؤ القيس : (٢)

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِى ثُعَلٍ مُتْلِجٍ كَفَّيْهِ فِى قُتَرِهْ (٣)

عَارِضٍ زَوْرَاءَ مِنْ نَشَمٍ غَيْرَ بَانَاتٍ عَلَى وَتَرِهْ (٤)

قَدْ أَتَتْهُ الوَحْشُ وَارِدَةً فَتَنَحَّى النَّزْعَ فِى يَسَرِهْ (٥)

فَرَمَاهَا فِى فَرَائِصِهَا بِإزَاءِ الحَوْضِ أوْ عُقُرِهْ (٦)

---

(١) صحا : أفاق من سكره .

(٢) زعم الأصمعى أنه كان ينوح على أبيه بهذه الأبيات .

(٣) بنو ثعل : قبيلة من طيئ كانت مشهورة بجودة الرماية . متلج : مدخل . قتره ، جمع قترة ، وهى بيت الصائد الذى يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه . ويروى : مخرج كفيه من شتره : أى من كمه . ويروى : مخرج زنديه من ستره . وقد اعترض الأصمعى على هذه العبارة وقال : إن الصائد يجب أن يكون أشد ختلا من أن يظهر شيئاً منه .

(٤) الزوراء : يريد بها القوس المنحنية . من نشم : مصنوعة من شجر جيد تعمل منه القسى . غير بانات : غير منحن على وتره . ويقال له غير بائنة عن الوتر .

(٥) فتنحى : فمال وقصد النزع وهو الرمى . فى يسره : فى قبالته .

(٦) فرائصها : جنبها الذى به القلب . إزاء الحوض : مهرق الماء . عقره : مكان الشاربة .

بِرَهيشٍ مِن كِنَانَتِهِ كتَلَظّى الجمرِ فِى شَرَرِهْ [١]

رَاشَهُ مِنْ رِيشِ نَاهِضَةٍ ثُمَّ أَمْهَاهُ عَلَى حَجَرِهْ [٢]

فَهُوَ لا تَنْمِى رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ [٣]

مُطْعَمٌ لِلصَّيدِ لَيْسَ لَهُ غَيرَهَا كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهْ [٤]

وخَلِيــلٍ قَدْ أُفَارِقُهُ ثُمَّ لَا أَبْكِى عَلَى أَثَرِهْ [٥]

وَٱبنِ عَمٍّ قَدْ تَرَكْتُ لَهُ صَفْوَ مَاءِ الحَوْضِ عَن كَدَرِهْ [٦]

وَٱبنَ عَمٍّ قَدْ فُجِعْتُ بِهِ مِثْلَ ضَوْءِ البَدْرِ فِى غُرَرِهْ [٧]

وَحَدِيثِ الرَّكْبِ يَوْمَ هُنَا وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصَرِهْ [٨]

---

(١) الرهيش : السهم الضامر . كنانته : جعبة السهام . كتلظى الجمر : كتوقد النار . فى شرره : فى شدة التهابه .

(٢) راشه : ركب الريش فى السهم . ناهضة : صقر شابة . أمهاه : سقاه الماء . هذا عند أبى عبيدة . وعند غيره : أمهاه أرقه وأحدّه .

(٣) لاتنمى : لاتذهب عن مكانها ، يعنى أن رميته صائبة . ماله لاعدّ من نفره : يقول : قاتله الله ما أحذقه بالرماية .

(٤) مطعم للصيد : يريد أن رزقه مضمون من الصيد ، فهو متى قصد إليه ناله ، لأن الصيد صناعته التى لامورد لكسبه غيره رغم تقدمه فى السن .

(٥) وخليل : ورب خليل . ويروى بدل أفارقه : أصاحبه . يصف نفسه بالصبر والجلد واحتمال الشدائد وعدم الجزع عندوقوعها .

(٦) يعنى أنه حسن الصحبة ، كريم العشرة ، حتى لو أن ابن عمه أتى بما لا ينبغى قابله بالصفح والإحسان .

(٧) يقول ورب ابن عم قد فجعنى فيه الموت ، وهو حقيق بالجزع ، فصبرت على فراقه

(٨) الركب : الجماعة المسافرة . يوم هنا : يوم معروف ، وهنا : اسم موضع ، أو هو يوم لهوه ولعبه وقد كان على طوله قصيرا . ومما يحسن إيراده أن سلم الخاسر =

٢٥

وروى الرواة أن أمرأ القيس كان مِعنًّا مِزْيَلًا عِرِّيضا (١) كثير المنازعة للشعراء ، فزعموا أنه لقى الحارث بن التّوأم اليشكرىّ (٢) جدّ قتادة بن الحارث فقال له : إنّ كنت شاعرًا فملط أنصاف ما أقول فأجزها .

فقال الحارث : قل ما شئت !

فقال امرؤ القيس : أَحَارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنَا (٣)

فقال الحارث : كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارَا (٤)

ــ قال يوما لأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدى :قل أبياتا على روى قول امرئ القيس «رب رام من بنى ثعل » ، ولا أبالى أن تهجونى فيها فقال :

رب مغموم بعافيـــة غمط النعماء من أشره
مـــورد أمرا يسر به فرأى المكروه فى صدره
وامرئ طـالت سلامته فرماه الدهر من غـيره
بسهـام غـير مشوية نقضت منـه عرا مرره
وكـذاك الدهر مختلف بالفتى حالين من عصره
يخلـــط العسرى بميسرة ويسـار المرء فى عسره
عق ســـلم أمـه سفهـا وأبا سلم على كبره
كل يوم خلفـه رجـــل رائح يسعى عـلى اثره
.... كولوج الضب فى جحره

(١) المعن : الذى يدخل فيما لا يعنيه ، ويعرض فى كل شىء . والمزيل :الكيس اللطيف . والعريض : المستعرض بالشر .

(٢) حقق الشنقيطى أنه الحارث بن التوأم ، لا التوأم . وعلى هذا مضى الثقات

(٣) أحار : يا حارث . ويروى : أصاح .يعنى ياصاحبي . بريقا : تصغير برق. هب : لمع . وهنا : من أوائل الليل .

(٤) كنار مجوس : كالنار التى يوقدها المجوس لعبادتها ، فهم يضرمونها حتى ماتكاد تطفأ مدى الدهر .

فقال امرؤ القيس :	أَرِقْتُ لَهُ ونَامَ أَبُو شُرَيْحٍ (١)
فقال الحارث :	إِذَا ما قُلْتُ قَدْ هَدَأَ اسْتَطَارَا (٢)
فقال امرؤ القيس :	كَأَنَّ هَزِيزَهُ بِوَرَاءِ غَيْبٍ (٣)
فقال الحارث :	عِشَارٌ وُلَّهٌ لَاقَتْ عِشَارَا (٤)
فقال امرؤ القيس :	فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَنَفَيْ أَضَاخٍ (٥)
فقال الحارث :	وَهَتْ أَعْجَازُ رَيِّقِهِ فَحَارَا (٦)
فقال امرؤ القيس :	فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السِّرِّ ظَبْيًا (٧)
فقال الحارث :	وَلَمْ يَتْرُكْ بِجَلْهَتِهَا حِمَارَا (٨)

---

(١) أرقت : سهرت . أبو شريح . اسم أخيه .

(٢) هدأ : سكن . استطار : هب وانتشر .

(٣) هزيزه : صوته ، يعنى صوت الرعد الذى يصحب البرق .

(٤) العشار : النوق الحوامل . وله : متولهات على فصلانها الفواقد .

(٥) الكنفان : الجانبان . أضاخ : جبل . ويروى : فلما أن دنا لقفا أضاخ .

(٦) وهت أعجاز ريقه : استرخت أواخر سحبه . فحار فتوقف واستدار فسال سيلا غدقا .

(٧) ذات السر : موضع .

(٨) جلهتها : ناحيتها : يعنى أن المطرعم الوادى بما فيه حتى أغرق كل ظبي وكل حمار ، واكتسح كل حيوان . وقد روى ياقوت هذه الحكاية بصورة أخرى فقال: أتى امرؤ القيس قتادة بن التوأم اليشكرى وأخويه الحارث وأبا شريح، فقال امرؤ القيس يا حار أجز : أحار ترى بريقا هب وهنا

فقال الحارث : كنار مجوس تستعر استعارا

فقال قتادة : أرقت له ونام أبو شريح إذا ما قلت قد هدأ استطارا

فقال أبو شريح : كأن هزيزه بوراء غيث عشار وله لاقت عشارا =

فآلى امرؤ القيس ألا ينازع أحداً من الشعراء بعده .

٣٦

وقال امرؤ القيس فى وصف الغيث [1] :

دِيمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَطَفٌ ... طَبَّقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وتَدُرْ [2]

تُخْرِجُ الوَدَّ إذَا مَا أَشْجَذَتْ ... وتُوَارِيهِ إذَا مَا تَشْتَكِرْ [3]

وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفًا مَاهِرًا ... ثَانِيًا بُرْثُنَهُ مَا يَنْعَفِرْ [4]

وَتَرَى الشَّجْرَاءَ فِى رَيِّقِهَا ... كَرُءُوسٍ قُطِّعَتْ فِيهَا الخُمُرْ [5]

ـ فقال الحارث : فلما أن علا شرجى أضاخ ... وهت أعجاز ريقه فحارا

فقال قتادة : فلم يترك ببطن السر ظبياً ... ولم يترك بقاعته حمارا

فقال امرؤ القيس : إنى لأعجب من بيتكم هذا كيف لا يحترق من جودة شعركم؟ فسموا بنو النار من يومئذ

(١) قال أبو عمرو بن العلاء : سألت ذا الرمة عن أى قول الشعراء الذين وصفوا الغيث ؟ فقال : قول امرئ القيس : ديمة ...... الخ

(٢) الديمة : المطر الدائم . والهطلاء : الغزيرة . وطف : استرخاء . طبق الأرض : تعم الأرض وتطبقها . تحرى : تقصد . وتدر : تصب الماء

(٣) تخرج الودّ تبدى الوتد الذى تربط به أطناب البيوت ، وقال ابن دريد : الود : اسم جبل . اشجذت : كفت وأقلعت . وتواريه : تستره وتخفيه . تشتكر : تحتفل بالماء وتكثر فيها

(٤) ماهر : حاذق بالسباحة . برثنه . وينعفر : يلصق بالتراب .

(٥) الشجراء : جماعة الشجر الملتف . وريقها : أول استهلالها بالمطر . الخمر، جمع خمار : وهو ما يتخمر به الوجه ؛ أى يغطى به.

سَاعَةً ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ ... سَاقِطُ الأَكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِرْ (١)

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى ... فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ (٢)

ثَجَّ حَتَّى ضَاقَ عَنْ آذِيِّهِ ... عَرْضُ خَيْمٍ فَخُفَافٌ فَيُسُرْ (٣)

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ ... لَاحِقُ الْأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُمَرْ (٤)

٢٧

وقال يمدح عوير بن شجنة العوفى :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَبًا ... ضَيَّعَهُ الدُّخْلُلُونَ إِذْ غَدَرُوا (٥)

أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خُفَارَتَهُ ... وَلَمْ يَضِعْ بِالْمَغِيبِ إِذْ نَصَرُوا (٦)

---

(١) انتحاها : اعتمدها وقصدها . الوابل : المطر الشديد . الأكناف : النواحى واه : مسترخ . منهمر : سائل شديد الوقع

(٢) راح : عاد بالعشى أواخر النهار . تمريه الصبا تستخرج ريح الصبا ماءه . الشؤبوب : مطر ريح الجنوب وهى التى تقابل الصبا . منفجر : سائل بغزارة

(٣) ثج : صب . آذيه : موجه . عرض : سعة . خيم وخفاف ويسر : أسماء أماكن . ويروى . لج

(٤) أنفه : أو نباته . لاحق الأيطل : ضامر الخصر ، يعنى فرسه . محبوك : مدمج قوى . ممر . معتدل الخلق ، مفتول العضل

(٥) بنو عوف : قبيلة عوير ، وكان أجار هندا بنت امرئ القيس أو أخته مع ماله . ابتنوا : أثلوا وشيدوا . الدخللون : يريد بهم الخاصة من ذوى القرابة . ويروى الداخلون ، ويريد بهم الدخلاء فى نسبه

(٦) جارهم : يريد نفسه ومن كان معه . خفارته : ذمته وعهده ، يعنى وفوا له ولم يخونوه أو يتخلوا عن جواره . بل نصروه حتى فى غيبته

لَمْ يَفْعَلُوا فِعْلَ آلِ حَنْظَلَةٍ إِنَّهُمْ جَيْرِ بِئْسَ مَا ائْتَمَرُوا (١)

لَا حِمْيَرِيٌّ وَفَى وَلَا عُدَسٌ وَلَا اسْتُ عَيْرٍ يَحُكُّهَا الثَّفَرُ (٢)

لٰكِنْ عُوَيْرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ لَا عَوَرٌ شَانَهُ وَلَا قِصَرُ (٣)

٢٨

وقال يمدح سعدَ بن الضّباب :

مَنَعْتَ اللَّيْثَ مِنْ أَكْلِ ابْنِ حُجْرٍ وَكَادَ اللَّيْثُ يُودِي بِابْنِ حُجْرِ (٤)

مَنَعْتَ فَأَنْتَ ذُو مَنٍّ وَنُعْمَى عَلَيَّ ابْنَ الضَّبَابِ بِحَيْثُ تَدْرِي (٥)

سَأَشْكُرُكَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنِّي وَمَا يَجْزِيكَ مِنِّي غَيْرُ شُكْرِي (٦)

فَمَا جَارٌ بِأَوْثَقَ مِنْكَ جَارًا وَنَصْرُكَ لِلْفَرِيدِ أَعَزُّ نَصْرِ (٧)

---

(١) آل حنظلة : هم من خذل شرحبيل عم امرئ القيس حتى قتل فى حربه مع أخيه سلمة . جير : حقا

(٢) حميرى وعدس : رجلان من بنى حنظلة أعانا على الغدر بعمه شرحبيل وباقى البيت استهزاء واستحقار واستخفاف بهؤلاء الغدر

(٣) لأنه أتى بهند بنت امرئ القيس جارته تحت خفارته حتى أوصلها نجران وأمنت على نفسها من الأعداء . وذلك بالرغم من عوره وقصره، فإن العيوب الظاهرة فى الخلق لاتشين صاحبها إذا كان حسن الخلق قويم الخصال بعيد الهمة

(٤) ابن حجر : يعنى نفسه ، ويريد بالليث عامر بن جوين الطائى الذى كاد يسطو عليه وعلى ماله

(٥) يعنى أن أياديك عندى معروفة مشكورة غير منكورة

(٦) سأشيد بذكرك حامدا لك شاكرا على دفاعك عنى ووقايتك إياى من الهلاك الذى كان محيقاً بى

(٧) يعنى أن ثقة جاره به وبنصره لاتعادلها ثقة بأى مخلوق سواه

٢٩

وقال يهجو بنى حنظلة :

أَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ إِذَا مَا لَقِيتَهُمْ وأَبْلِغْ بَنِي لُبْنَى وأَبْلِغْ تُمَاضِرَا[١]

وأَبْلِغْ ولَا تَتْرُكْ بَنِي ابْنَةِ مِنْقَرٍ أُفَقِّرُهُمْ إِنِّي أُفَقِّرُ خَابِرَا[٢]

أَحَنْظَلَ لَوْ كُنْتُمْ كِرَامًا صَبَرْتُمُ وحُطْتُمْ ولَا يُلْفَى التَّمِيمِيُّ صَابِرَا[٣]

٣٠

وقال يمدح طريف بن مالك ، وقد أكرمه وأحسن إليه :

لَنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
طَرِيفُ بْنُ مالٍ لَيْلَةَ الجُوعِ والخَصَرْ[٤]

إِذِ البَازِلُ الكَوْمَاءُ رَاحَتْ عَشِيَّةً تلاوِذُ مِنْ صَوْتِ المُبِسِّينَ بِالشَّجَرْ[٥]

---

(١) بنو زيد ، وبنو لبنى ، وبنو تماضر : بطون من قبيلة حنظلة

(٢) ابنة منقر : بطن من حنظلة أيضاً . أفقرهم : أرميهم بالفواقر وهى الدواهى يريد أنه يهجوهم فيقصم ظهورهم بإظهار مساويهم . خابر : خبير حاذق . ويروى : نابرا

(٣) أحنظل : يابنى حنظلة : لا يلفى : لا يوجد : وفى الروايات المختلفة : لا يابق . وهو خطأ

(٤) تعشو : تميل إلى ضوء ناره وتنظر إليها عن بعد وقت العشاء وفى ظلمة الليل . الخصر : شدة البرد ، ويروى : ليلة القر والخصر

(٥) البازل الكوماء : الناقة المسنة العظيمة السنام . راحت عشية : عادت من مرعاها آخر النهار . تلاوذ : تراوغ . المبسون . الحالبون للنوق ، لأنهم كانوا عندما يريدون حلب الناقة دعوها وآنسوها بقولهم . بس بس . لتدر لبنها . بالشجر : يعنى فى هذا الوقت الذى تلوذ فيه النوق بحظائر الشجر . ويروى ، بالسحر ، ولعله الصواب

٣١

وقال يصف قيصر . وقد دخل معه الحمام — فيما زعموا :

إِنِّى حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ أَنَّكَ أَقْلَفُ إِلَّا مَاجَنَى القَمَرُ (١)

إِذا طَعَنْتَ بِهِ مالَتْ عِمَامَتُهُ كَمَا تَجَمَّعَ تَحْتَ الفَلْكَةِ الوَبَرُ (٢)

٣٢

وقال يصف ناقته :

أَرَى نَاقَةَ القَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا (٣)

رَأَتْ هَلَكًا بِنِجَافِ الغَبِيطِ فَكَادتْ تَجُذُّ لِذَاكَ الْهِجَارَا (٤)

---

(١) أقلف : أغرل غير مختون . إلا ماجنى القمر : إلا ما كان هناك من تشمر طبيعى فى القلفة ، وتذهب هذه الحالة إلى القمر . ويروى : ماجبى القمر ، ويؤخذ من هذا أن العرب كانت ترى الختان . ولعله مما تركه فيهم إسماعيل بن ابراهيم من الشرائع وإلا لما اعترض على القيصر

(٢) العمامة : يريد بها القلفة المشمرة . الفلكة : يريد بها رأسه المستدير . الوبر: يريد به الشعر . وروى صاحب اللسان هذا البيت هكذا :

إذا طعنت به مالت عمامته كما يلاث برأس الفلكة الوبر

(٣) ناقة القيس : يريد ناقته هو . على الأين : على شدة التعب . ذات هباب : ذات نشاط . نوار : متطلعة إلى ما أمامها

(٤) الهلك : الفراغ . نجاف الغبيط : مدرعة البرذعة . الهجار : الحبل

٣٣

وقال :

عَفا شَطِبٌ مِنْ أَهْلِهِ فَغُرُورُ ... فَمَرْبُولَةٍ إنَّ الدِّيارَ تَدُورُ [1]

فَجِزْعُ مُحَيَّاةٍ كَأَنْ لَمْ تُقِمْ بِهَا ... سَلَامَةُ حَوْلًا كامِلًا وقَذُورُ [2]

---

(١) شطب : جبل فى ديار بنى أسد به روضة غناء ، قال عبيد بن الأبرص الأسدى .

يامن لبرق أبيت الليل أرقبه ... فى عارض كمضىء الصبح لماح

دان مسف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

كأنه ريقه لما علا شطبا ... أقراب أبلق ينفى الخيل رماح

فمن بمحوزته كمن بعقوته ... والمستكن كمن يمشى بقرواح

وغرور : ثنية باليمامة ، وهى ثنية الأحيسى ؛ ومنها طلع خالد بن الوليد رضى الله عنه على مسيلمة الكذاب . ومربولة : موضع

(٢) جزع محياة . مكان سلامة وقذور : امرأتان من صواحباته

قافية السين

٣٤

وزعم الرواة أن عَبيدَ بن الأَبرَص الأسَدِىّ لقى امرأ القيس فقال له عَبيد : كيف معرفتك بالأوابد ؟ فقال امرؤ القيس : ألق ما شئت تجدنى كما أحببت (١)

فقال عَبيد :

مَا حَبَّةٌ مَيْتَةٌ أَحْيَتْ بِمَيِّتَتِهَا ... دَرْدَاءُ مَا أَنبَتَتْ سِنًّا وَأَضْرَاسَا (٢)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِى سَنَابِلِهَا

فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طولِ المُكثِ أَكْدَاسَا (٣)

فقال عبيد :

مَا السُّودُ وَالبِيضُ والأَسْمَاءُ واحِدَةٌ ... لَا يَسْتَطِيعُ لهُنَّ النَّاسُ تَمْسَاسَا (٤)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ السَّحابُ إِذَا ٱلرَّحْمنُ أَرْسَلَهَا ... رَوَّى بِهامِنْ مُحُولِ الْأَرْضِ أَيْبَاسَا (٥)

---

(١) إذا صح هذا كان ذلك قبل أن تقتل بنو أسد حجرا وتنشأ العداوة بين امرئ القيس وبين بنى أسد قبيلة عبيد

(٢) ويروى : ماحية . وليست بشىء . درداء : لاسن لها ولا ضرس

(٣) أكداس : أنبار من الشعير . مكدس بعضها على بعض

(٤) التمساس : المس باليد

(٥) المحول : الأرض التى لانبات بها . والأيباس : التى لم يبلها المطر

فقال عبيد :

مَا مُرْتَجات على هَوْلٍ مَرَاكِبُهَا يَقْطَعْنَ طُولَ المَدَى سَيْرًا وأَمْرَاسَا (١)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ النُّجومُ إذَا حَانَتْ مَطَالِعُهَا شَبَّهْتَهَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ أَقْبَاسَا (٢)

فقال عبيد :

مَا القَاطِعَاتُ لأَرْضٍ لا أَنِيسَ بِهَا تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسَا ؟ (٣)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الرِّيَاحُ إذا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كَنَّاسَا (٤)

فقال عبيد :

مَا الفَاجِعَاتُ جِهَارًا فِي عَلَانِيَةٍ أَشَدُّ مِنْ فَيْلَقٍ مَمْلُوءَةٍ بَاسَا ؟ (٥)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ المَنَايَا فَمَا يُبْقِينَ مِنْ أَحَدٍ يَكْفِتْنَ حَمْقَى وَمَا يُبْقِينَ أَكْيَاسَا (٦)

فقال عبيد :

مَا السَّابِقَاتُ سِرَاعَ الطَّيْرِ فِي مَهَلٍ لَا تَسْتَكِينُ وَلَوْ أَلْجَمْتَهَا فَاسَا ؟ (٧)

---

(١) المرتجات : المتعلق بهن الرجاء ، وهو الغيث الذى يحى الموات

(٢) كانت العرب تظن أن المطر يجيء بفعل النجوم . أقباس : نيران

(٣) أنكاس : مرتدات خلف ظهورهن . والرياح أنى هبت مضت على وجهها

(٤) يعنى أن الرياح متى هبت اكتسحت ما أمامها من التراب

(٥) الفاجعات : الآتية بالفواجع . الفيلق : الفرقة العظيمة من الجيش . مملوءة بأساً : مملوءة قوة

(٦) يكفتن : يقبضن . الحمقى والكيسى : الجهال والعقلاء

(٧) الفأس : حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الجِيَادُ عَلَيْهَا القَوْمُ قَدْ سَبَحُوا ... كَانُوا لَهُنَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ أَحْلَاسَا (١)

فقال عبيد :

مَا القَاطِعَاتُ لِأَرْضِ الجَوِّ فى طَلَقٍ ... قَبْلَ الصَّبَاحِ ومَا يَسْرِينَ قِرْطَاسَا ؟ (٢)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ الْأَمَانِىُّ يَتْرُكْنَ الفَتَى مَلِكاً ... دُونَ السَّماءِ ولَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَاسَا (٣)

فقال عبيد :

مَا الحَاكِمُونَ بِلَا سَمْعٍ ولَا بَصَرٍ ... ولَا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ النَّاسَا ؟ (٤)

فقال امرؤ القيس :

تِلْكَ المَوَازِينُ والرَّحْمٰنُ أَنْزَلَهَا ... رَبُّ البَرِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ مِقْيَاسَا (٥)

٣٥

وقال امرؤ القيس يتوجع من مرضه بأرض الروم :

أَلِمَّا عَلَى الرَّبْعِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا ... كَأَنِّى أُنَادِى أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا (٦)

---

(١) الروع : الفزع وقت الحرب . أحلاس : ملازمون ظهور الجياد وهى الخيل كأنهم الأحلاس وهى الجلال التى تغطى بها ظهور الخيل تحت السروج

(٢) مايسرين : مايمشين فى الليل . ويروى : مايسوين . القرطاس : الورق

(٣) الأمانى ، جمع أمنية : وهى مايتمناه الإنسان من ممكن ومستحيل

(٤) الحاكمون : الذين ينصبهم الناس حكاما لهم لإظهار الحق من الباطل هى الموازين

(٥) المقياس : مايقاس عليه ويوزن به . ولا شك فى أن هذه المحاورة عريقة فى الوضع ولا أستطيع أن أصدق حدوثها لما فيها من أغراض ومعان لم تكن معروفة عند الجاهليين

(٦) ألما : ميلا وانزلا . عسعس: موضع بالبادية . قال ياقوت : قال بعضهم =

فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِنَا ... وجَدْتُ مَقِيلًا عِنْدَهُمْ ومُعَرَّسَا (١)

فَلَا تُنْكِرُونِي إِنَّنِي أَنَا ذَاكُمُ ... لَيَالِيَ حَلَّ الحَيُّ غَوْلًا فَأَلْعَسَا (٢)

تَأَوَّبَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَغَلَّسَا ... أُحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأُنْكَسَا (٣)

فَإِمَّا تَرَيْنِي لا أُغَمِّضُ سَاعَةً ... مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أُكِبَّ فَأَنْعَسَا (٤)

فَيَارُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ... وطَاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَا (٥)

وَيَارُبَّ يَوْمٍ قَدْ أَرُوحُ مُرَجَّلًا ... حَبِيبًا إِلَى البِيضِ الكَوَاعِبِ أَمْلَسَا (٦)

يُرِعْنَ إِلَى صَوْتِي إِذَا مَا سَمِعْنَهُ ... كَمَا تَرْعَوِي عِيطٌ إِلَى صَوْتِ أَعْيَسَا (٧)

= ألم تسأل الربع القديم بعسعسا ... كأنى أنادى أو أكلم أخرسا

فلو أن أهل الدار بالدار عرجوا ... وجدت مقيلا عندهم ومعرسا

فأنت ترى أن ياقوت قد نكر القائل ولم يثبت القول لامرئ القيس . ولعل هذه الأبيات مما أضافه الرواة على قصيدة امرئ القيس

(١) كعهدنا : كما عهدناهم نزولا بها . المقيل : المكان الذى تنزل فيه وقت القائلة فى منتصف النهار . المعرس : الموضع الذى تنزل فيه وقت التعريس من آخر الليل

(٢) غول : جبل فى حضنه وادفيه نخيل وعيون للضباب . وألعس : جبل فى ديار بنى عامر

(٣) عند بعض الرواة أن هذا البيت هو أول القصيدة ، ولم يثبت ماقبله لامرئ القيس ، تأوبنى : أتانى مع الليل فى وقت الغلس ، أحاذر : أخشى من نكس الداء ومعاودته

(٤) أكب : يأخذنى شبه النوم فيحنى رأسى فأنعس

(٥) المكروب : الواقع فى كربة لا يقوى منها على الخلاص ، ويريد به من حاقت به أخطار الحرب وضاق مجاله فيها حتى يكاد يقتل أو يؤخذ . كررت : حملت بفرسى على مصدر كربه حتى تنفس وانفرج المضيق أمامه فنجا

(٦) مرجلا : مسرح الشعر . أملس : لم ينبت عارضاه ، يعنى فى ميعة شبابه ومستهل فتائه

(٧) يرعن : يفزعن ويلتفتن . العيط ، جمع عيطاء ويريد بها الناقة الفتية التى لم =

أَرَاهُنَّ لَا يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ ولَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وقُوِّسَا (١)

ومَا خِلْتُ تَبْرِيحَ الحَيَاةِ كَمَا أَرَى تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُومَ فَأَلْبَسَا (٢)

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً ولَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا (٣)

ولَوْ أَنَّ نَوْمًا يُشْتَرَى لَاشْتَرَيْتُهُ قَلِيلًا كَتَغْمِيضِ القَطَا حَيْثُ عَرَّسَا (٤)

وبُدِّلْتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ فَيَا لَكِ مِنْ نُعْمَى تَحَوَّلْنَ أَبْؤُسَا (٥)

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا (٦)

أَلَا إِنَّ بَعْدَ العُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً وبَعْدَ المَشِيبِ طُولَ عُمْرٍ ومَلْبَسَا (٧)

= تحمل والأعيس : الفحل من الجمال القوى على الضراب . وضمير يرعن عائد إلى البيض الكواعب اللائى ذكرهن فى البيت السابق

(١) أراهن : يعنى النساء وقوس : انحنى ظهره لكبر سنه

(٢) خلت : حبست . التبريح : شدة البلاء . ويروى: وماخفت ، وليست بشىء يعنى أن المرض أعجزه عن لبس ثيابه

(٣) فلو أنها نفس : يريد نفسه . تموت جميعة : يعنى مرة واحدة ، ولكن المرض يأخذ منها شيئاً فشيئاً وقيل إن معناه أن موته موت كثير ممن يعيشون فى كنفه وتحت رعايته

(٤) لأن القطا لايكاد ينام إلا غرارا . ولذلك قال الشاعر

ولولا المزعجات من الليالى لما ترك القطا طيب المنام

(٥) وبدلت قرحا : يزعم الرواة أن ملك الروم أهدى إليه حلة مسمومة فلما لبسها سرى السم فى جسمه فقرحه . والظاهر أنه أصيب بمرض يشبه الجدرى فصنع به ماصنع . وقد أصابه المرض بطريق العدوى من الطماح الذى كان قد أصيب به

(٦) الطماح : رجل من بنى أسد بعثه قومه إلى قيصر ملك الروم فى إثر امرئ القيس ليحول بينه وبين قصده بطريق المكر والخداع والمخاتلة ، ووشى به عند القيصر وزعموا أنه مكر به حتى سم . قال الكميت بن زيد الأسدى :

ونحن طمحنا لامرئ القيس بعد ما رجا الملك بالطماح نكبا على نكب

(٧) العدم : الفقر والشدة : قنوة : غنى ويسار ونعمة

٣٦

وقال امرؤ القيس :

أَماوِيَّ هَلْ لِي عِنْدَكُم مِنْ مُعَرَّسِ ... أَمِ الصَّرْمَ تَخْتَارِينَ بِالْوَصْلِ نَيْأَسِ (١)

أَبِينِي لَنَا إِنَّ الصَّرِيمَةَ رَاحَةٌ ... مِنَ الشَّكِّ ذِي المَخلوجَةِ المُتَلَبِّسِ (٢)

كأنِّي ورَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ قارِحٍ ... بِشُرْبَةَ أَوْ طَاوٍ بِعِرْنانَ مُوجِسِ (٣)

تَعَشَّى قَلِيلًا ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ ... يُثِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ ومَكْنِسِ (٤)

يُهِيلُ ويُذْرِي تُرْبَهَا ويُثِيرُهُ ... إِثَارَةَ نَبَّاثِ الهَوَاجِرِ مُخْمِسِ (٥)

---

(١) أماوى . ياماوية ، وهى إحدى صواحباته . معرس نزول ومبيت وحسن معشر . الصرم : الهجر والقطيعة

(٢) أبينى : أوضحى وصرحى بما فى نفسك : إن وصلا وإن قطيعة ، فلى فى الحالتين راحة . ذو المخلوجة : يعنى أن القطيعة والهجر البين أولى من الشك الناشئ عن اللبس والخلط والالتواء

(٣) الرحل: القتب والأحقب .الحمار الوحشى الأبيض الحقوين.القارح:التام الحسن المتناهى القوة . شربة : موضع ، أوطاو: أوثور وحشى مما يطوى البلاد قوة ونشاطاً . عرنان : قاله ياقوت : مكان يوصف بكسرة الوحش قال بشر بن أبى حازم:

كأنى وأقتادى على حشة الشوى ... بحربة أو طاو بعسفان مرجس

تمكث شيئاً ثم أنحى ظلوفه ... يثير التراب عن مبيت ومكنس

أطاع له من جو عرنين بارض ... ونبذ خصال فى الخمائل مخلس

موجس : منصت متسمع لكل نبأة

(٤) تعشى : دخل فى وقت العشاء ، وهو أول الليل . أنحى ظلوفه : اعتمد أظلافه أى حوافره . يثير التراب : يحفر الأرض ليتخذ له من بطنها مأوى يأوى إليه ؛ والمكنس : المكان الذى تكنس فيه للظباء أى تحتجب فيه

(٥) يهيل : يفرق التراب عن مكانه ليتسع لجثومه . نباث الهواجر: الذى ينبث —

فَبَاتَ عَلى خَدٍّ أَحمَّ ومَنْكِبٍ وضِجْعَتُهُ مِثْلُ الأَسِيرِ المُكَرْدَسِ (١)

وبَاتَ إلَى أرْطاةِ حِقْفٍ كأَنَّها إذا أَلْثَقَتْها غَبْيَةٌ بيْتُ مُعْرِسِ (٢)

فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً كِلابُ بنِ مُرٍّ أَوْ كِلابُ بنِ سِنْبِسِ (٣)

مُغَرَّثَةً زُرْقًا كَأَنَّ عُيُونَها مِنَ الذَّمْرِ والإيحاءِ نُوَّارُ عِضْرِسِ (٤)

فَأَدْبَرَ يَكْسُوهَا الرَّغَامَ كأَنَّهُ عَلى الصَّمْدِ والآكامِ جَذْوَةُ مُقْبِسِ (٥)

وأَيْقَنَ إنْ لاقَيْنَهُ أَنَّ يَوْمَهُ بِذِي الرِّمْثِ أَوْ مَاوَتْنَهُ يَوْمُ أَنفُسِ (٦)

= التراب فى وقت الهاجرة لتحس إبله برد الثرى فيسكن عنهن العطش . المخمس : الذى ترد إبله الماء لخمس

(١) خد أحم : حار . المكردس : المجتمع بعضه على بعض

(٢) أرطاة : شجرة الأرطى . والحقف ما اعوج من الرمل . ألثقتها : بلتها وندتها . الغبية : الدفعة من المطر . المعرس : البانى بأهله

(٣) غدية ، تصغير غدوة : أول النهار . ابن مر وابن سنبس : صائدان حاذقان لعلهما ثعليان من طيئ وفى مصر قبيلة من سنبس فى الصعيد وتعد من كرام القبائل

(٤) مغرثة : مجوعة ، والغرثان الجائع . الذمر : الإغراء ، والإيحاء : الإشارة إلى الصيد بحالات خفية ، نوار العضرس : زهر بقلة حمراء . ويروى : من الذمر والإيساد ، وقال ابن برى : العضرس نبات له لون أحمر تشبه به عيون الكلاب لأنها حمر

(٥) أدبر : كر راجعاً . الرغام : التراب . والصمد : ماصلب من الأرض . والآكام : الكدى . جذوة مقبس : شعلة نار . ويروى : على القور

(٦) وأيقن ، يريد الثور الوحشى الذى قصد الصائدان بكلابهما إلى صيده . لاقينه : نازلنه ، يعنى الكلاب . أن يومه : أن حينه وموته . بذى الرمث : مكان ، ماوتنه : استماتت فى طلبه ، واستمات الثور فى دفعهن عنه . يوم أنفس : يوم ذهاب نفوس ، فإما نفسه وإما نفوس الكلاب ، ويروى أن ماوتنه .

فأدْرَكْنَهُ يأْخُذْنَ بالسّاقِ والنَّسا ... كما شَبْرَقَ الوِلْدانُ ثَوْبَ المُقَدَّسِ (١)

وغَوَّرْنَ فى ظِلِّ الغَضَى وتَرَكْنَهُ ... كفَحْلِ الهِجانِ الفادرِ المُتَشَمِّسِ (٢)

٣٧

وقال يذكر علته بأنقرة :

لِمَنْ طَلَلٌ دائرٌ آيُهُ ... تَقادَمَ فى سالِفِ الأحْرُسِ (٣)

وتُنْكِرُهُ العَيْنُ مِنْ حادِثٍ ... ويَعْرِفُهُ شَغَفُ الأنْفُسِ (٤)

فإمّا تَرَيْنِي وَبى عَرَّةٌ ... كأنّى نَكِيبٌ مِنَ النِّقْرِسِ (٥)

وَصَيَّرَنِي القَرْحُ فى جُبَّةٍ ... تُخالُ لَبِيسًا وَلَمْ تُلْبَسِ (٦)

تَرَى أثَرَ القَرْحِ فى جِلْدِهِ ... كنَقْشِ الخَواتِمِ فى الجِرْجِسِ (٧)

---

(١) يأخذن : يريد الكلاب لما أدركت الثور أخذت تعضه وتجذبه من ساقه ونساه . شبرق : مزق . ثوب المقدس : ثوب الراهب الذى يأتى بيت المقدس حاجا فإن الأولاد يتمسحون بثيابه ويجذبونها تبركا بها ، ويا حسن حظ من تخرج فى يده قطعة من ثوبه . كذلك فعل الكلاب بالثور

(٢) وغورن : دخلن – يعنى الكلاب . ظل الغضى : ملتف شجر الغضا . وتركنه يعنى الثور . كفحل الهجان : كالجمل الضروب . الفادر المتشمس : الذى ترك الضراب وبرز إلى الشمس مرحا ونشاطاً

(٣) الطلل : ماشخص من الأثر . دائر آيه : ممحوة أعلامه . الأحرس : الأدهر

(٤) يقول : إذا أنكرته العين عرفه القلب وهذا البيت رواه الحصرى فى زهر الآداب.

(٥) العرة : القرحة فى الجسم . نكيب : منكوب. النقرس : مرض المفاصل

(٦) القرح : المرض الذى أشرنا أنه أصيب به فى أنقرة . وقلنا إنه الجدرى من طريق العدوى

(٧) الجرجس هنا يريد به : الصحيفة . يعنى أن القروح التى فى جلده تشبه نقش الأختام فى الصحيفة ، وهذا يؤيد أن مرضه كان بالجدرى دون غيره

٣٨

ونزل على خالد بن سُدُوس فأكرم نزله فقال يَمدحه :

إذَا مَا كُنْتَ مُفْتَخِرًا فَفَاخِرْ ... بِبَيْتٍ مِثْلِ بَيْتِ بَنِي سُدُوسَا [١]

بِبَيْتٍ تُبْصِرُ الرُّؤَسَاءَ فِيهِ ... قِيامًا لَا تُنَازِعُ أَوْ جُلُوسَا [٢]

هُمُ أَيْسارُ لُقمَانَ بنِ عَادٍ ... إذَا مَا أُجْمِدَ المَاءُ الفَرِيسَا [٣]

---

(١) بنو سدوس : هو سدوس بن أصمع بن أبي عبيد بن ربيعة بن سعد بن نضر ابن سعد بن نبهان

(٢) يعنى لايرد عليهم كلامهم ولا ينازعون فى حال

(٣) أيسار : رفقاؤه فى الميسر . لقمان بن عاد : أشهر من أن يعرف

قافيــــة الصاد

٣٩

وقال امرؤ القيس :

أَمِنْ ذِكرِ سَلمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فَتَقصُرُ عَنهَا خَطوَةً وَتَبُوصُ (١)

تَبُوصُ وكمْ مِنْ دُونِهَا مِنْ مَفَازَةٍ ومنْ أَرْضِ جَدْبٍ دُونِهَا وَلُصُوصُ (٢)

تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمًا بِسَفحِ عُنَيزَةٍ وَقَدْ حَانَ مِنهَا رِحْلَةٌ وَقُلُوصُ (٣)

بِأَسْوَدَ مُلتَفِّ الغَدَائِرِ وارِد وذِى أُشُرٍ تَشُوفُهُ وَتَشُوصُ (٤)

مَنَابِتُهُ مِثــلُ السَّدُوسِ ولَوْنُهُ كشَوْكِ السَّيَالِ فَهوَعَذْبٌ يَفِيصُ (٥)

---

(١) نأتك : بعدت عنك وهجرتك . تنوص : تذهب متباعدا . وتبوص : تعجل . يعنى أنك تردد بين الريث والعجلة

(٢) المفازة : الطريق المهلكة . وإنما سميت مفازة تفاؤلا بالفوز من أخطارها

(٣) تراءت : ظهرت ظهوراً خفياً . عنيزة : قال ابن الأعرابى: هى تنهية للأودية ينتهى ماؤها إليها ، وهى على ميل من القريتين ببطن الرمة ، وهى لبنى عامر بن كريز قيل بعث الحجاج رجلا يحفر المياه بين البصرة ومكة فقال له : احفر بين عنيزة والشجى حيث تراءت الملك الضليل فقال :

تراءت لنا بين النقا وعنيزة وبين الشجى مما أحال على الوادى

والله ماتراءت له إلا على ماء قلت : وهذا البيت لم أعثر على تتمة القصيدة التى هو منها ؛ ولعلى أعثر عليها فيما بعد . وقلوص : رجوع

(٤) بأسود: بشعر أسود فاحم .الغدائر: خصل الشعر الملتفة المدلاة . الوارد: الشعر الطويل المسترسل .وذى أشر: ثغر محزز الأسنان تشوفه تجلوه وتشوص: تدلكه بالمسواك

(٥) منابته: أصوله السدوس النياج الأسود الذى تصبغ به الثياب. السيال: ماطال من شجر السمر. يفيص :يسيل على الأرض. كل هذا وصف لشعر سلمى الذى يتغزل بها .

فَدَعها وسَلِّ الهمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ مُدَاخِلَةٍ صُمِّ العِظَامِ أَصُوصُ (١)

تَظَاهَرَ فِيهَا النَّيُّ لَا هِيَ بَكْرَةٌ ولَاذَاتُ ضِغْنٍ فِي الزِّمَامِ قَمُوصُ (٢)

أَؤُوبٌ نَعُوبٌ لَا يُوَاكِل نَهْزُهَا إِذَا قِيلَ سَيْرُ المُدْلِجِينَ نَصِيصُ (٣)

كَأَنِّي ورَحْلِي والقِرَابُ و نُمْرُقِي إذَا شَبَّ لِلْمَرْوِ الصِّغَارِ وَبِيصُ (٤)

عَلَى نِقْنِقٍ هَيْقٍ لَهُ ولِعِرْسِهِ بِمُنْعَرَجِ الوَعْسَاءِ بَيْضٌ رَصِيصُ (٥)

إذَا رَاحَ لِلأُدْحِيِّ أَوْبًا يَفِنُّهَا تُحَاذِرُ مِنْ إدْرَاكِهِ وتَحِيصُ (٦)

---

(١) الجسرة : الناقة الفتية القوية على السير : مداخلة : مدمجة الخلق . صم العظام كأن عظامها صماء مصمتة غير جوفاء . أصوص : شديد لحمها

(٢) تظاهر فيها الني : تراكب شحمها بعضه على بعض . أى سمنت سمناً جيدا . البكرة . الصغيرة الشابة من الإبل : ذات ضغن ، يقال دابة ضاغن ، يريدون أنها لاتعطى جريها إلا بالضرب . القموص : الجامحة الرامحة برجليها

(٣) أؤوب نعوب : رجوع إلى الوراء صياحة . لايؤاكل نهزها : يعنى أنها إذا نهضت بصدرها قامت مستوية لايتواكل بعضها على بعض . المدلجون السائرون ليلا . نصيص : جد رفيع

(٤) القراب : جفن السيف . النمرق : يريد السرج . شب وبيص : اتقدت نار . المرو الصغار : الحجارة الصغيرة المحماة من لهب الشمس . يقول: كأنى فى هذه الحالة وفى وقت الظهيرة حيث الحجارة محماة من وهج الشمس على نقنق

(٥) والنقنق : الظليم . الهيق : فرخ النعام ، يشبه فرسه فى حالته تلك بالظليم ، وعن ذكر النعام لشدة عدوه . منعرج الوعساء : رابية من رمل . بيض رصيص: بيض نعام نسق بعضه إلى بعض . فالظليم الذى يشبه الفرس به يعدو بشدة ليدرك هذا البيض ويحتضنه ويرعاه

(٦) الأدحى : أفحوص الطائر . أوبا : رجوعا . يفنها يزينها . تحيص : تميل وتضطرب . والمراد بها النعامة التى هى عرسه ، أى عرس ذلك الظليم

أَذٰلِكَ أَمْ جَوْنٌ يُطَارِدُ آتُنًا حَمَلْنَ فَأَدْنَى حَمْلِهِنَّ دُرُوصُ (١)

طَوَاهُ اضْطِمَارُ الشَّدِّ فَالبَطْنُ شَازِبٌ مُعَالًى إِلَى الْمَتْنَيْنِ فَهْوَ خَمِيصُ (٢)

بِحَاجِبِهِ كَدْحٌ مِنَ الضَّرْبِ جَالِبٌ وَحَارِكُهُ مِنَ الكِدَامِ حَصِيصُ (٣)

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ ظَهْرِهِ كَنَائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصُ (٤)

وَيَأْكُلْنَ مِنْ قَوٍّ لُعَاعًا وَرِبَّةً تَجَبَّرَ بَعْدَ الأَكْلِ فَهُوَ نَمِيصُ (٥)

تَطِيرُ عِفَاءٌ مِنْ نَسِيلٍ كَأَنَّهُ سُدُوسٌ أَطَارَتْهُ الرِّيَاحُ وَخُوصُ (٦)

تَضَيَّفَهَا حَتَّى إِذَا لَمْ يُسَغْ لَهُ نَصِيٌّ بِأَعْلَى حَائِلٍ وَقَصِيصُ (٧)

يُغَالِينَ فِيهَا الجَزْءَ لَوْلَا هَوَاجِرٌ جَنَادِبُهَا صَرْعَى لَهُنَّ نَصِيصُ (٨)

---

(١) الجون: يريد به حمار الوحش. الأتن: الحمر الوحشية. دروص: أجنة

(٢) طواه اضطمار الشد: يعنى أن هذا الحمار قد ضمره الجرى وطوى لحمه فهو مكتنز غير رهل مع خموص البطن، وهو لذلك قوى شديد. الشازن: الضامر. معالى إلى المتنين: مرتفع الظهر. الخميص: الضامر

(٣) كدح: أثر ضرب. جالب: لم يبرأ بعد. والحارك: أعلى الكاهل. الكدام: العض. حصيص: منحول الشعر

(٤) سراته: أعلى ظهره. وجدة ظهره: العلامة يخالف لونها لون جلده. كنائن: يريد أن بظهره خطوط بيض. دليص: لين

(٥) قو: اسم مكان. اللعاع: الرقيق من النبات أول ماينبت. وربة: نبات أو هو شجر الخروب فيما يقال. تجبر: نشط وعتا. النميص: ضرب من النبات يمكن نتفه

(٦) العفاء: الشعر. سدوس: ثوب حرير أخضر. الخوص: ورق النخيل.

(٧) تضيفها: نزل بها. أى أن الحمار نزل بأتنه المكان المسمى بقو لما فيه من الخصب والكلأ. النصى: نبت مادام رطباً، وإذا ابيض فهو الطريقة، وإذا ضخم ويبس فهو الحلى. حائل: موضع بجبلى طيئ، وقصيص: القصيص: نبت ينبت فى أصول الكمأة، وقد يجعل غسلا الرأس كالخطمى

(٨) يغالين: يشربن لبن الغيل. الجنادب: الجراد الصغير. صرعى: هلكى من شدة الحر، وناهيك بحر يصرع الجندب. نصيص: صوت كصوت الشواء على النار

أَرَنَّ عَلَيهَا قارِباً وانتحتْ لَهُ طُوَالَةُ أَرْسَاغِ اليَدَينِ نَحُوصُ (١)

فَأَوْرَدَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيلِ مَشْرَباً بَلَائِقَ خُضْرًا مَاؤُهُنَّ قَلِيصُ (٢)

فَيَشرَبْنَ أَنفَاسًا وهُنَّ خَوَائِفٌ وتُرْعَدُ مِنهُنَّ الْكُلَى والفَرِيصُ (٣)

فَأَصْدَرَهَا تَعلُو النِّجَادَ عَشِيَّةً أَقَبُّ كَمِقلَاءِ الوَلِيــدِ خَمِيصُ (٤)

فَجَحْشٌ على آثارِهِنَّ مُخَلَّفٌ وجَحْشٌ لَدَى مَكرُوهِهِنَّ وَقِيصُ (٥)

وَأَصْدَرَهَا بَادِي النَّوَاجِذِ قَارِح أَقَبُّ كَكَرِّ الأَندَرِيِّ مَحِيصُ (٦)

---

(١) أرن عليها ، يعنى أن الحمار صوت على الأتن . انتحت له : مالت إليه تدفعه عنها بأرحلهن . نحوص : حال السمن بينها وبين الحمل

(٢) قليص : قليل

(٣) يعنى يشربن نفسا بعد نفس ، أى مرة بعد مرة ، لشدة خوفهن منـــه واضطراب فرائصهن لقوة دفعه وزجره

(٤) النجـاد : المرتفات من الأرض . عشية : وقت العشـاء . أقب : ضامر كمقلاء الوليد ، ويروى : القنيص : الكلب . خميص : ضامر البطن . يقول إن هذا الحمار لايزال يطارد هذه الأتن فيوردها المياه ويصدرها عنهادون أن يكل أو يمل مع أنهن يرمحنه ويحدثن الكدوح بحاجبيه والكدوم بجسمه

(٥) الجحش : المتخلف الذى لم يقو على متابعتهن فى الجرى والشد . والجحش الوقيص : المصاب بجروح لم تمكنه من اللحاق بهن

(٩) بادى النواجذ : مفتوح الفم . قارح : مستحكم السن ، قوى الأسنان . ككر الأندرى : كرجع الحبل الغليظ . محيص : شديد الخلق مدمج

قافيــــة الضاد

٤٠

وقال امرؤ القيس :

أَعِنِّى عَلى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِيضِ ... يُضِىءُ حَبِيًّا فِى شَمَارِيخَ بِيضِ [1]

وَيَهدَأُ تَارَاتٍ سَنَــــاهُ وتَارَةً ... يَنُوءُ كتَعْتَابِ الكَسِيرِ المَهِيضِ [2]

وَتَخْرُجُ مِنْهُ لَامِعَاتٌ كَأَنَّهـا ... أَكُفٌّ تَلَقَّى الفَوْزَ عِندَ المُفِيضِ [3]

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِى بَيْنَ ضَارِجٍ ... وبَينَ تِلَاعِ يَثْلَثٍ فالعَرِيضِ [4]

أَصَابَ قُطَيَّاتٍ فَسَــــالَ لِوَاهُما ... فَوَادِى البَدِىِّ فانتَحَى للأَرِيضِ [5]

---

(١) أعنى : أسعدنى . وميض : يلمع لمعاناً خفيا . والحبى : السحاب المتدانى بعضه إلى بعض ، وشماريخ : أصل الشماريخ أعالى الجبال ، وقد استعارها . لأعالى السحاب . وبيض : وصف للشماريخ ! فإن كان هذا الوصف للجبال فهى التى لا نبات فيها ، وإن كان للسحاب فهى التى لا تحمل مطراً كثيراً

(٢) ويهدأ سناه . يسكن لمعانه . ينوء : ينهض متثاقلا . كتعتاب الكسير المهيض : كما يمشى الرجل على رجل كسرت ثم جبرت ثم كسرت . فهو يمشى على ثلاث قوائم وهذا هو المهيض . يصف البرق بالتثاقل فى حركته عند لمعانه فيشبهه بمشى الرجل الكسير المهيض

(٣) وتخرج منه لامعات : تلمع منه لوامع . أكف تلقى الفوز أيدى ياسر مقامر يضرب بالقداح ليظفر ويفوز بنصيبه . والمفيض : هو الياسر المقامر بضرب القداح

(٤) ضارج : مكان معروف به ماء يظله الطلح . تلاع يثلث : مرتفعات هذا الموضع المسمى بيثلث . العريض : جبل ، وقيل واد

(٥) قطيات : هضاب حمر ملس بموضع الحمى متجاورات ، وهى قلات مياه كعب بن كلاب ، ومياه بنى أبى بكر بن كلاب . فسال لواهما ، ويروى : فسال اللوى لها . واللوى : ما استدق من الرمل . وادى البدى : هو واد بنجد ، والأريض : موضع . ويروى : أصاب قطاتين

بِمَيْثٍ دِماثٍ فى رِيَاضٍ أَثِيثَــةٍ تُحِيلُ سَوَافِيها بمَاءٍ فضيضِ (١)

بلَادٌ عَرِيضَةٌ وأَرْضٌ أرِيضَةٌ مَدَافِعُ غَيْثٍ فى فَضاءٍ عَرِيضِ (٢)

فأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ عَنْ كلِّ فِيقَةٍ يَحُورُ الضِّبَابَ فى صَفاصِفَ بِيضِ (٣)

فأَسْقِي بِهِ أُخْتِي ضَعِيفَةَ إذْ نَأَتْ وإذْ بَعُدَ المَزارُ غيرَ القَرِيْضِ (٤)

ومَرْقَبَةٍ كالزُّجِّ أشْرَفْتُ فَوْقَهَا أُقَلِّبُ طَرْفِي فى فَضاءٍ عَرِيْضِ (٥)

فَظِلْتُ وظَلَّ الجَوْنُ عِنْدى بِلَبْدِهِ كأنى أُعَدِّى عَنْ جَنَاحٍ مَهِيْضِ (٦)

فَلَمَّا أَجَنَّ الشَّمْسَ عَنِّى غُؤُورُهَا نَزَلْتُ إِلَيْهِ قَائِمًا بِالحَضِيضِ (٧)

يُبَارِى شَبَاةَ الرُّمْحِ خَدٌّ مُذَلَّقٌ كَصَفْحِ السِّنَانِ الصُّلَّبِىِّ النَّحِيْضِ (٨)

---

(١) الميث والدماث : الأرض السهلة اللينة . رياض أثيثة : ملتف نبتها . تحيل: تصب . بماء فضيض : بماء أبيض صاف كأنه الفضة النقية

(٢) عريضة : واسعة . أريضة : لينة . مدافع غيث : مصب سيول

(٣) يسح الماء : يصب صباً متوالياً . عن كل فيقة : عن كل مايجتمع من الماء يحور الضباب : يرجع الضباب وهو جمع ضب -الحيوان المعروف- إلى الصفاصف وهى الأرض المستوية فلا تقوى على السباحة . وبيض : عارية من النبت .يريد الصفاصف

(٤) فأسقى به أختى : أدعو لها بالسقيا . ضعيفة : بدل من أختى ؛ يعنى أختى الضعيفة .إذ نأت : إذ بعدت عنى . غير القريض : يريد أنه يدعو لها بالسقيا ويهدى إليها الأشعار

(٥) ومرقبة كالزج : ورب مرقبة عالية صعبة المرتقى كأنها زج الرمح .أشرفت فوقها : رقيت إليها واطلعت منها ، على صعوبة مرتقاها

(٦) الجون : الفرس الأدهم . بلبده : يريد سرجه . أعدى : اعتمد عليه الجناح المهيض : المكسور

(٧) يعنى فلما غابت الشمس واحتجبت نزلت إليه فى حضيض الأرض المستوية

(٨) يبارى شباة الرمح خد مذلق : يعنى أن خد فرسه طويل دقيق كأنه طرف الرمح =

أُخَفِّضُهُ بِالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ ... وَيَرْفَعُ طَرْفًا غَيْرَ جَافٍ غَضِيضِ (١)

وقد أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِى وَكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ عَبْلِ اليَدَيْنِ قَبِيضِ (٢)

لَهُ قُصْرَيَا عَيْرٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ ... كَفَحْلِ الهِجَانِ القَيْسَرِىِّ الغَضِيضِ (٣)

يَجُمُّ عَلَى السَّاقَيْنِ بَعْدَ كَلَالِهِ ... جُمُومَ عُيُونِ الحِسْىِ بَعْدَ المَخِيضِ (٤)

ذَعَرْتُ بِهِ سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهَا ... كَمَا ذَعَرَ السِّرْحَانُ جَنْبَ الرَّبِيضِ (٥)

فَأَقْصَدَ نَعْجَةً وَأَعْرَضَ ثَوْرُهَا ... كَفَحْلِ الهِجَانِ يَنْتَحِى لِلْعَضِيضِ (٦)

ووَالَى ثَلاثًا واثْنَتَيْنِ وأَرْبَعًا ... وغَادَرَ أُخْرَى فِى قَنَاةِ رَفِيضِ (٧)

= كصفح السنان : كحجر المسن . الصلى : الصلب . النحيض : المرقق

(١) أخفضه بالنقر : أهدئه وأسكنه بالصفير . علوته : ركبته . ويرفع طرفا غير جاف : وينظر إلى بعين ساكنة هادئة غير جافيه ، ولا غضيضة منكسرة

(٢) أغتدى : أخرج فى غدوة النهار ، وكناتها : أوكارها وأعشتها . بمنجرد عبل بفرس قصير الشعر من السمن والتضمير ضخم اليدين . قبيض : سريع نقل اليدين

(٣) له قصريا عير : كأن أضلاعه أضلاع حمار وحشى ، وساقا نعامة : وكأن ساقاه ساقا نعامة . كفحل الهجان : كالجمل القوى المعد للضراب فى الإبل الكرام القيسرى : الكبير . الغضيض : الفتى القوى ، ويروى : كفحل الهجان ينتحى للغضيض ، وهذا كله وصف لفرسه وتشبيه له بمزايا هذه الحيوانات

(٤) يجم على الساقين : يستريح على ساقيه . بعد كلاله : بعد تعبه وإعيائه . جموم عيون الحسى : كما تجم البئر كثر الأخذ من مائها بعد المخيض ؛ بعد أن مخضتها الدلاء

(٥) ذعرت به سربا نقيا جلودها : أفزعت به قطيعاً من البقر البيض الجلود . السرحان : الذئب . جنب الربيض : كما يفزع الذئب الغنم فى مرابضها

(٦) فأقصد نعجة : فأصاب بقرة بطعنة قاتلة ، يريد أنه هو الطاعن لا الفرس . فأعرض ثورها : فاعترض ثورها باقى النعاج . ينتحى للعضيض : يقصد إليها ويعتمد العض

(٧) ووالى ، يريد الفرس : وتابع طاب النعاج حتى أصاب تسع بقرات . وغادر أخرى فى قناة رفيض : وترك العاشرة مكسورة فى قناة ماء

فَآبَ إِيَابًا غَيْرَ نَكْدٍ مُوَاكِلٍ وأَخْلَفَ مَاءً بَعْدَ مَاءٍ فَضِيضِ (١)

وسِنٍّ كسُنَّيْقٍ سَنَاءً وسُنَّمٍ ذَعَرْتُ بِمِدْلَاجِ الهَجِيرِ نَهُوضِ (٢)

أَرَى المَرْءَ ذَا الأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضًا كَإِحْرَاضِ بَكْرٍ فِي الدِّيَارِ مَرِيضِ (٣)

كأَنَّ الفَتَى لَمْ يَغْنَ فِي النَّاسِ سَاعَةً إِذَا اخْتَلَفَ اللَّحيَانِ عِنْدَ الجَرِيضِ (٤)

---

(١) فآب إيابا غير نكد : فرجع رجوعا حافلا بالخير غير خائب . ولا مواكل : ولا معتمد على غيره . وأخلف : ترك . فضيض : مصبوب، يريد بالماء : عرق الفرس

(٢) السن : الثور الوحشى . كسنيق : كالجبل سناء : رفعة . وسنم : وبقرة وحشية . ذعرت : أفزعت بمدلاج الهجير نهوض بفرس كثير العدو فى الهاجرة كثير الوثوب . يقول : ورب ثور وبقرة أفزعتهما بهذا الفرس فى وقت الظهيرة

(٣) ذو الأذواد : صاحب الإبل دون العشرة . المحرض : المشرف على الهلاك المحتضر ، والبكر : الفتى من الإبل . يعنى أن المال لا يحول بين صاحبه وبين هلاكه متى حم يومه

(٤) اللحيان : الفكان ، يعنى فى حال الاحتضار . عند الجريض : عندما يغص بريقه وقت موته، يعنى إذا حضر الموت فكان الإنسان ـ مهما طال فى الحياة عمره ـ لم يعش بين الناس ساعة واحدة

قافيـــة العين

٤٢

وقال امرؤ القيس :

جَزِعْتُ ولَمْ أَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعَا ... وعَزَّيْتُ قَلْبًا بِالكَوَاعِبِ مُولَعَا[1]

وَأَصْبَحْتُ ودَّعْتُ الصِّبَا غَيْرَ أَنَّنِي ... أُرَاقِبُ خَلَّاتٍ مِنَ العَيْشِ أَرْبَعَا[2]

فَمِنْهُنَّ قَوْلِي لِلنَّدَامَى تَرَفَّقُوا ... يُدَاجُونَ نَشَّاجًا مِنَ الخَمْرِ مُتْرَعَا[3]

وَمِنْهُنَّ رَكْضُ الخَيْلِ تَرْجُمُ بِالقَنَا ... يُبَادِرْنَ سِرْبًا آمِنًا أَنْ يُفَزَّعَا[4]

وَمِنْهُنَّ نَصُّ العِيسِ وَاللَّيْلُ شَامِلٌ ... يُيَمِّمْنَ مَجْهُولًا مِنَ الأَرْضِ بَلْقَعَا[5]

خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ ... يُجَدِّدْنَ وَصْلًا أَوْ يُرَجِّينَ مَطْمَعَا[6]

---

(١) جزعت : حزنت وتملكنى الجزع . البين : الفراق والبعاد . الكواعب : الفتيات اللائى كعبت ثديهن . مولع : لهج بذكرهن . يقول : وصبرت قلبي عنهن بعد أن كان مولعا بهن

(٢) ودعت الصبا : تركت شبابى وكبرت عن التصابى . أراقب خلات : أنتظر خصالا أربعا . ثم أخذ فى تفصيلها بعد

(٣) الندامى : صحبة الشراب . ترفقوا : فى شرب الراح وفى حث الكأس . يداجون : يخادعون . نشاج مترع : زق ملىء خمراً

(٤) ركض الخيل : ركوب الخيل لمطاردة الوحش للصيد . السرب : القطيع من البقر والظباء . آمنا : مطمئنا من الفزع والذعر

(٥) نص العيس : ركوب الإبل وسوقها فى ظلام الليل لبلوغ غاياته التى تعن له . ييممن : يقصدن بهن . بلقع : خال

(٦) يعنى أنه يخرج على هـــذه الإبل من القفر إلى الحضر لوصل حبيب أو لطالب مغنم

وِمِنْهُنَّ سَوْفُ الْخَوْدِ قَدْ بَلَّهَا النَّدَى تُرَاقِبُ مَنْظُومَ التَّمَائِمِ مُرْضَعَا (١)

يَعِز عَلَيْهَا رِيْبَتِي وَيَسُوءُهَا بُكاهُ فَتَثْنِي الجِيدَ أَنْ يَتَضَوَّعَا (٢)

بَعَثْتُ إِلَيْهَا والنُّجُومُ ضَوَاجِعٌ حَذارًا عَلَيْهَا أَنْ تَهُبَّ فَتَسْمَعَا (٣)

فَجَاءَتْ قُطُوفَ المَشْيِ هَيَّابَةَ السُّرَى يُدافِعُ رُكْنَاهَا كَوَاعِبَ أَرْبَعَا (٤)

يُزَجِّينَهَا مَشْيَ النَّزِيفِ وقَدْ جَرَى صُبَابُ الكَرَى فِي مُخِّهَا فَتَقَطَّعَا (٥)

تقولُ وقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيابِهَا كَمَا رُعْتَ مَكْحُولًا مِنَ العِيْنِ أَتْلَعَا (٦)

وجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ ولَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا (٧)

فبِتْنَا تَصُدُّ الوَحْشُ عَنَّا كَأَنَّنَا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا (٨)

---

(١) سوف الخود: شم الغادة الحسناء قد نديت من المطر. ترتب منظوم التمائم مرضعاً: تعنى بشأن رضيعها الذى نظمت عليه التمائم.

(٢) يعز عليها ريبتى: عزيز عليها ما أريبها به. فتثنى الجيد: تلتفت نحو طفلها الرضيع. يتضوع: يبكى ويذيع بكاؤه فيفضح أمرها

(٣) والنجوم ضواجع: كأنها لبطء سيرها مضطجعة. تهب: تنهض من مرقدها فتسمع: فتوقظ من حولها

(٤) قطوف المشى: يعنى أنها تقطف فى مشيها، وهذا من محاسن مشى النساء. هيابة السرى: خائفة من مشى الليل. يدافع ركناها: جانباها. كواعب: أربع فتيات حسان

(٥) يزجينها: يدفعنها دفعاً خفيفاً. النزيف: السكران. صباب الكرى: بقية النوم

(٦) رعت: أفزعت. مكحولا من العين: أى من الظباء. أتلع: حسن الجيد. يعنى كأنها فى تجردها هذا الظبى الغرير

(٧) يقول: إنها تقول: وجدك لو جاءنا رسول سواك لما أجبناه إلى سؤاله، ولكننا لانستطيع رد طلبك

(٨) تصد الوحش عنا: تتركنا الوحوش ذاهبة عنا، يريد أن الوحش حين تراهما على حالتهما تلك تظنهما قتيلين فتصد عنهما لأن بعض الوحوش لا تأكل الميتة،

إذا أخذتها هِزَّةُ الرَّوعِ أمسكتْ ‌‌ بِمَنكِبِ مِقدامٍ على الهَولِ أَروَعا [(١)]

تَصُدُّ عَنِ المأثورِ بيني وبينها ‌‌ وتُدنِي عَلَيَّ السَّابِرِيَّ المُضَلَّعا [(٢)]

٤٣

وقال امرؤ القيس :

لَعَمري لَقَد بانَت بحاجةِ ذي الهَوى ‌‌ سُعادُ وراعَت بالفِراقِ مُرَوَّعا [(٣)]

وَقَد عَمِرَ الرَّوضاتِ حَولَ مُخَطَّطٍ ‌‌ إلى اللُّخِّ مَرأى مِن سُعادَ ومَسمَعا [(٤)]

مَتى تَرَ دارًا مِن سُعادَ تَقِف بها ‌‌ وتَستَجرِ عَيناكَ الدُّموعَ فتَدمَعا [(٥)]

٤٤

ومما ينسب إليه قوله :

أَرِقتُ وَلَم يأرَق لِما بي نافِعُ ‌‌ وهاجَ لِيَ الشَّوقَ الهُمومُ الرَّوادِعُ [(٦)]

---

(١) هزة الروع : نشوة الحال التى هما فيها . أروع : شجاع قوى الأسر

(٢) تصد عن المأثور : تعرض عن الحديث فى وصف الحب ولوعة الغرام ، وتدنى على السابرى المضلعا : وتغطينى بثوبها الرقيق المخطط

(٣) بانت : بعدت . راعت : أفزعت . المروع : المضطرب المفزع ، يعنى نفسه

(٤) الروضات : الرياض الغناء . ومخطط ، واللخ : اسما مكانين

(٥) تستجر : ترسل الدموع بكاء عليها لخلوها من سعاد .

(٦) أرقت : سهدت لما بى من الهموم والأشواق . ونافع : صاحب له ، ولكنه لم يأرق لأرقه لأنه ليس عنده ما عنده

٥٤

ومنه قوله :

وتَبَرَّجَتْ لِـــتَرُوعَنَا فَوَجَدتُ نَفْسِى لَمْ تُرَعْ [١]

(١) تروعنا : تلقى الروع والفزع فى قلوبنا ، ولم يرد الفزع ولكنه أراد أنها تبغى بتبرجها أن تروعنا أى أن تظهر لنا بمظهر رائع يستفزنا ويلفت نظرنا إليها ويملك علينا حواسنا فنقع فى أشراك حبها ، فوجدت نفسى لم ترع : لم تستفزنى لاعتيادى منها هذه الحال

٤٦

وقال يرثى الحارث بن حبيب السُّلَمِى ، وكان خرج معه إلى الشام :

ثوَى عِنْدَ الوَدِيَّةِ جَوْفَ بُصْرَى   أَبُو الْأَيتَامِ والـكَلِّ العِجَافِ (١)
فَمَنْ يَحْمِى المَصَافَ إذَا دَعَاهُ   وَيَحْمِلُ خُطَّةَ الْأَنَسِ الضِّعَافِ (٢)

٤٧

ومما نسب إليه : (٣)

وقاتَلَ كَلْبُ الحَىِّ عَنْ نارِ أَهْلِهِ   لِيَرْبِضَ فِيها والصَّلَا متَكَنَّفُ

---

(١) ثوى : أقام حتى لا براح ، وهو ثواء الموت. عند الودية : عند النخلة الصغيرة ويظهر أنه لما دفن غرسوا إلى جانب قبره ودية ، وهى فسيلة النخل ، وهكذا كانوا يفعلون . جوف بصرى : فى بطن البلد المعروف ببصرى بالشام على طرف البرية والـكل : مايحمل . العجاف : المهازيل

(٢) يحمى المصاف : ساحة الحرب ومعترك النزال . إذا دعاه : إذا طلبه خصمه للبراز . الخطة : الطريقة ، ويريد بها مطالب الناس

(٣) نسب هذا البيت صاحب اللسان ج ١٩ ص ٢٠٢ إلى امرئ القيس أنه من أبيات تروى وقد رواها الجاحظ فى الحيوان للفرزدق فقال : وقال الفرزدق :

إذا احمر آفاق السماء وهتكت   كسور بيوت الحى نكباء حرجف
وجاء قريع الشول قبل إفالها   يزف وجاءت قبله وهى زحف
وهتكت الأطناب كل دفرة   لها تامك من عاتق الى أعرف
وباشر راعيها الصلى بلبانه   وكف لحر النار ما يتحرف
وقاتل كلب الحى عن نار أهله   ليربض منها والصلى متكنف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه   على سروات النيب قطن مندف

قافيـــة القاف

٤٨

وقال امرؤ القيس :

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبْعُ فَانْطِقِ
وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقِ (١)

وَحَدِّثْ بِأَنْ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ كَنَخْلٍ مِنَ الأَعْرَاضِ غَيْرِ مُنَبَّقِ (٢)

جَعَلْنَ حَوَايَا وَاقْتَعَدْنَ قَعَائِدًا وَحَفَّفْنَ عَنْ حَوْكِ العِرَاقِ المُنَمَّقِ (٣)

وَفَوْقَ الحَوَايَا غِزْلَةٌ وَجَآذِرٌ تَضَمَّخْنَ مِنْ مِسْكٍ ذَكِيٍّ وَزَنْبَقِ (٤)

فَأَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ غَوَارِبُ رَمْلٍ ذِي أَلَاءٍ وَشِبْرِقِ (٥)

---

(١) ألا عم صباحا : هذه تحية العرب فى الجاهلية ، ويروى : ألا انعم صباحا . وقد يقولون : عم مساء كما قال الشاعر :

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا : الجن قلت : عموا مساء

(٢) زالت بليل حمولهم : ترحلوا ليلا . كنخل من الأعراض : كالنخل النابت فى أعراض الحجاز وهى رساتيقه . غير منبق : غير مستو ، ولا مهذب ، ولا مسطور فى سطر واحد ، أى متفرق

(٣) الحوايا : البراذع ، وحففن : يقال : هودج محفف بالديباج . حوك العراق المنمق : ثياب من نسيج العراق الموشاة .

(٤) غزلة وجآذر : غزلان وأولادها من الجآذر . شبه النساء فى الهوادج بهن تضمخن : تعطرن ، والزنبق : بصل له نور أصفر حسن الرائحة

(٥) فأتبعتهم طرفى : نظرت إليهم طويلا غوارب رمل : أعالى هضاب . ذو ألاء وشبرق ، الألاء : شجر يشبه الآس لا يغير فى القيظ ، وله ثمر يشبه سنبل الذرة ، ومنبتها الرمل والأودية والشبرق : الضريع ، وهو نبات تأباه الدواب لخبثه .

عَلى إِثْرِ حَىٍّ عَامِدِينَ لِنِيَّــةٍ فَحَلُّوا العَقِيقَ أَوْ ثَنِيَّةَ مُطْرِقِ (١)

فَعَزَّيْتُ نَفْسِى حِينَ بَانُوا بِجَسْرَةٍ أَمُونٍ كَبُنْيَانِ اليَهُودِىِّ خَيْفَقِ (٢)

إِذَا زُجِرَتْ أَلْفَيْتَهَا مُشْمَعِلَّةً تُنِيفُ بِعَذْقٍ مِنْ غِرَاسِ ابنِ مُعْنِقِ (٣)

تَرُوحُ إِذَا رَاحَتْ رَوَاحَ جَهَامَةٍ بِإِثْرِ جَهَامٍ رَائِحٍ مُتَفَرِّقِ (٤)

كَأَنَّ بِهَا هِرًّا جَنِيبًا تَجُرُّهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَادَفَتْهُ وَمَأْزِقِ (٥)

كَأَنِّى وَرَحْلِى والقِرَابَ وَنُمْرُقِى عَلَى يَرْفَئِىٍّ ذِى زَوَائِدَ نِقْنِقِ (٦)

تَرَوَّحَ مِنْ أَرْضٍ لِأَرْضٍ نَطِيَّةٍ لِذِكْرَةِ قَيْضٍ حَوْلَ بَيْضٍ مُفَلَّقِ (٧)

---

(١) عامين لنية : قاصدين لوجه . العقيق : واحد بعارض اليمامة ، وثنية مطرق : فلاة العارض باليمامة

(٢) حين بانوا : حين بعدوا عن عينى . بجسرة : بناقة قرية على السير وقطع القفار . أمون : متينة . كبنيان اليهودى : كحصن اليهودى ، وكانت اليهود بعد تفرقها عن بيت المقدس فى عهد خرابه على يد طيطس القائد الرومانى ذهبت طائفة منهم إلى جزيرة العرب فأقامت آطامها فى يثرب وحصونها فى تيماء وغيرها من مدن الحجاز ، وكانت من أوثق ماشيد من البنيان . فجعلها امرؤ القيس مثلا لمتانة ناقته وشدة أسرها . والخيفق : السريعة

(٣) مشمعلة . ماضية فى سيرها . تنيف بعزق : تشرف بعنق كأنه نخلة . ابن معنق رجل كان يجيد غرس النخيل . فضربه مثلا

(٤) تروح : تسير كأنما تدفعها الريح . رواح جهامة : كما تروح السحابة البيضاء التى لاماء فيها ، وهى بهذه الحالة تكون سريعة فى مرها

(٥) كأن بها هرا جنيباً تجره : كأنها لسرعتها ونشاطها قد جنب بها هر فهو لايزال يخمشها فلا تصبر عليه . المأزق : المضيق

(٦) اليرفئى : الظليم وهو ذكر النعام : ذو زوائد : ذو عدو سريع ، نقنق : فتى ، وهو وصفها للظليم

(٧) تروح : يعنى هذا الظليم حينما يمسى يرجع إلى بيضه مسرعاً قاطعاً أرضاً إلى

يَجُــولُ بآفاقِ البِلَادِ مُغَرِّبًا وتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبَا كُلَّ مَسْحَقِ (١)

وبَيْتٍ يَفُوحُ المِسْكُ فِي حُجُرَاتِهِ بَعِيدٍ مِنَ الآفَاتِ غَيْرِ مُرَوَّقِ (٢)

دَخَلْتُ عَلى بَيْضَاءَ جُمٍّ عِظَامُها تُعَفِّي بِذَيْلِ الدِّرْعِ إِذْجِئْتُ مَوْدِقِي (٣)

وقَدْ رَكَدَتْ وسْطَ السَّماءِ نُجُومُهَا رُكُودَ نَوَادِي الرَّبْرَبِ المُتَوَرِّقِ (٤)

وقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ العُطَاسِ بِهَيْكَلٍ شَدِيدِ مَشَكِّ الْجَنْبِ فَعْمِ المُنَطَّقِ (٥)

بَعَثْنَا رَبِيئًا قَبْلَ ذَاكَ مُخَمَّلًا كَذِئْبِ الغَضَى يَمْشِي الضَّرَاءَ وَيَتَّقِي (٦)

فَظَلَّ كَمِثْلِ الخِشْفِ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وسَائِرُهُ مِثْلُ التُّرَابِ المُدَقَّقِ (٧)

= أرض . نطية : بعيدة ، لذكرة قيض : لتذكره فاق البيض وقشوره التى تركها تنقف على فراخه

(١) تسحقه : تبعده إلى مكان سحيق

(٢) غير مروق : ليست له أروقة

(٣) جم عظامها : يصفها باللين والبضاضة فكأن السمن قد أخفى عظامها فهى جماء . وهذا دليل النعمة والرفاهية . ويروى : جم عظامها : بفتح الجيم ولست أراه تعفى بذيل الدرع : تسحب ذيل قميصها على أثرى فتمحوه ، والمودق : أثر قدمى

(٤) ركدت النجوم وسط السماء : وقفت يعنى فى منتصف الليل نوادى الربرب المتورق : وقوف قطيع الظباء بعد تناولها ورق الشجر

(٥) اغتدى : أخرج بفرسى . قبل العطاس : قبل انبلاج الصباح . بهيكل : بجواد كأنه الهيكل المبنى لاستحكام خلقه . شديد مشك الجنب : قوى مغرز الجنب فى الصلب . فعم المنطق : ممتلىء مكان النطاق . وهو الحزام ، ويريد به الجوف

(٦) الربىء : الرقيب المتشوف . مخملا : متستراً بأوراق الشجر لئلا يراه الصيد فينفر . الغضى : شجر عظام له شوك تأوى إليه الذئاب الخبيثة . يمشى الضراء : يختفى بالشجر ويستتر به ليختل الصيد

(٧) فظل كمثل الخشف يرفع رأسه : يعنى أن هذا الرقيب الذى بعثناه كان يزحف على أربعته كالخشف ، وهو ولد الظبى ، يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى . مثل التراب : للصوقه بالأرض

وجاءَ خَفِيًّا يَسْفِنُ الأرْضَ بَطْنُهُ ... تَرَى التُّرْبَ مِنْهُ لاصِقًا كلَّ مَلْصَقِ (١)

وقالَ أَلَا هـذا صِوارٌ وعَانَةٌ ... وخَيْطُ نَعَامٍ يَرْتَعِي مُتَفَرِّقِ (٢)

فَقُمْنَا بِأَشْلَاءِ اللِّجَامِ ولَمْ نَقُدْ ... إلَى غُصْنِ بَانٍ نَاضِرٍ لَمْ يُحَرَّقِ (٣)

نُزَاوِلُهُ حَتَّى حَمَلْنَا غُلامَنَا ... عَلَى ظَهْرِ سَاطٍ كالصَّلِيفِ المُعَرَّقِ (٤)

كَأَنَّ غُلَامِي إذْ عَلَا مَتْنَهُ ... عَلَى ظَهْرِ بَازٍ فى السَّمَاءِ مُحَلِّقِ (٥)

رَأَى أَرْنَبًا فانْقَضَّ يَهْوِي أَمَامَهُ ... إلَيْهَا وَجَلَّاهَا بِطَرْفٍ مُلَقْلِقِ (٦)

فَقُلْتُ لَهُ صَوِّبْ ولا تَجْهَدَنَّهُ ... فَيُذْرِكَ مِنْ أَعْلَى القَطَاةِ فَتَزْلَقِ (٧)

فَأَدْبَرْنَ كالجَزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ ... بِجِيدِ الغُلَامِ ذِى القَمِيصِ المُطَوَّقِ (٨)

---

(١) يسفن الأرض : أى جاء وكأنما يقشر الأرض لزحفه على بطنه وقد لصق به التراب فهو لايكاد يبين

(٢) جاءهم هذا الرقيب فى هذه الحالة وأخبرهم أن هناك صواراً : ثور، وعانة : جماعة أتن وحشية . وخيط نعام : جماعة نعام

(٣) أشلاء اللجام : قمنا إلى الفرس فألجمناه بسرعة خوف الفوات . إلى غصن بان : فكأنما وضعنا اللجام من الفرس فى عنق كأنه الغصن لحسنه واستوائه وطوله

(٤) نزاوله : نحاول أن يركبه الغلام . ساط : فرس ساط ، يرفع ذنبه وقت حضره . الصليف المعرق : العود المبرى

(٥) حال متنه : فوق ظهره . محلق : طائر

(٦) ويروى : سريعاً وجلاها بطرف ملقق

(٧) صوب ولا تجهدنه : سسه باللين وخذ عفوه عند اندفاعه ، ولا تجهده على العدو الشديد فيذاق : فيلقيك عن ظهره صريعا

(٨) فأدبرن كالجزع المفصل : فولت جماعة الوحش والنعام كأنها الخرز المتفرق بجيد الغلام : يعنى كأن تفرق الصيد عنه عقد وهى من عنق الغلام المطوق ذى النعمة والملك

فَأَدْرَكهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ كَغَيْثِ العَشِيِّ الأَقْهَبِ المُوَدَّقِ (١)

فَصَادَ لَنَا عَيْرًا وَثَوْرًا وَخَاضِبًا عِدَاءً وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَعْرَقِ (٢)

فَظَلَّ غُلَامِي يُضْجِعُ الرُّمْحَ حَوْلَهُ لِكُلِّ مَهَاةٍ أَوْ لِأَحْقَبَ سَهْوَقِ (٣)

وَقَامَ طُوَالُ الشَّخْصِ إِذْ يَخْضِبُونَهُ قِيَامَ العَزِيزِ الفَارِسِيِّ المُنَطَّقِ (٤)

فَقُلْنَا أَلَا قَدْ كَانَ صَيْدٌ لِقَانِصٍ فَخَبُّوا عَلَيْنَا ظِلَّ ثَوْبٍ مُرَوَّقِ (٥)

وَظَلَّ صِحَابِي يَشْتَوُونَ بِنَعْمَةٍ يَصُفُّونَ غَارًا بِاللَّكِيكِ المُوَشَّقِ (٦)

وَرُحْنَا كَأَنَّا مِنْ جُوَاثَا عَشِيَّةً نُعَالِي النِّعَاجَ بَيْنَ عِدْلٍ ومُشْنَقِ (٧)

---

(١) فأدركهن ثانيا من عنانه : يعنى أن الفرس أدرك الصيد فى حال عفوه لا فى حال جهده ، كغيث العشى الأقهب المتودق : كالمطر جاء به السحاب الأبيض وقت العشاء والمتودق:ذوالودق وهوالبرد .ومعنى هذا البيت هوالذى استحسنته أم جندب وبه حكمت لعلقمة على معنى بيت امرئ القيس فىقصيدتيهما الواردتين فى حرف الباء

(٢) فصاد لنا عيراً : حمارا وحشيا . وثوراً وخاضباً : وظليما

(٣) يضجع الرمح : يميله . مهاة : بقر وحشية .أحقب: ثور وحشى.سهوق: طويل

(٤) وقام طوال الشخص : يعنى أن الفرس لما قام كان طويل الظل لارتفاع شخصه . يخضبونه : يطلونه بالدم ،لأنه هو الذى أدرك الصيد ومكن منه ، وكانت تلك عادتهم . العزيز المنطق : الملك ذو المنطقة والتاج. شبه به الفرس لجلال منظره وجمال خلقه .

(٥) ألا قد كان صيد لقانص : يقول ياله من صيد عظيم ظفر به قانص خبير ، خبوا : فأظلونا بثوب ذى رواق،وضربوا علينا خباء ليسترنا من حر الشمس

(٦) وظل صحابى : وجعل أصحابى فى هذا اليوم . يشتوون : يشوون اللحم . بنعمة . وهم فى نعيم وسرور . يصفون غاراً : يضعون عيدان الغار ، وهو شجر ، وأوراقه مصطفا بعضها إلى بعض ليصفوا عليه اللحم المشوى . اللكيك الموشق : اللحم المقطع وشائق يطبخ بالماء والملح ثم يجفف ويحمل للطلب

(٧) رحنا : سرنا عشيا عائدين إلى ديارنا . جواثا : مدينة أوحصن بالبحرين. فعالى النعاج : نرفع لحم الصيد إما فى عدل، وهوالزنبيل،وإما بالشناق ، وهوالحبل

وَرُحْنَا بِكَابْنِ المَاءِ يُجْنَبُ وَسْطَنا ... تَصَوَّبُ فِيهِ العَيْنُ طَوْرًا وَتَرْتَقِي (١)
وَأَصْبَحَ زُهْلُولًا يُزَلُّ غُلَامُنَا ... كَقِدْحِ النَّضِيِّ بِاليَدَيْنِ المُفَوَّقِ (٢)
كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ ... عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُفَرَّقِ (٣)

٤٩

زعموا أن حُجراً أبا امرئ القيس أمر رجلا يسمى ربيعة أن يذهب بامرئ القيس ويذبحه لكراهيته فيه قول الشعر. فأتى به ربيعة جبلا وتركه فيه واستلخ عيني جؤذر فجاء بها إليه، فأسف لذلك وحزن عليه. فقال له ربيعة: إنى لم أقتله، فقال له: جئنى به، فرجع ربيعة فوجد امرأ القيس قد قال.

فَلَا تَسْلِمَنِّي يَارَبِيعُ لِهَذِهِ ... وَكُنْتُ أُرَانِي قَبْلَهَا بِكَ وَاثِقًا (٤)
مُخَالِفَةٌ نَوَى أَسِيرٍ بِقَرْيَةٍ ... قُرَى عَرَبِيَّاتٍ يَشِمْنَ البَوَارِقَا (٥)

---

(١) ورحنا بكابن الماء: وعدنا إلى ديارنا بفرس مثل ابن الماء، وهو طائر من طير الماء، شبه الفرس به لخفته وطول عنقه. تصوب فيه العين طورا وترتقى: تنظر العين إليه فما هى أن يعجبها أسفله حتى ترتفع إلى أعلاه، وذلك لحسن قده، وجمال منظره، وبديع خلقه فالعين لا تكاد تشبع من النظر إليه علوا وسفلا

(٢) زهلول: أملس، يعنى الفرس. يزل غلامنا: لا يكاد غلامنا يستقر فوق ظهره لملاسته. كقدح النضى: كأنه السهم المجرد عن النصل والريش

(٣) دماء الهاديات: دماء أوائل الحيوانات التى وقعت فى الصيد. بنحره: بصدره عصارة حناء: ماء مما يصبغ به الشيب

(٤) لا تتركنى ياربيعة لهذه النكبة التى كدت تحلها بى وقد كنت موضع ثقتى ومحل اعتمادى

(٥) مخالفة نوى أسير: يعنى أن تركى بهذا الجبل على غير حالة الأسير البعيد الدار. يشمن البوادق: فأنا بعيد عن قرای التى بها العربيات الحسان اللائى يتشوفن لمعان البرق من ناحيتى

فإمَّا تَرَيْنِي اليَوْمَ فى رَأسِ شَاهِقٍ فَقَدْ أغْتَدِى أَقودُ أجْرَدَ تائِقَا (١)
وقَدْ أذْعَرُ الوَحْشَ الرِّتَاعَ بِغِرَّةٍ وَقَدْ أجْتَلِي بِيضَ الخُدُورِ الرَّوائِقَا (٢)
نَوَاعِمَ تَجلو عَنْ مُتُونٍ نَقِيَّةٍ عَبِيرًا ورَيْطًا جاسِدًا أوْ شَقَائِقَا (٣)

٥٠

ومما ينسب إليه قوله :

طَرَقَتْكَ هِنْدٌ بَعْدَ طُولِ تَجَنُّبٍ وَهْنًا ولمْ تَكُ قَبْلَ ذٰلِكَ تَطْرُقِ (٤)

٥١

وقوله :

تَضَمَّنَها وَهْمٌ رَكُوبٌ كأنَّهُ إذاضَمَّ جَنْبَيْهِ المَخَارِمُ رُزْدَقُ (٥)

---

(١) فى رأس شاهق : فى قمة جبل عال ، إن كانت هذه حالى الآن فقد ترانى أقود فرسى عند انبلاج الصباح للصيد والقنص ، وهذه حال ذى النعمة والملك

(٢) الرتاع : الراتعة فى كلئها . بغرة : على غفلة منها . بيض الخدور : الخود المحجبات . الروائق البيض النواصع اللائى يرقن النظر

(٣) متون نقية : يريد بها الأسنان البيضاء . العبير : ضرب من الطيب جيد الريح . الريط الجاسد : الثياب المصبوغة بالزعفران . الشقائق : الثياب الحمر

(٤) بعد طول تجنب : بعد هجر طويل . وهنا : بعد هدأة من الليل

(٥) الوهم : الجمل الذلول فى ضخم وقوة . المخارم : الفلوات . الرزدق: السواد المزدرع من الأرض ، وبه سميت الرساتيق ، جمع رستاق : وهى الضياع العامرة . وأصل الكلمة فارسية معربة قديما

قافية الـكاف

٥٢

روى له ابن عباس هذا البيت :

قِفَا فاسْأَلَا الأَطْلالَ عَنْ أُمِّ مَالِكِ وهَلْ تُخْبِرُ الأطْلالُ غَيْرَ التَّهالكِ [1]

---

(١) لم أقف لهذا البيت على أخوات

قافية اللام

٥٣

وقال امرؤ القيس ، وهى معلقته المشهورة (١)

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنزِلِ ... بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (٢)

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ (٣)

---

(١) من الغريب أن بعض الرواة زعم أن هذه القصيدة ليست لامرئ القيس، وأنها ألحقت بشعره ، وإنما هى من شعر بعض النمريين . وهذا بلا شك زعم باطل، وادعاء فائل . وإلا لما سكت عنها الرواة من قبيلة النمر بن قاسط ، ولحاجوا فى شأنها وليست هذه القبيلة بالخاملة ولا بالضعيفة وقد كان فيها شعراء ورواة . فليس من المعقول أن يسلموا فى حقوقهم ويتركوا حبل الرواة على عواتقهم ، فتنتزع منهم قصيدة لها قيمتها وشهرتها بين العرب

(٢) قفا : يخاطب نفسه ، أو يخاطب صاحبه ، أو صاحبيه . لأن العرب قد يخاطب الواحد منهم صاحبه مخاطبة الاثنين كما يخاطب الجماعة كذلك. على أن أقل أعوان الرجل بين أهله اثنان . والرفقة أدنى ماتكون ثلاثة ، فيجرى كلام الواحد على صاحبيه . ذكرى حبيب ومنزل : تذكر الحبيب ومنزله الذى ألف النزول به. سقط اللوى : منقطع الرمل ، والدخول وحومل : قيل إنهما موضعان فى شرقى اليمامة

(٣) توضح والمقراة : قيل إنهما موضعان قريبان من الدخول وحومل . لم يعف رسمها : لم يدرس ولم يتغير ولم يمح أثرهما . يقول: إنه مع ما نسجته الرياح عليهما من التراب جيئة وذهوبا لم تمح محوا تاما ، بل لا تزال رسومها ظاهرة ، وآثارها شاخصة . فلذلك كان بكاؤه عليها شديدا . وذكر ابن عساكر فى تاريخه أن امرأ القيس كان فى أعمال دمشق ، وأن (سقط اللوى) و(الدخول وحومل) و (توضح والمقراة) الواردة فى مطلع معلقته إنما هى أسماء أماكن معروفة بحوران ونواحيها. قلت : ولا عجب فى ذلك فقد كانت بلاد الشام من أعمال الروم فى الجاهلية ، ولابن عساكر أدرى ببلاده التى أرخها ووصفها فى تاريخه العظيم الذى لم يوضع مثله

رُخاءٌ تَسِحُّ الرِّيحُ فى جَنَباتِها ... كساها الصَّبا سَحْقَ المُلاءِ المُذَيَّلِ (١)

تَرَى بَعَرَ الصِّيرانِ فى عَرَصاتِها ... وقِيعانِها كأنَّه حَبُّ فُلفُلِ (٢)

كأنِّى غَداةَ البَيْنِ يومَ تَحمَّلوا ... لدَى سَمُراتِ الحَىِّ ناقِفُ حَنْظَلِ (٣)

وُقوفًا بها صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ لا تَهلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ (٤)

فَدَعْ عَنْكَ شَيْئًا قدْ مَضَى لِسَبيلِهِ ... ولكِنْ على ما غَالَكَ اليَوْمَ أَقْبِلْ (٥)

وقَفْتُ بِهَا حَتَّى إذَا مَا تَرَدَّدَتْ ... عَمايَةُ مَحْزُونٍ بِشَوْقٍ مُوَكَّلِ

وإنْ شِفَائِى عَبْرَةٌ إنْ سَفَحْتُهَا ... وهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعوَّلِ (٦)

---

(١) رخاء : يصف الرياح بأنها رخاء لازعزع . تسبح فى جنباتها : تصب فى أكنافها . سحق الملاء المذيل : كأن الريح فى مرها بها نسجت عليها ملاء فضفاضا ذا ذيول تجررها وراءها

(٢) الصيران ، جمع الصوار ، والصوار : القطيع من البقر والظباء . العرصات: الساحات الواسعة الخالية من السكان . وقيعانها جمع قاع : وهو المطمئن فى الوادى؛ ويطلق على الخلاء الذى لا أحد فيه . ويروى : الآرام ، بدل الصيران ، ويروى . حب قلقل (بكسر القافين) وهو فيما قيل : نبت له حب أسود حسن الرائحة . أما الفلفل فمعروف

(٣) غداة البين : صبيحة الفراق . تحملوا : ارتحلوا . السمرات: هو شجر أم غيلان، ناقف حنظل : أشق الحنظل فتدمع عيناى لشدة مرارته . لأن من يشقه يجد أثر مرارته فى حلقه وأنفه وعينيه فيكون فى حال سيئة

(٤) المطى : الإبل ، أو كل ما يمتطى من الدواب : أى يركب . والمراد هنا الإبل خاصة ، وتجمل : تصبر وتعز وتجلد ، ويروى : وتحمل

(٥) هذا البيت والذى بعده لم أر أحداً رآهما لامرئ القيس فى هذه القصيدة إلا ابن أبى الخطاب القرشى فى جمهرته

(٦) العبرة : الدموع . إن سفحتها إن أسلتها وصببتها . ويروى : عبرة مهراقة، معول : معتمد . استفهام إنكارى

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ (١)

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ (٢)

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي (٣)

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ... وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ (٤)

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي ... فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ (٥)

---

(١) كدأبك : كعادتك ، يعنى قلبه .أم الحويرث وأم الرباب: من صواحباته . مأسل : اسم ماء بعينه

(٢) إذا قامتا : يعنى أم الحويرث وأم الرباب.تضوع المسك منهمافاح وانتشرت رائحته، حتى تظن أن نسيم الصباح حملت إليك ريا القرنفل ،ويروى : بريا السفرجل

(٣) الصبابة : رقة الشوق . النحر : الصدر والعنق . والمحمل : حمائل السيف

(٤) منهن : من صواحباته اللائى يتعشقهن . دارة جلجل : موضع بالحمى له فيه شأن ، ويروى : ألا رب يوم لى من البيض صالح

(٥) عقرت : نحرت . العذارى : الغيد الأبكار . ولهذا اليوم حديث طريف يحسن إيراده . كان امرؤ القيس مولعاً بابنة عم له يقال لها عنيزة ، أو فاطمة؛ وكان شديد الشغف بها ومحاولة السكون إليها . فبينا هو جالس مرت به فتيات وفيهن ابنة عمه يردن غدير الماء ، فتبعهن مختفيا ؛ فلما تجردن ودخلن الغدير، وثب على ثيابهن فأخذها وقعد عليها وقال : والله لا أعطى واحدة منكن ثوبها حتى تخرج كما هى فتأخذه بيدها . فأبين ذلك عليه حتى ارتفع النهار . فلما خشينا فوات الوقت خرجت إحداهن فوضع لها ثيابها ناحية فلبستها ، ثم تتابعن على ذلك ولم يبق منهن إلا ابنة عمه، فناشدته الله أن يطرح إليها ثيابها فقال : لا والله أو تخرجى ! فخرجت، فنظر إليها مقبلة ومدبرة ووضع لها ثيابها ناحية فألبستها ثم أقبلن عليه فقلن : فضحتنا وحبستنا وأجعتنا ! فقال فإن نحرت لكن ناقتى أتأكلن منها ؟ قلن : نعم . فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وجمع الخدم الحطب وأججوا نارا عظيمة فجعل يقطع من أطايبها ويرمى بها فى الجمر وهن يأكلن ويأكل معهن ويشرب من فضلة خمر كانت معه ويغنيهن وينبذ للخدم =

وَيا عَجَبًا مِنْ حَلِّهَا بَعْدَ رَحْلِها ... ويا عَجَبا لِلْجازِرِ الْمُتَبَذِّلِ (١)

فَظَلَّ الْعَذارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها ... وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّلِ (٢)

تدارُ عَلَيْنا بالسَّدِيفِ صِحافُنَا ... ويُؤْتَى إلَيْنا بِالعَبِيطِ المُثَمَّلِ (٣)

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فقالَتْ لكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي (٤)

تَقُولُ وقَدْ مالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا ... عَقَرْتَ بَعِيرِي يا امْرَأَ الْقَيْسِ فانْزِلِ (٥)

فَقُلْتُ لَها سِيرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ ... ولَا تُبْعِدِينِي عَنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ (٦)

دَعِي البَكْرَ لَا تَرْثِي لَهُ مِنْ رِدافِنَا ... وهاتِي أَذِيقِينَا جَنَاةَ القَرَنْفُلِ (٧)

= من هذا الكباب حتى شبعوا جميعاً . فلما رأى ذلك وأرادالرحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته، وقالت الأخرى: أنا أحمل رحله. فتقسمن متاع راحلته وبقيت ابنة عمه لم تحمل شيئاً فحمله على غارب بعيرها ، فكان يدخل رأسه فى خدرها ويقبلها فإذا امتنعت عليه أمال هودجها فتقول : يا امرأ القيس عقرت بعيرى فانزل

(١) يعجب من حالته وتباين أمره معهن ، فهو يعجب من الرحل وكيف حملته بعد أن كان محمولا على الناقة ، كما يعجب من نفسه إذ صار جازرا متبذلا فى عقر ناقته

(٢) يرتمين : يرمى بعضهن بعضها بلحمها وشحمها الأبيض كأنه الحرير المفتل

(٣) السديف : لحم السنام . والعبيط المثمل : اللحم الطرى المخلوط بالسويق

(٤) الخدر : الهودج عنيزة : لقب صاحبته فاطمة . لك الويلات : دعاء عليه . مرجلى : عاقر بعيرى وتاركى أمشى مترجلة غير راكبة

(٥) الغبيط : هو الهودج بعينه فى هذا الموضع . عقرت بعيرى : أى أدبرته ظهره ؛ يعنى جرحته

(٦) جناها اقتطاف حمرة خديها بالقبل . المعلل :الذى عالل بالطيب مرة بعد مرة

(٧) عند الأصمعى أن هذا البيت ليس لامرئ القيس لأنه فى رأيه زايل المعنى . وعندى أنه لا تزايل هناك فهو بعد أن قال لها : سيرى وأرخى زمامه ، عاد فقال : دعيه لا تشفقى عليه من ركوبنا . أذيقينا جناة القرنفل : عللينا برائحة فمك التى تشبه زهر القرنفل

بِثَغْرٍ كَمِثْلِ الْأُقْحُوَانِ مُنَوَّرٍ نَقِيِّ الثَّنَايَا أَشْنَبٍ غَيْرَ أَثْعَلِ (١)

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٌ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ (٢)

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ (٣)

وَيَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الْكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ عَلَيَّ وَآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تُحَلَّلِ (٤)

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هٰذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي (٥)

وَإِنْ كُنْتِ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ (٦)

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ (٧)

---

(١) الأقحوان : يعني ان ثناياها في بياضها ونقائها كزهر الأقاح . أشنب : صافي الريق رقيقه . غير أثعل : لم تتراكب أسنانه

(٢) ذو تمائم محول : طفل لها رضيع له حول ، ويروى : مغيل . يقول لها منفقا نفسه عندها : إن الحامل والمرضع لا تكادان ترغبان في الرجال ، وهما يرغبان في لجمالي ومزاياي

(٣) بشق : بشطر جسمها

(٤) الكثيب : الرمل المجتمع في ارتفاع . تعذرت : امتنعت وتصعبت ، وجاءت بمعاذير من غير عذر . وآلت : حلفت . لم تحلل : لم تستثن في يمينها ، أي جعلته حلفا قاطعا

(٥) قال ابن الكلبي: فاطمة هي ابنة عبيد بن ثعلبة بن عامر ، وهي التي قال لها مرة لا وأبيك ابنة العامري . التدلل: الإدلال ، وهو أن تسيء إلى من يثق بك . أزمعت : عزمت وأجمعت الرأي . صرمي : هجري . فأجملي : أحسني صحبتي ودعي هذا العزم

(٦) ساءتك : آذتك . خليقة طبيعة . ثيابي: يريد بها قلبه . تنسل : تخرج وتنصرف

(٧) أغرك : أحملك على الاغترار بي أن حبك قد برح بي حتى كاد يقتلني . القلب : يريد به قلبه لأنه لا سلطان له عليه وإنما السلطان والتصرف فيه لها هي . وقد زعموا أن طلاق أهل الجاهلية كان أن يسل الرجل ثوبه من ثوب زوجه ، أو تغير هي باب البيت فيعلم أنها طلقته

وَأَنَّكِ قَسَّمْتِ الفُؤَادَ فَنِصْفُهُ   قَتِيلٌ وَنِصْفٌ فِى حَدِيدٍ مُكَبَّلِ (١)

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلَّا لِتَضْرِبِى   بِسَهْمَيْكِ فى أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ (٢)

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا   تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ (٣)

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إلَيْهَا وَمَعْشَرًا   عَلَىَّ حِرَاصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِى (٤)

إذَا مَا الثُّرَيَّا فى السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ   تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ المُفَصَّلِ (٥)

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا   لَدَى السِّتْرِ إلَّا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ (٦)

فَقَالَتْ يَمِينُ اللهِ مَالَكَ حِيلَةٌ   وما إنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ تَنْجَلِى (٧)

---

(١) ونصف فى حديد : هو النصف الواقع فى أشراك حبها ولايزال ينبض بالشوق إليها

(٢) ذرفت : دمعت . بسهميك : يريد بهما عينيها . أعشار القلب : أجزاؤه . مقتل : مذلل بحبك

(٣) وبيضة خدر : ورب غادة مخدرة لايرام خباؤها : لايستطاع الوصول إليها . غير معجل : غير خائف من أحد ، بل لهوت بها فى ريث واطمئنان

(٤) تجاوزت أحراسا : مررت بحراسها وأهلها الحريصين على قتلى لو يستطيعون ذلك

(٥) يعنى : كان تجاوزى الأحراس ، وتقحمى المعاشر إليها ، وقت تعرض الثريا فى السماء . وقد زعموا أنه لم يرد الثريا وإنما أراد الجوزاء ، لأن الثريا لاتتعرض . مع أن لها اعتراضا عند السقوط فإنها تأخذ وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة ، وأثناء الوشاح ثناياه . والمفصل : الذى فصل بين كل خرزتين منه بلؤلؤة

(٦) نضت ثوبها : خلعته عند النوم . . لبسة المتفضل : إلا ما يلبس وقت النوم من نحو قميص أو إزار

(٧) مالك حيلة : لا أجد لك حيلة فى دفعك ومنعك . الغواية : الجهالة . تنجلى : تنكشف

خَرَجْتُ بِها أَمْشِي تَجُرُّ وراءَنا عَلى أَثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَجَّلِ (١)

فَلَمّا أَجَزْنا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحى بِنا بَطْنَ خَبْتٍ ذِي قِفافٍ عَقَنْقَلِ (٢)

هَصَرْتُ بِفَوْدَىْ رَأْسِها فَتَمايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ (٣)

إذا الْتَفَتَتْ نَحْوِي تَضَوَّعَ رِيحُها نَسِيمَ الصَّبا جاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ (٤)

إذا قُلْتُ هَاتِي نَوِّلِينِي تَمايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ (٥)

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ (٦)

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ (٧)

وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفاحِشٍ إذا هِيَ نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ (٨)

---

(١) المرط : كساء من خز أو كتان وقد يكون أخضر اللون يؤتزر به . مرجل : به صور الرجال

(٢) أجزنا : قطعنا . ساحة الحي : عرصته ورحبته . انتحى : مال واعترض . القفاف : ما ارتفع من الأرض وغلظ . والعقنقل : الرمل المتعقد الداخل بعضه في بعض

(٣) هصرت : جذبت . الفودان : جانبا الرأس ، يريد أنه جذبها من شعرها وأمالها نحوه : هضيم الكشح : ضامرة الوسط . ريا : ملأى . المخلخل يعني الساق وهو مكان الخلخال

(٤) تضوع : فاح وانتشر . ريا القرنفل : ريح زهر هذا النوع المعروف في الأفاويه

(٥) نوليني : أعطيني وأنيليني . والشطر الثاني مكرر ، والظاهر أن هذا البيت دخيل

(٦) مهفهفة : خفيفة اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن . المفاضة : المسترخية البطن ، والترائب : موضع القلادة من الصدر . مصقولة : مجلوة . كالسجنجل : كالمرآة الصافية . قال التبريزي : وهي رومية . يعني كلمة السجنجل

(٧) تصد : تعرض عنا ، وتبدي عن خد أسيل : ليس بكز . بناظرة يعني : ناظرة . وجرة : موضع . مطفل : ذات أطفال . شبهها بغزالة تنظر إلى جآذرها فهي تميل بعنقها ميلا لطيفاً

(٨) الجيد : العنق . والرئم : الظبي الأبيض الخالص البياض . ليس بفاحش : غير كريه المنظر . نصته : رفعته . المعطل : الذي لا حلي عليه

وفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ (١)

غَدائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلا تضِلُّ المَدارَى فى مُثَنًّى ومُرْسَلِ (٢)

وكَشْحٍ لطِيفٍ كالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وسَاقٍ كأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ (٣)

وتُضْحِى فَتِيتُ المِسْكِ فوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومَ الضُّحَى لم تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ (٤)

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غيْرَ شَثْنٍ كأنَّهُ أسَارِيعُ ظَبْيٍ أو مَسَاوِيكُ إسْحِلِ (٥)

---

(١) الفرع : الشعر التام والمتن : ماعن يمين الصلب وشماله من العصب واللحم. والفاحم : الشديد السواد . والأثيث : الكثير المتراكب والقنو : العذق ، وهو الشمراخ . المتعثكل : الذى قد دخل بعضه فى بعض لكثرته ، أو هو المتدلى. وكل هذا فى وصف شعرها

(٢) الغدائر : الذوائب . مستشزرات : مجدولات مرتفعات . المدارى : جمع مدرى ، وهى مثل شوكة يخلل بها شعر المرأة ويصلح . أوهو المشط . مثنى ومرسل : أى بعضه مثنى متجمد ، وبعضه مسترسل غير متجعد

(٣) الكشح اللطيف : الخصر النحيل الحسن . والجديل : زمام يتخذ من السيور فيجدل فيجىء حسنا لينا . أنبوب السقى المذلل : ساق كساق البردى وهو نبات يقوم على سوق فى مناقع الماء . وهو معروف بمصر ، ويسميه عامة المصريين بالبشنين ، وكان قدماء المصريين يتخذون من أوراقه العريضة قراطيس يكتبون فيها أغراضهم. والمذلل : المحروث

(٤) وتضحى : تنتبه من نومها فى ضحوة النهار . فتيت المسك : ماتفتت منه ؛ أو كأنه يريد أن يقول : إذا قامت من نومها وجدت لها ريحا طيبا كأنما باتت على مسك مفتت ، وإن لم يكن هناك مسك ولا طيب . لم تنتطق : لم تشد نطاقا للعمل ، يعنى أنها مرفهة منعمة مخدمة . عن تفضل : عن ثوب النوم

(٥) تعطو برخص : تتناول ببنان لطيف غير شثن ليس بكز ولا غليظ . أساريع ظبى : كأنه دود صغار مما يرى فى الكثيب المسمى بظبى . الإسحل : شجر تتخذ من عروقه مساويك كالأراك

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ (١)

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ (٢)

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ (٣)

تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا وَلَيسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاهَا بِمُنْسَلِ (٤)

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فِيكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ (٥)

* * *

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي (٦)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ (٧)

---

(١) كبكر : كبيضة النعامة أول ماتبيض . المقانات : التى خالط بياضها صفرة وحمرة . الماء النمير : الصافى . غير المحلل : الذى لم تكدره السابلة فى نزولها عليه

(٢) المنارة : يريد بها سراج الراهب الذى يستضىء به فى وحدته وانقطاعه لعبادة ربه

(٣) يرنو : يديم النظر . والصبابة : رقة الشوق . اسبكرت : امتدت ومشت فى استقامة . بين درع ومجول : أى أنها بين الكبيرة التى تلبس الدرع وبين الصغيرة التى تلبس المجول . يريد أنها شابة غيداء

(٤) تسلت : ذهبت . العماية : الجهالة . عن الصبا : عن اللهو والبطالة . بمنسل : بسال ولا تارك ، ويروى : وليس صباى

(٥) خصم ألوى : أى شديد الخصومة . رددته : رفضت عذله وما يدعيه من نصيحة . غير مؤتل : غير مقصر فى عذله ونصحه

(٦) كموج البحر : يعنى فى ظلمته وكثافته . أرخى سدوله : أرسل ستوره ، ويريد بها ظلماته . ليبتلى : ليختبر ماعندى من الصبر أو الجزع

(٧) تمطى بجوزه : تمدد بجسده ، ويروى : تمطى بصلبه ، وهو ظهره . وأردف أعجازا : تابع أواخره بأوائله وناء بكلكل : ناء بمعنى حط ، وبمعنى بعد ، والأولى أولى بالمقام ، أى حط بصدره

أَلَا أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيْكَ بِأَمْثَلِ (١)
فَيَالَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ (٢)
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ (٣)

* * *

وَقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا عَلَى كَاهِلٍ مِنِّي ذَلُولٍ مُرَحَّلِ (٤)

---

(١) بأمثل : يعنى ليس الإصباح فيك بأفضل من الإمساء . يعنى أن ماجلبته على من الهموم جعل النهار عندى كالليل ، فليس أحدهما فيما ابتليت به خيرا من الآخر

(٢) مغار الفتل : الحبل المفتول جيداً . يذبل . جبل ، ويروى

فيالك من ليل كأن نجومه بأمراس كتان إلى صم جندل

وراوى هذا البيت قد خلط بينه وبين الذى بعده

(٣) الثريا : النجم المعروف فى السماء . علقت فى مصابها ، ويروى فى مصامها ، وكلاهما بمعنى موضعها ومكانها ، بأمراس كتان : بحبال محكمة الفتل من الكتان . صم جندل : حجارة صماء غير متخلخلة

ولهذه الأبيات الخمسة التى مرت من أول قوله (وليل كموج البحر) إلى قوله (كأن الثريا) حكاية طريفة كان الوليد بن عبد الملك وأخوه مسلمة يتنازعان فى أيهما أجود فى وصف طول الليل ، امرؤ القيس فى هذه الأبيات ، أم النابغة الذبيانى فى قوله

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذى يرعى النجوم بآيب
وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

فلما اشتد خلافهما فى أيهما أجود فى وصفه ، حكما الشعبى بينهما . فلما أخذ مسلمة فى إنشاده أبيات امرئ القيس وبلغ إلى قوله (كأن الثريا) ضرب الوليد برجله الأرض طربا . . ؟ فقال الشعبى : قد بانت القضية .. يعنى أنه حكم لمسلمة بأن أبياته التى أنشدها لامرئ القيس . وهى التى كان يفضلها ، أجود فى الوصف من أبيات النابغة

(٤) وقربة أقوام : ورب قربة أقوام . القربة معروفة ، وهى مايحمل فيها الماء عصامها : حبلها الذى تحمل به . الكاهل : أعلى الظهر ذلول مرحل : معتاد على الحمل نهاض بالكل ، وهذا دليل على أنه كان يخدم أصحابه فى أسفارهم ، وهو يفخر بذلك

وَوَادٍ كَجَوْفِ العيْرِ قفْرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذِّئبُ يَعْوِي كالخَلِيعِ المُعَيَّلِ (١)
فَقُلْتُ لَهُ لمَّا عَوَى إنَّ شأنَنَا قَلِيلُ الغِنَى إنْ كُنْتَ لمَّا تَمَوَّلِ (٢)
كِلانَا إذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وحَرْثَكَ يَهْزِلِ (٣)

٭ ٭ ٭

وقدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ (٤)

---

(١) بجوف العير : بجوف الحمار الوحشى ، لأن جوفه لاينتفع منه بشىء وزعم قوم أن العيرهنا اسم رجل من العمالقة يقال له : حمار بن مويلع . كان له بنون وواد خصيب ، وكان حسن الطريقة ، فسافر بنوه فى بعض أسفارهم فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم . فكفر أبوهم هذا بالله وقال : لا أعبد ربا أحرق بنىّ . وأخذفى عبادة الأصنام . فسلط الله على واديه ناراً وأحرقته فما بقى منه شىء . والوادى بلغة أهل اليمن يقال له : الجوف ـ فضرب العرب به المثل فقالوا : أخلى من جوف عير . والخليع المعيل : هو الذى تبرأ منه قومه ونفوه منهم ، مع أنه ذو عيال ومقتر

(٢) يقول للذئب : إننى فى حالىهذه وأنت كما أنت كلانا لايغنى عن صاحبه شيئا.

(٣) ويقول له : كلانا إذا حصل على شىء أفاته أى أضاعه ولم يحرص عليه ، ومن يحترث حرثى وحرثك : ومن يفعل فعلى وفعلك يهزل . يصاب بالهزال والضمور من الجوع المبرح

وهذه الأبيات الأربعة التى تبدأ من قوله « وقربة أقوام » إلى قوله « يهزل » اختلف الرواة فى نسبتها إلىامرئ القيس · فالأصمعى يرويها لتأبط شرا وجرى على ذلكأبوحنيفة الدينورى وابن قتيبة · على أنه ليس بين هذه الأبيات وسابقتها شىء من التناسب ، بل هى بكلام اللصوص والصعاليك أشبه منها بكلام الملوك . وقال الزوزنى : لم يرو جمهور الأئمة هذه الأبيات الأربعة فى هذه القصيدة وزعموا أنها لتأبط شرا . ولم يشر التبريزى إلى شىء من هذا . أما من رواهالامرئ القيس فهو السكرى وحده واعترضه البغدادى صاحب خزانة الأدب . وقال إنها ليست من شعر امرئ القيس

(٤) أغتدى : أخرج بفرسى فىغدوة النهار أىعندتباشير الصباح . وكناتها : =

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ (١)

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزِّلِ (٢)

عَلَى الْعَقْبِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ (٣)

مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرْنَ غُبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ (٤)

يَزِلُّ الْغُلَامُ الْخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثَقَّلِ (٥)

= أوكارها . المنجرد : الفرس القصير الشعر . الاوابد : الوحوش الآبدة . قيدها : إمساكها بقوة حضره ، وكأنها لم تبرح مكانها . الهيكل : الفرس الطويل المتين الخلق

(١) مكر مفر . يقول إن هذا الفرس معاود الكر والفر ، مقبل مدبر . حسن الإقبال فى سبقه ، جيد الإدبار فى عدوه . الجلمود : الصخر الأصم . من عل : من مكان عال .

(٢) كميت : كأن لونه لون الخمر ، حمرة إلى السواد . يزل اللبد : لا يكاد يثبت الجل على ظهره لملاسته . عن حال متنه . ويروى : عن حاذ متنه . والحاذ : وسط الظهر . الصفواء : الصخرة الملساء . بالمتنزل بالسيل الجارف

(٣) العقب : الجرى بعد الجرى . وقيل إذا حركته بعقبك جاش وكفاك السوط والجياش : الذى يزداد جريا كلما حركته . اهتزامه : صوت اندفاعه . حميه : غليه كما تجيش القدر فى غليانها ، والمرجل : القدر . ويروى : على الذبل جياش . ويروى : على الضمر ، وهما بمعنى

(٤) مسح : يصب الجرى صبا . السابحات : الخيل تجرى كأنها تسبح . الونى : الإعياء : الكديد : ماصلب من الأرض ، أو ماكد بالوطء . المركل : الذى ركلته الخيل بحوافرها . يعنى أنه يجيء بجرى بعد جرى إذا كلت الخيل السوابح وأعيت وأثارت الغبار فى مثل هذا الموضع

(٥) الخف : الخفيف الحاذق بالركوب . صهواته ، الصهوة : مقعد الفارس من الفرس من ظهره ، ويلوى : يذهب ويميل . العنيف : غير الرفيق ، يقول إن هذا الفرس يزل ويزلق الغلام الخفيف عن ظهره ، ويرمى بأثواب الرجل العنيف الثقيل إذا لم يكن جيد الفروسة عالماً بها

دَرِيرٍ كخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ ... تَقَلُّبُ كَفَّيْهِ بخَيْطٍ مُوَصَّلِ (١)

لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ ... وإرْخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (٢)

ضَلِيعٌ إذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ (٣)

كأَنَّ سَرَاتَهُ لَدَى البَيْتِ قَائِمًا ... مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةُ حَنْظَلِ (٤)

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كأَنَّ نِعَاجَهُ ... عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّلِ (٥)

فَأَدْبَرْنَ كالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ ... بِجِيدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيرَةِ مُخْوَلِ (٦)

فَأَلْحَقَنَا بالهَادِيَاتِ ودُونَهُ ... جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُزَيَّلِ (٧)

---

(١) درير : كثير الدر والانصباب فى العدو . الخذروف : الخذرافة التى يلعب بها الصبيان يمرونها مرا شديدا فيسمع لها صوت . أمره : أحكم فتله ، أو أداره بخيط أمسكه بكفه

(٢) أيطلا ظبى : خاصرتا ظبى ، لضمورهما وعدم انتفاخهما . وساقا نعامة : شبه ساقيه بساقى النعامة لصلابتهما وقصرهما ، وإرخاء سرحان : سرعة ذئب فى لين . وتقريب تتفل : وجرى تتفل وهو ولد الذئب

(٣) أى ضليع : قوى الأضلاع ممتلئها . استدبرته : نظرت إليه من خلفه . سد فرجه : رأيت ذنبه الطويل الغزير الشعر قد سد ما بين فخذيه . ليس بأعزل ، الأعزل : المائل الجانب خلقة أو عادة

(٤) سراته : أعلى ظهره . مداك عروس : حجر يسحق عليه الطيب للعروس . والصلاية : الحجر الذى يدق عليه حب الحنظل . ويروى : كأن على الكتفين ، ويروى : كأن على المتنين منه إذا انتحى . وفى رواية الأصمعى : أو صراية حنظل . والصراية الحنظلة إذا اصفرت

(٥) عن : عرض . السرب : قطيع البقر . النعاج : البقر الوحشى . عذارى دوار : أبكار مترهبات يدرن حول صنم . الملاء المذيل : الثياب الطويلة الذيل

(٦) أدبرن : يعنى أن النعاج انصرفن متفرقات كالجزع : كالخرز ، المفصل بينه ببياض وسواد . الجيد : العنق . معم مخول . منتسب إلى كرام الأعمام والأحوال

(٧) الهاديات : طلائع الوحوش . جواحرها : المتخلفات منها فى صرة : فى غبرة ، وذلك لشدة جريه وسرعة عدوه . لم تزيل : لم تتفرق

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ... دِرَاكًا ولَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ (١)

فَظَلَّ طُهَاةُ الحَيِّ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ ... صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ (٢)

ورُحْنَا وَرَاحَ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ ... مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ (٣)

كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ ... عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلِ (٤)

وَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وِلجَامُهُ ... وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ (٥)

أَصَاحِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ ... كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (٦)

يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ ... أَهَانَ السَّلِيطَ فِي الذُّبَالِ المُفَتَّلِ (٧)

---

(١) عادى : والى الجرى حتى جمع بين الثور والبقر ، على تباعد ما كان بينهما. دراكا : سريعاً . لم ينضح : لم يعرق

(٢) الطهاة : الطباخون . صفيف شواء : شرائح لحم مشوى . أو قدير : مطبوخ فى القدر

(٣) الطرف : النظر . يقصر دونه : لا يبلغ الغاية من التمتع برآه . متى ما ترق العين فيه تسهل : يعنى هو لجمال خلقه إذا نظرت العين إلى أعلاه فلا تلبث أن تنحدر ناظرة إلى أسفله ، لحسنه التام . ويروى : الطرف ينفض رأسه يعنى أن الفرس يرفع رأسه مرحاً ونشاطا

(٤) الهاديات : أوائل البقر الوحشية التى صادها . عصارة حناء : يعنى أن ماء الحناء فى الشعر الشائب كالدم فى نحره

(٥) بات بعينى : بحيث أراه مسرجا ملجما ، قائما بين يدى غير مرسل إلى المرعى

(٦) أصاح : ياصاحبى . أريك وميضه : أبصرك لمعانه كلمع اليدين : كسرعتهما فى تحركهما . حبى مكلل : سحاب متراكم

(٧) سناه : ضوؤه . مصابيح راهب : سرجه وقناديله . أهان السليط : أكثر من الزيت . الذبالة : الفتيلة ، ويروى : أمال السليط

قَعَدْتُ وأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ ... وبَيْنَ العُذَيْبِ بُعْدَ مَامُتَأَمَّلِي (١)

عَلَا قَطَنًا بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ ... وأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذْبُلِ (٢)

وأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ عَنْ كُلِّ فَيْقَةٍ ... يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ (٣)

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً ... صُبِحْنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ (٤)

ومَرَّ عَلَى القَنَانِ مِنْ نَفَيَانِهِ ... فَأَنْزَلَ مِنْهُ العُصْمَ مِنْ كُلِّ مَوْئِلِ (٥)

وتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ ... ولَا أُطُمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنْدَلِ (٦)

---

(١) قعدت وأصحابى : لهذا البرق أنظر إليه . ضارج : ماء بأرض طيئ له حكاية ترد . والعذيب : ماء قريب منه

(٢) قطن والستار ويذبل : أسماء جبال . بالشيم : بالنظر إلى البرق . صوبه : مطره الذى يصيب الأرض منه . على الستار رواية ياقوت : عليا الستار ، وقد روى ياقوت بعد هذا البيت بيتا هو :

وألقى ببسيان مع الليل بركه ... فأنزل منه العصم من كل منزل

(٣) الفيقة : الفترة ما بين الحلبتين : فكأنه يقول إن المطر يسح مرة ويسكن أخرى . يكب على الأذقان دوح الكنهبل : يقتلع شجر الكنهبل من أصوله ويلقيه على أم رأسه لشدة سحه وهيجه . والكنهبل : شجر عظام من العضاه ، ويروى : وأضحى يسح الماء حول كتيفة

(٤) المكاكى : نوع من الطير ، واحدته مكاءة ، وهو حسن التغريد فى الصباح . الجواء : موضع بنجد ، صبحن : شربن خمراً فى الصباح . سلاف الرحيق : عصارة الخمر الصافية . مفلفل مضاف إليه فلفل . ويروى :

كأن مكاكى الجواء غدية ... نشاوى تساقوا بالرياح المفلفل

والرياح : الخمر

(٥) مرّ على القنان : مر هذا السحاب على جبل القنان فى بلاد بنى أسد بن خزيمة : من نفيانه : مانفى من قطره . العصم : الأوعال . من كل موئل : من أماكنها الشامخة الحصينة المعتصمة بها فى أعالى الجبال

(٦) وتيماء : مدينة معروفة بأرض الحجاز . الأطم الحصن . مشيد بجندل : مبنى بالحجارة

كَأَنَّ أَبَاناً فى أَفَانِيْنِ وَدْقِهِ ... كَبِيْرُ أُنَاسٍ فى بِجَادٍ مُزَمَّلِ (١)

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً ... مِنَ السَّيْلِ والأَغْثَاءِ فَلْكَةُ مَغْزِلِ (٢)

كَأَنَّ سِبَاعًا فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةً ... بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيشُ عُنْصُلِ (٣)

وأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الغَبِيْطِ بَعَاعَهُ ... نُزُولَ اليَمَانِي ذِي العِيَابِ المُحَمَّلِ (٤)

٥٤

وقال امرؤ القيس ـ وهى قرينة معلقته فى الجودة : ــ

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي ... وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فى العُصُرِ الخَالِي (٥)

وَهَلْ يَعِمَنْ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ ... قَلِيلُ الهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بِأَوْجَالِ (٦)

وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ أَحْدَثُ عَهْدِهِ ... ثَلَاثِيْنَ شَهْرًا فى ثَلَاثَةِ أَحْوَالِ (٧)

---

(١) أبان : جبل ، ويقال له أبانين . أفانين ودقه : ضروب مطره . البجاد : الكساء المخطط . مزمل : ملتف . ويروى : كأن ثبيراً فى عرانين وبله

(٢) المجيمر : جبل . عشية : آخر النهار ، الأغثاء : مايحمله السيل من بقايا الأشياء فلكة مغزل ، لأن الماء استدار حوله

(٣) أنابيش عنصل : أصول العنصل ، وهو البصل البرى . وقال أنابيش ، لأنه ينبش عنه

(٤) صحراء الغبيط : الحزن من الأرض ، وهى لبنى يربوع . بعاعه ثقله . نزول اليمانى كما ينزل الرحل اليمانى . ذى العياب . صاحب الأعدال المملوءة ثيابا وبزا

(٥) عم صباحا ، وأنعم صباحا ، وعم مساء ، وعم ظلاما : كل هذا من تحيات الجاهلية لملوكها فى أوقات الليل والنهار . والطلل : ماشخص من الآثار

(٦) المخلد : الذى أبطأ عنه الشيب ، فهو على علو سنه لايزال يرى كأنه فى شبابه وفتائه ، أو هو الصبى المقرط الذى لايزال القرط فى شحمة أذنه ، الأوجال الأمور الموجبة للخوف والوجل وتوقع المصائب . قال الأصمعى : هو كقولهم استراح من لا عقل له

(٧) قال البطليوسى : ذهب بعض الرواة إلى أن الأحوال ههنا . السنون جمع حول ، والوجه فيه عندى : أن الأحوال ههنا جمع حال لا جمع حول ، وإنما أراد : كيف

دِيارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِى الخَالِ … أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ (١)

وتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلًا … مِنَ الوَحْشِ أَوْ بَيْضًا بِمَيْثَاءَ مِحْلَالِ (٢)

وتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا … بِوَادِى الخُزَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ (٣)

لَيَالِى سُلَيْمَى إِذْ تُرِيكَ مُنَصَّبًا … وجِيدًا كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِمِعْطَالِ (٤)

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليَوْمَ أَنَّنِى … كَبِرْتُ وأَنْ لَا يُحْسِنُ السِّرَّ أَمْثَالِى (٥)

كَذَبْتِ لَقَدْ أُصْبِى عَلَى المَرْءِ عِرْسَهُ … وأَمْنَعُ عِرْسِى أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِى (٦)

ويَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ ولَيْلَةٍ … بِآنِسَةٍ كَأَنَّهَا خَطُّ تِمْثَالِ (٧)

= ينعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهرا وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهى اختلاف الرياح عليه ، وملازمة الأمطار له ، والقدم المغير لرسومه ؟

(١) العافيات الدارسات الخاليات . وذو الخال : موضع بنخل . ألح : دام الأسحم : الأسود ؛ أراد به السحاب الكثير الماء الهطال : الدائم الهطلان بالمطر فى لين

(٢) الطلا : ولد الظبية ، والبيض : بيض النعام . بميثاء : بأرض سهلة . محلال يكثر نزول الناس بها

(٣) وادى الخزامى ورأس أوعال : موضعان . ويروى : رس أوعال . والرس : البئر . يقول : إن سلمى لاتزال وهى فى الحاضرة تحسب أنها بالبادية فهى تتخيل تلك المواضع

(٤) منصبا : ثغرا متسقا مستويا . الجيد : العنق كجيد الرئم : كعنق الظبى الصغير . ليس بمعطال : غير مجرد من القلائد والحلى

(٥) بسباسة : لعلها سلمى هذه أو لعلها غيرها من صواحباته . لايحسن السر : مايكون بين الرجل والمرأة ، ويروى : لايحسن اللهو

(٦) أصبى : أغرى . على المرء عرسه: زوجه . يزن: يتهم . الخالى: الذى لازوجة له

(٧) لهوت : فرحت وطربت ولعبت . الآنسة الفتاة تؤنس بحديثها . خط تمثال : تمثال مصبوب ومنقوش

يُضيءُ الفِرَاشَ وَجْهُهَا لِضَجِيعِهَا ... كمِصْبَاحِ زَيتٍ فى قَنَادِيلِ ذُبَّالِ(١)

كأَنَّ عَلى لَبَّاتِها جَمْرَ مُصْطَلٍ ... أصَابَ غَضًى جَزْلًا وكَفَّ بِأجْزَالِ(٢)

وَهَبَّتْ لَهُ رِيحٌ بِمُخْتَلِفِ الصُّوَى ... صَبًا وشَمَالٌ فى مَنَازِلِ قُفَّالِ(٣)

إذَا مَا الضَّجِيعُ ابْتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مِجْبَالِ(٤)

كحِقْفِ النَّقَا يَمْشِي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ ... بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وتَسْهَالِ(٥)

ومِثْلِكِ بَيْضَاءِ العوارِضِ طَفْلَةٍ ... لَعُوبٍ تُنَسِّينِي إذَا قُمْتُ سِرْبَالِي(٦)

لَطِيفَةِ طَيِّ الكَشْحِ غَيْرِ مُفَاضَةٍ ... إذَا انْفَتَلَتْ مُرْتَجَّةً غَيْرَ مِتْفَالِ(٧)

إذَا مَا اسْتَحَمَّتْ كانَ فَيْضُ حَمِيمِهَا ... على مَتْنَتَيْهَا كالجُمَانِ لدَى الجَالِي(٨)

---

(١) فى قناديل ذبال: فى ذبال القناديل. والذبال: الفتيلة

(٢) لباتها: صدرها وترائبها. جمر مصطل: نار مستدفئ. الغضى: شجر جيد

(٣) الصوى: العلامات تنصب فى الطرق لهداية السابلة. أو هى كما قال الأصمعى: الأرض المرتفعة فى غلظ. وأرى أن مراد الشاعر بها الجهات التى تهب فيها الرياح. قفال: عائدون من السفر

(٤) ابتزها: جردها من ثيابها. هونة: لينة. غير مجبال: ليست بفظة ولا غليظة

(٥) كحقف النقا: كالكثيب المستدير من الرمل. الوليدان: الصبيان الصغيران بما احتسبا: بما اكتفيا من لين مس وسهولة

(٦) العوارض: صفحتا العنق. طفلة: رخصة لينة نعمة. سربالى: ملابسى.

(٧) الكشح: الخصر. غير مفاضة: ليست مسترخية البطن. مرتجة: مهتزة الجسم. غير متفال: ليست كريهة الريح

(٧) استحمت: صبت الماء الحار عليها. والحميم: الماء الحار. متنتيها: جانبي ظهرها كالجمان كالفضة البيضاء. الجالى. صيرف الدراهم

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وأَهْلُهَا ... بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ (١)

نَظَرْتُ إِلَيْهَا والنُّجُومُ كَأَنَّهَا ... مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ (٢)

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا ... سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ (٣)

فَقَالَتْ سَبَاكَ اللهُ إِنَّكَ فَاضِحِي ... أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ والنَّاسَ أَحْوَالِي (٤)

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي (٥)

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ ... لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ (٦)

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ ... هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ (٧)

وَصِرْنَا إِلَى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا ... وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلَالِ (٨)

---

(١) تنورتها : نظرت إلى نارها ، وإنما أراد بقلبه لا بعينه . يقال : تنورت النار من بعيد أى أبصرتها ، فكأنه من فرط الشوق يرى نارها ، وأذرعات : بلد بالشام . ويثرب : مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأدنى دارها نظر عال: يقول: أقرب دارها منا بعيد فكيف بها ودونها نظر مرتفع ؟

(٢) تشب لقفال : توقد لعائدين من الغزو أو غيره .

(٣) سموت : نهضت . الحباب : الفقاقيع التى تظهر على سطح الماء .

(٤) سباك الله : أبعدك ورماك بالاغتراب . وقال أبو حاتم : سلط عليك من من يسبيك ، والمعروف أن السبي للنساء والأسر للرجال . السمار : المجتمعون للسمر ليلا . أحوالى : حوالى

(٥) أبرح قاعدا : لا أبرح قاعدا فى مكانى . وأوصالى : مفاصلى .

(٦) حلفة فاجر : يمين فاسق . لناموا : لقد ناموا . الصالى : المستدفئ بالنار .

(٧) أسمحت : لانت وانقادت . هصرت : جذبت . بغصن : هصرت غصنا ؟ أى أملتها إلى كما أميل الغصن اللين .

(٨) ورضت : ذللت الصعب منها . فذلت : فلانت وأسمحت .

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وأَصبحَ بَعْلُهَا ... عَلَيْهِ القَتَامُ سَيِّءَ الظَّنِّ وَالبَالِ (١)

يَغُطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ ... لِيَقْتُلَنِي والمَرْءُ ليسَ بِقَتَّالِ (٢)

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيَابِ أَغْوَالِ (٣)

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعَنُنِي بِهِ ... وَلَيس بِذِي سَيْفٍ ولَيْسَ بِنَبَّالِ (٤)

لِيَقْتُلَنِي أَنِّي شَغَفْتُ فُؤَادَهَا ... كَمَا شَغَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي (٥)

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلُها ... بِأَنَّ الفَتَى يَهْذِي وَلَيسَ بِفَعَّالِ (٦)

---

(١) القتام : غبار الخزى ، وكاسف البال : سيئ الخاطر . ويروى : كاسف الوجه والبال .

(٢) يغط غطيط البكر : يعنى عند رياضته وهو صعب . يسمع له غطيط من الغيظ كما يرى من البكر ليس بقتال : لا يعرف القتل. وليس من عادته

(٣) المشرفى : السيف المنسوب إلى مشارف الشام ، وهى قرى للعرب تدنو من بلاد الروم : ومسنونة زرق : ومشاقص محددة بالسن ، أو هى نصال الرماح . قال أبو عبيد البكرى : ومسنونة يعنى سهاما محددة الأزجة . وزرق : صافية مجلوة . أغوال ؛ وقال أبوعبيد : والأغوال : همرجة (التباس واختلاط) من همرجة الجن وإنما أراد التهويل : قال المبرد : لم يخبر صادق أنه رأى الغول .

(٤) يعنى أن زوجها ليس من الفرسان الطاعنين بالرماح ، ولا من الشجعان الضاربين بالسيوف ، ولا من الرماة أصحاب النبال ، حتى تخشى غائلته . وقال أبو عبيد البكرى : النبال هو الذى يعمل النبل ، وإنما أراد أن يقول وليس بنابل وهو صاحب النبل فلم يستقم له . قلت : امرؤ القيس حجة لا يشك فى ذلك أحد ، فنحن نأخذ عنه أن النبال هو صاحب النبل كما هو صانعها ، ويروى :

وليس بذى سيف فيقتلنى به ... وليس بذى رمح وليس بنبال

(٥) شغفت فؤادها : بلغ حب شغاف قلبها ، ويروى : ليقتلنى وقد فطرت فؤادها . المهنوءة : الناقة تطلى بالقطران فإنها فى هذه الحالة قد يغشى عليها .

(٦) الفتى : يريد به زوجها . يهذى : يقول ما لا يعقل من التهديد والوعيد . ليس بفعال : ليس هو ممن يصدق فعلهم قولهم .

وَمَاذَا عَلَيْهِ لَوْ ذَكَرْتُ أَوَانِسًا كَغِزْلَانِ رَمْلٍ فِى مَحَارِيبِ أَقْوَالِ (١)

وَبَيْتِ عَذَارَى يَوْمَ دَجْنٍ وَلَجْتُهُ يَطُفْنَ بِجَبَّاءِ الْمَرَافِقِ مِكْسَالِ (٢)

قَلِيلَةِ جَرْسِ اللَّيْلِ إِلَّا وَسَاوِسًا وَتَبْسِمُ عَنْ عَذْبِ الْمَذَاقَةِ سَلْسَالِ (٣)

سِبَاطِ الْبَنَانِ وَالْعَرَانِينِ وَالْقَنَا لِطَافِ الْخُصُورِ فِى تَمَامٍ وَإِكْمَالِ (٤)

نَوَاعِمُ يُتْبِعْنَ الْهَوَى سُبُلَ الرَّدَى يَقُلْنَ لِأَهْلِ الْحِلْمِ ضُلاً بِتَضْلَالِ (٥)

صَرَفْتُ الْهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى وَلَسْتُ بِمَقْلِيِّ الْخِلَالِ وَلَا قَالِى (٦)

أَلَا إِنَّنِى بَالٍ عَلَى جَمَلٍ بَالٍ يَقُودُ بِنَا بَالٍ وَيَتْبَعُنَا بَالِ (٧)

أَلَا يَحْبِسُ الشَّيْخُ الْغَيُورُ بَنَاتَهُ مَخَافَةَ جَنْبِيِّ الشَّمَائِلِ مُخْتَالِ (٨)

---

(١) الأوانس: الفتيات اللائى يؤنسن بحديثهن . محاريب أقوال: غرف ملوك حمير

(٢) الدجن : ظل الغمام المنذر بالمطر . ولجته : دخلت فيه . جباء المرافق : غائبة العظام لسمنها . مكسال : متفترة .

(٣) جرس الليل : لا يسمع لها صوت بالليل . الوساوس : أصوات الحلى . عذب المذاقة : يريد عن ثغر طيب الريق شهى المقبل . سلسال : كالماء العذب الزلال .

(٤) سباط البنان: طوال الأصابع والعرانين : الأنوف . والقنا: يريد بها القامات

(٥) ضلا بتضلال : أى يضللن أهل الحلم والحجى . ويروى : أوانس . ويروى : سبل المنى .

(٦) الردى : الهلاك . المقلى : المبغض . الخلال : الخصال، أو المخالة والصداقة . ولا قالى : ولا مبغض

(٧) بال : مضنى بالحب . على جمل بال : كأنه القوس فى ضموره وانحنائه لقطعه الفيافى فى الهواجر . والقائد والتابع : غلامان له هزيلان من كثرة الأسفار والخدمة نهاراً والسهر ليلا .

(٨) جنبي الشمائل : مائل الخصال . مختال : كثير الخيلاء والتبختر

يُقَصِّرُ عَنْهُنَّ الطَّرِيقَ وَغَوْلَهُ قَتِيلُ الغَوانِي في الرِّياطِ وفي الخالِ (١)

كأنّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلَذَّةٍ ولَمْ أَتَبَطَّنْ كاعِباً ذاتَ خَلْخالِ (٢)

ولَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولَمْ أَقُلْ لِخَيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفالِ (٢)

ولَمْ أَشْهَدِ الخَيْلَ المُغِيْرَةَ بِالضُّحَى عَلى هَيْكَلٍ نَهْدِ الجُزارَةِ جَوّالِ (٣)

---

(١) قتيل الغوانى : يعنى نفسه . الرياط ، جمع ريطة ، وهى الملاءة ذات اللفقين الخال : الثوب الرقيق الشفاف .

(٢) لهذا البيت وتاليه حكاية طريفة لا بأس من إيرادها : يروى أنه ورد على سيف الدولة رجل بغدادى يعرف بالمنتخب ، لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ، ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة ! فأنشد يوما هذان البيتان ، فقال : قد خالف فيهما وأفسد : لو قال :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشئ وشكله ، فذكر الجواد والكر فى بيت ، وذكر النساء والخمر فى بيت ، فالتبس الأمر بين يدى سيف الدولة ، وسلموا له ما قال ، فقال رجل ممن حضر : لا ولا كرامة لهذا الرأى ! الله أصدق منك حيث يقول (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فأتى بالجوع مع العرى ولم يأت به مع الظمأ : فسر سيف الدولة وأجازه بصلة حسنة . قال صاحب العمدة : قول امرئ القيس أصوب : لأن اللذة التى ذكرها إنما هى الصيد ، هكذا قال العلماء ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء ، فجمع فى البيت معنيين ، ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة ، وفضيلة شريفة ، تدل على السلطان ، وكذلك البيت الثانى لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشو لا فائدة فيه لأن الزق لا يسبأ إلا للذة فإن جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا : فى ذكر الزق الروى كفاية ؛ ولكن امرأ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة ، بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة

(٣) لم أشهد : لم أحضر . المغيرة بالضحى : التى تغير بفرسانها فى ضحوة النهار . الهيكل : الفرس العظيم المشرف كأنه الهيكل المبنى نهد الجزارة : غليظ القوائم .

سَلِيمُ الشَّظَى عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسَا ... لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الفَالِ(١)

وصُمٌّ صِلَابٌ مَا يَقِينَ مِنَ الوَجَى ... كَأَنَّ مَكَانَ الرِّدْفِ مِنْهُ عَلَى رَالِ(٢)

وقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِى وَكَنَاتِهَا ... لِغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِىِّ رَائِدُهُ خَالِ(٣)

تَحَامَاهُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ تَحَامِيًا ... وجَادَ عَلَيْهِ كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ(٤)

بِعِجْلِزَةٍ قَدْ أَتْرَزَ الجَرْىُ لَحْمَهَا ... كُمَيْتٍ كَأَنَّهَا هِرَاوَةُ مِنْوَالِ(٥)

= ويروى : عبل الجزارة وهو بمعناه . جوال : معاود الجولان فى كره وفره .

(١) الشظى : عظم لازق بالذراع . عبل الشوى : غليظ عصب القوائم . شنج النسا : منقبض ذلك العرق الذى يأخذ من فخذه إلى كعبه ؛ وهو النسا ، ومتى كان الفرس شنج النسا لم تسترخ رجلاه ، وهذا دليل العتق . الحجبات : رؤس عظام الوركين . الفال : الفائل ، وهو عرق يأخذ عن يمين عجب الذنب وعن يساره . وقال القالى : الفائل : عرق فى الخربة يستبطن الفخذ ويجرى إلى الرجلين . والخربة : النقرة فى الورك ليس بينها وبين الجوف عظم ، وإنما هو جلد ولحم .

(٢) وصم صلاب : يريدبها حوافر الفرس ، يصفها بأنها صماء صلبة ، يعنى مصمتة لاتجويف لها . مايقين : مايرين . من الوجى : من الحفا أو ماهو أشد منه الردف : الموضع الذى يردف عليه الراكب من ظهره . على رال : على فرخ نعام .

(٣) أغتدى : أخرج بفرسى للصيد عند انبلاج الصباح . وكناتها : أوكارها لغيث : لأرض ذات بقل وكلأ . الوسمى : أول المطر فى الخريف ، الرائد : الباحث عن الكلأ . خال : فى موضع الخلاء

(٤) تحاماه : يقول إن هذا الغيث ، ويريد به ما ينبته ، تتقيه أصحاب الرماح ، وهم الفرسان ، لأنه فى مكان مخوف ، ولأنه واقع بين حيين قويين . وأسحم هطال : سحاب أسود حافل بالماء سيال .

(٥) بعجلزة : بفرس شديدة قوية الأسر متينة الخلق . أترز : أيبس وضمر . كميت : لونها بين الأسود والأحمر . هراوة : عصا . منوال : خشبة يشد عليها الثوب وقت النسيج . وعصا المنوال لاتتخذ إلا من أصلب عيدان الشجر .

ذَعَرْتُ بِها سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ وأَكْرُعُهُ وَشْيَ البُرُودِ مِنَ الخَالِ (١)

كأَنَّ الصُّوَارَ إذْ يُجاهِدْنَ غَدْوَةً عَلى جُمُدٍ خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالِ (٢)

فَخَرَّ لِرَوْقَيْهِ وأَمْضَيْتُ مُقْدِمًا طُوَالَ القَرا وَالرَّوْقِ أَخْنَسَ ذَيَّالِ (٣)

فَعَادَيْتُ مِنْهُ بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ وكانَ عِدَائِي إذْ رَكِبْتُ عَلى بَالِ (٤)

كأَنِّي بِفَتْخَاءِ الجَنَاحَيْنِ لَقْوَةٍ صَيُودٍ مِنَ العِقْبَانِ طَأْطَأْتُ شِمْلَالِ (٥)

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الشَّرَبَّةِ بِالضُّحَى وقَدْ حُجِرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ (٦)

كأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويَابِسًا

لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي (٧)

---

(١) ذعرت : أخفت وأفزعت . سرباً : قطيعا من بقر الوحش . نقى الجلود والأكرع : أبيض الجلود والسوق ، كأنه قد لبس برودا يمنية مرشاة . والخال الثوب الرقيق الشفاف

(٢) الصوار : قطيع من بقر الوحش . جمد : أماكن صلبة مرتفعة . تجول بأجلال : كأنها خيل عليها جلالها .

(٣) فخر لروقيه : فكبا على قرنيه صريعا . وأمضيت مقدما : ودفعت جوادى إلى الأمام . طوال القرا والروق : طويل الظهر والقرن . أخنس : متأخر قصبة الأنف . ذيال : طويل الذيل والقد متبختر فى مشيته .

(٤) فعاديت : واليت العدو . بين ثور ونعجة : بين ثور وبقرة من الوحش . على بالى : على فرس جعله التضمير كأنه لا لحم عليه ولا شحم . ويروى : وكان عداء الوحش منى على بالى .

(٥) فتخاء الجناحين لقوة : عقاب لينة الجناحين ، سريعة الاختطاف . صيود : حاذقة بالصيد معتادته . طأطأت : طامنت رأسى للكز الفرس . الشملال : السريعة القوية . ويروى : على عجل منها أطأطئ .

(٦) خزان : ذكور الأرانب . الشربة : موضع ديار بنى عبس . أورال : موضع

(٧) يعنى . كأن قلوب الطير رطبا : العناب . ويابسا : الحشف البالى ، وهو يابس التمر

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ ... كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ (١)

وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي (٢)

وَمَا الْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ ... بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الْخُطُوبِ وَلَا آلِي (٣)

٥٥

وقال : (٤)

حَيِّ الْحُمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ ... إِذْ لَا يُلَائِمُ شَكْلُهَا شَكْلِي (٥)

مَاذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ ظُعُنٍ ... إِلَّا صِبَاكَ وَقِلَّةُ الْعَقْلِ (٦)

مَنَّيْتِنَا بِغَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ ... حَتَّى بَخِلْتِ كَأَسْوَإِ الْبُخْلِ (٧)

يَارُبَّ غَانِيَةٍ لَهَوْتُ بِهَا ... وَمَشَيْتُ مُتَّئِدًا عَلَى رِسْلِي (٨)

---

(١) يقول: لو كان مطلبي في الحياة الكفاف من العيش، لكفاني القليل، ولم أسع في طلب الكثير. ويروى: فلو أنني. ويروى: ولم أداب.

(٢) ولكن الأمر أجل من طلب العيش، فإنما أسعى لمجد مؤثل ثابت، وقد أدركه لأني جدير بإدراكه. وذلك ما أوضحه في قوله: نحاول ملكا أو نموت فنعذرا.

(٣) يقول. إن المرء مادام حيا ودامت له حشاشة نفسه لن يألو جهداً في طلب نهايات أمانيه ولا يقصر دونها، وما هو بمدرك غايات هذه الأماني مهما طال عمره.

(٤) هذه القصيدة تروى لامرئ القيس بن عابس الكندي.

(٥) العزل: ماء بين البصرة واليمامة

(٦) ظعن: نساء محمولات في الهوادج. إلا صباك: إلا ما بك من جهل الصبا وغرارة الشباب.

(٧) منيتنا: أرخيت لنا في حبال الأماني.

(٨) الغانية: الفتاة الحسناء المستغنية بجمالها ومحاسنها عن الحلي والزينة. متئداً: متمهلا غير متعجل. على رسلي: على مهلي.

لَا أَسْتَقِيدُ لِمَنْ دَعَا لِصِبًا قَسْرًا وَلَا أُصْطَادُ بِالْخَتْلِ (١)
وَتَنُوفَةٍ جَـدْبَاءَ مُهْلِكَةٍ جَاوَزْتُهَا بِنَجَائِبٍ فُتْـلِ (٢)
فَيَبِتْنَ يَنْهَسْنَ الْجُبُوبَ بِهَا وَأَبِيتُ مُرْتَفِقًا عَلَى رَحْلِي (٣)
مُتَوَسِّدًا عَضْبًا مَضَارِبُهُ فِي مَتْنِـهِ كَمَدَبَّةِ النَّمْلِ (٤)
يُدْعَى صَقِيلًا وَهْوَ لَيْسَ لَهُ عَهْـدٌ بِتَمْوِيهٍ وَلَا صَقْلِ (٥)
عَفَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا أَهْلِي وَلَوَتْ شُمُوسُ بَشَاشَةَ الْبَذْلِ (٦)
نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِ جَازِئَةٍ حَوْرَاءَ حَانِيَـةٍ عَلَى طِفْلِ (٧)
فَلَهَا مُقَلَّدُهَا وَمُقْلَتُهَا وَلَهَا عَلَيْهِ سَرَاوَةُ الْفَضْلِ (٨)

---

(١) لا أستقيد : لاأنقاد ولا أجيب . لمن دعا لصبا : لمن حث على لهو . قسراً قهرا ، ولا أمكن أحدا من اصطيادى بالختل : بالخداع والاحتيال .

(٢) ورب تنوفة جدباء : فلاة لاماء فيها ، ولا أنيس بها ، وهى مجدبة لاعشب بها ولا نبات . مهلكة : تقضى على من يسلكها بالهلاك . النجائب : الخيل الأصايل فتل : ضوامر .

(٣) ينهسن الجبوب . يأخذن من الأرض بسنابكهن . مرتفقا متكئا على رحلى

(٤) متوسدا عضبا : واضعاً سيفى تحت رأسى كالوسادة .

(٥) صقيلا : مجلوا مصقولا .

(٦) عفت الديار : خلت من أهلى . ولوت : مطلت وأخلفت الموعد . شموس ، هذا وصف لمن يتغزل بها ، وصفها بأنها شموس أى نفور ، ضنت عليه بالبشاشة التى هى علامة الرضا .

(٧) جازئة : ظبية مكتفية بالقليل من الماء عن كثيره فهى لذلك يكون بها ضمور وهيف . شبه بها معشوقته التى وصفها بالشموس . حانية على طفل : عاطفة على ولدها .

(٨) لها مقلدها ومقلتها : يعنى لها جيد الغزالة وعينها . ولها عليه : ولعشيقته على الرشم ولد الظبية . سراوة الفضل : شرف الزيادة فى جمال الخلق .

أَقْبَلْتُ مُقْتَصِدًا وَرَاجَعَنِي حِلْمِى وَسُدِّدَ لِلنَّدَى فِعْلِي (١)
واللهُ أنجَحُ ما طَلَبْتَ بِهِ والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ (٢)
ومِنَ الطَّرِيقَةِ جَائِرٌ وهُدًى قَصْدُ السَّبِيلِ ومِنْهُ ذُو دَخْلِ (٣)
إنِّى لَأَصْرِمُ مَنْ يُصَارِمُنِي وأُجِدُّ وَصْلَ مَنِ ابْتَغَى وَصْلى (٤)
وأَخِى إخَاءٍ ذِى مُحَافَظَةٍ سَهْلِ الخَلِيقَةِ مَاجِدِ الأَصْلِ (٥)
حُلْوٍ إذَا مَاجِئْتُ قَالَ أَلَا فى الرُّحْبِ أَنْتَ ومُنْزِلِ السَّهْلِ (٦)
نَازَعْتُهُ كَأْسَ الصَّبُوحِ ولَمْ أَجْهَلْ مُجِدَّةَ عُذْرَةِ الرَّجُلِ (٧)
إنِّى بِحَبْلِكَ واصِلٌ حَبْلِي وبِرِيشِ نَبْلِكِ رَائِشٌ نَبْلِي (٨)
ما لَمْ أَجِدْكِ عَلَى هُدَى أَثَرٍ يَقْرُو مِقَصِّكِ قَائِفٌ قَبْلِي (٩)

---

(١) مقتصدا : مجتزئا بالهدى والرشاد، وتركت ما كنت فيه من الجهل والاستهتار .

(٢) الحقيبة : العدل توضع فيه الثياب ، وهو كناية عن مدخر الخير . وهذا البيت من أشرف ما قال عربى .

(٣) جائر : متجاوز الحد . وذو دخل : فيه غش وفساد وخب وخداع .

(٤) أصرم : أهجر . وأجد : وأجدد وأصل .

(٥) ورب صاحب إخاء محافظ على الود سهل الخليقة لين العريكة .

(٦) يقول لى عند اللقاء : أهلا وسهلا ومرحبا .

(٧) هذا الصديق : نازعته كاس الصبوح . نادمته على الشراب من أول النهار . ولم أجهل مجدة عذرة الرجل : يعنى إن حمله سكره على ما يعتذر منه عذرته ، ولم أجهل مجدة حالته .

(٨) إنى بحبلك ، وهذا التفات ورجوع إلى مخاطبة معشوقته . ريش النبل : ما يوضع فى جانبى السهم من الريش . وهو هنا كناية عن مجاراتها فيما لا يمس الكرامة .

(٩) على هدى أثر : على هداية الطريق . يقرو مقصك : يستقرى أثرك . قائف : هو الذى يقص الأثر ويتتبعه . قبلى : أى أنه يريدها لنفسه دون غيره ، ولعله يرجو ألا تكون قد نال حبها احد قبله .

وشَمـــائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتِ ومَا نَبَحتْ كِلاَبُكِ طَارِقا مِثْلِي[1]

٥٦

وقال امرؤ القيس ، وقد نزل على سعد بن الضباب فأجاره بجبال طيئ :

تَنَكَّرَتْ لَيْلَى عَنِ الْوَصْلِ وَنَأَتْ ورَثَّ مَعَاقِدُ الْحبْلِ[2]

ولَوَوْا مَتَاعَهُمُ وقَدْ سُئِلُوا بَذْلَ المَتَاعِ فَضَنَّ بِالبَذْلِ[3]

ونَحتْ لَهُ عَنْ أَرْزِ تَأْلِبَةٍ فَلِقٍ فِرَاغَ مَعَابِلٍ طُحْلِ[4]

وَافتْ بِأَصْلتَ غَيْرِ أَكْلَفَ مَحْـرُومِ البَهاءِ وقِلَّةِ الْأَسْلِ[5]

ومُؤَشَّرٍ عَـذْبٍ مَذَاقَتُـهُ بَرْدُ القِلاَلِ بِذَائِبِ النَّحْلِ[6]

مَنْ كانَ يَأْمُلُ عُقْرَ دارِي مِنْ أَهْلِ الْأُوُدِّ بِها وذِي الذَّحْلِ[7]

---

(١) شمائلي : خصالي . طارقا مثلي : يريد أنه لم يطرقها ليلا من هو مثله فى شمائله ومحاسن أخلاقه .

(٢) تنكرت : تغافلت وتناست . ونأت : بعدت . ورث : بلى . معاقد الحبل : يريد بها مواثيق العهود .

(٣) ولووا متاعهم : مالوا به وتباعدوا عنى . ضن : بخل . بالبذل : بالعطاء .

(٤) نحت : انحرفت ؛ أى رمته عن قوس . وأرز : قوة وزيادة . الفراغ : القوس البعيدة السهم ، الواسعة جرح النصل . معابل : نصال سهام . طحل : مغبر ؛ بين السواد والبياض ، يعنى كأن هذه المرأة رمته بسهم فى قلبه .

(٥) وافت جاءت . بأصلت ، بجبين واضح لا كلف فيه ، والأسل : الطول والسهولة مما يوصف به الخد

(٦) مؤشر : ثغر ذى أشر ، حسن الأسنان محززها . برد القلال : الماء المنحدر من أعالى الجبال فهو من الصفاء والبرودة بمكان . ذائب النحل : هو الشهد .

(٧) أهل الأود : أصحاب ودى وخاصانى . وذى الذحل : أصحاب الثأر والعداء .

فَلْيَأْتِ وَسْطَ قِبَابِهِ خِيَمِى وَلْيَأْتِ وَسْطَ خَمِيسِهِ رَجْلِى (١)

يَا هَلْ أَتَاكِ وَقَدْ يُحَدِّثُ ذُو الْـ ـوُدِّ الْقَدِيمِ مَسَمَّةَ الدَّخْلِ (٢)

إِنِّى لَعَمْرِى مَا انْتَمَيْتُ فَلَمْ أَعْدِلْ إِلَى بَدَلٍ وَلَا مِثْلِ (٣)

لِأَخٍ رَضِيتُ بِهِ وَشَارَكَ فِى الْأَنْسَابِ وَالْأَصْهَارِ وَالْفَضْلِ (٤)

وَلِمِثْلِ أَسْبَابٍ عَلِقْتُ بِهَا يَمْنَعْنَ مِنْ قَلَقٍ وَمِنْ أَزْلِ (٥)

لَمَّا سَمَا مِنْ بَيْنِ أَقْرُنَ فَالْأَجْبَـ ـالِ قُلْتُ فِدَاؤُهُ أَهْلِى (٦)

هُمْ سَيَبْلُغُهُ التَّمَامُ فَذَا ظَنِّى بِهِ سَيَنَالُ أَوْ يُبْلِى (٧)

وَأَتَى عَلَى غَطَفَانَ فَاخْتَلَفُوا دِينٌ يَجِىءُ وَهَارِبٌ مُجْلِى (٨)

وَيَحُشُّ تَحْتَ الْقِدْرِ يُوقِدُهَا بِغَضَى الْغَرِيفِ فَأَجْمَعَتْ تَغْلِى (٩)

---

(١) خميسه : جيشه . رجلى : رجالى غير الفرسان .

(٢) مسمة الدخل : الخاصة من الأقارب المتداخلين .

(٣) انتميت : اعتزيت وانتسبت .

(٤) يعنى لم أطلب عدلا ولا مثلا لأخ هو من أسرتى وقبيلى ، وهذا يدل على أن الممدوح هو سعد الضباب .

(٥) القلق : الاضطراب . والأزل : الشدة .

(٦) سما . علا أقرن والأجبال : هى بلاد طيئ .

(٧) يبلى : يبيد ويذهب ، أو يبلى عذرا .

(٨) غطفان : قبيلة معروفة .

(٩) يحش : يضع الوقود . بغضى الغريف : بحطب من شجر الغضى [illegible]سوب للغريف وهو مكان . فأجمعت تغلى يعنى أن القدر أخذت فى الغليان .

٥٧

لما أنجد قَرْمَلُ بن الُحمَيْمِ الحميرى امرأَ القيس وبعث معه الجيوش للأخذ بثأر أبيه حجر، سار بهم امرؤ القيس حتى أناخ على بنى أسد، وظفر بهم، وقتل قتلة أبيه، وأنكى فيهم، وألبسهم الدروع البيض محماة، وكحلهم بالنار، قال فى ذلك القصيدة الآتية. قال ياقوت: إن مطلعها هو: « يا دار سلمى دارساً نؤيها. فالرمل ». وقال غيره: بل قال:

يَا دَارُ مَاوِيَّةَ بِالحَائِلِ ... فَالسَّهْبِ فَالْخَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ [١]

صُمَّ صَدَاهَا وعَفَا رَسْمُهَا ... واسْتَعْجَمَتْ عَنْ مَنْطِقِ السَّائِلِ [٢]

قولَا لِدُودَانَ عَبِيدِ العَصا ... مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الباسِلِ [٣]

قَدْ قَرَّتِ العَيْنَانِ مِنْ مَالِكٍ ... ومِنْ بَنِي عَمْرٍو ومِنْ كَاهِلِ [٤]

ومِنْ بِنِي غُنْمِ بْنِ دُودَانَ إذْ ... نَقْذِفُ أَعْلَاهُمْ على السَّافِلِ [٥]

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً ... كَرَّكَ لَأْمَيْنِ عَلَى نَابِلِ [٦]

---

(١) الحائل والسهب والخبتين وعاقل: أسماء أماكن، ويروى: فالغر فالخبتين من حائل.

(٢) صم صداها: بادت حتى لاصدى لها. عفا رسمها: أمست وليس لها رسم ولا بها أثر. واستعجمت: لاتجيب سائلا؛ لأنه ليس بها أحد يجيب ويرد.

(٣) دودان: بطن من بطون بنى أسد. عبيد العصا: الذين يساقون بها ذلة وهوانا، وهو أول من لقبهم بهذا اللقب فلزمهم. الأسد الباسل: يعنى نفسه.

(٤) بنو مالك وبنو عمرو وبنو كاهل: من بطون بنى أسد. ممن اشتركوا فى قتل حجر الملك.

(٥) وبنو غنم بن دودان كذلك منهم.

(٦) سلكى: مستقيمة. ومخلوجة: معوجة. قال أبو حنيفة الدينورى: سئل

إذْ هُنَّ أَقْسَاطٌ كرِجْلِ الدَّبَا أَوْ كقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ (١)

حَتَّى تَرَكْنَاهُمْ لَدَى مَعْرَكٍ أَرْجُلُهُمْ كالخَشَبِ الشَّائِلِ (٢)

حلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِها فِي شُغُلٍ شَاغِلِ (٣)

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِنَ اللهِ ولَا وَاغِلِ (٤)

٥٨

نزل امرؤ القيس على خالد بن سدوس بن أصمع النبهاني ، فأغار عليه باعث بن حويص الجديلي الطائي في رجال معه فذهبوا بإبله ، فلما علم ذلك امرؤ القيس أخبر جاره خالدا ، فقال له خالد : أعطني رواحلك ألحق بها القوم فأرد إبلك ؟ فأعطاه رواحله فركبها خالد ، فلما أدركهم قال : يابني جديلة ؛ أغرتم على جاري فردوا إليه إبله ؟ فقالوا : ما هو لك بجار !

= رؤبة عن معنى هذا البيت فقال : حدثني أبي عن أبيه قال حدثتني عمتي - وكانت من بني دارم - قالت : سألت امرأ القيس وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة : ما معنى قولك « كرك لأمين على نابل » ، فقال : مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا فما رأيت شيئا أسرع منه ولا أحسن ، فشبهت به . واللؤام أن تكون الريشة بطنها إلى ظهر الأخرى ، وهذا محمود في ريش السهام . واللغاب بعكس اللؤام وهو أن يكون ظهر الواحدة إلى ظهر الأخرى ، ويسمى ذلك الظهار ايضا .

(١) أقساط : جماعات : كرجل الدبا : كفرق الجراد . قطا كاظمة : القطا طائر معروف ، وكاظمة المكان الذي يكثر فيه . هو يمشي أسرابا . الناهل : وارد الماء .

(٢) تركهم صرعى في المعترك حتى كأن أرجلهم الخشب المرتفع .

(٣) حلت : وجبت ، وكان قد آلى على نفسه ألا يشرب الخمر حتى ينال ثأره من قتلة أبيه .



(٤) غير مستحقب : غير حامل ، الواغل هنا بمعنى الآثم .

فقال : بلى والله ما هذه الإبل التى معكم إلا كالرواحل التى تحتى ! فقالوا : أكذاك ؟ فرجعوا إليه فأنزلوه عنها وذهبوا بها أيضا . فلما عاد إلى امرئ القيس بهذه الحال تحوّل عنه إلى جارية بن مر الثعلى فأجاره وأكرمه . فقال يمدحه وبنى ثعل ويذم خالدا :

دَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فى حَجَرَاتِهِ ... ولٰكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ [1]

كَأَنَّ دِثَارًا حَلَّقَتْ بِلَبُونِهِ ... عُقَابُ تَنُوفَى لَا عُقَابَ القَوَاعِلِ [2]

تَلَعَّبَ بَاعِثٌ بِذِمَّةِ خَالِدٍ ... وأَوْدَى عِصَامٌ فى الخُطُوبِ الأَوَائِلِ [3]

وَأَعْجَبَنِى مَشْىَ الحُزُقَّةِ خَالِدٍ ... كَمَشْىِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ فى المَنَاهِلِ [4]

---

(١) النهب : السلب وانتهاز الفرص لاختطاف الأشياء . حجراته : نواحيه . الرواحل : النوق التى ذهب بها باعث وبنو جديلة . يقول : دع عنك حديث إبلى التى سطا عليها هؤلاء السلالون اللصوص وأخلوا منها أعطانها ، ولكن هات حدثنى عن ذهاب رواحلى ، وكيف مكنتهم من أخذها يا سيئ الجوار ، ويا ضعيف الدفع عن الجار ؟!

(٢) دثار : هو راعى إبل امرئ القيس . حلقت : نزلت عليها من الجو . بلبونه : بنوقه التى يرعاها ويحتلبها . عقاب تنوفى : عقاب ساقطة من ثنية مشرفة ذاهبة فى الهواء لارتفاعها . القواعل : الجبال الصغيرة . ويروى : عقاب ملاع . وهى السريعة الخاطفة .

(٣) تلعب : لعب وسخر . باعث : هو ابن حويص الجديلى الذى أغار برجاله على الإبل وذهب بها نهبا مقسما . بذمة خالد ، ويروى بجيران خالد : وهو ابن سدوس بن أصمع الذى عجز عن حماية جاره امرئ القيس . وأودى عصام : هلك ، وهو راع آخر من رعاته قتل عند الغارة على الإبل . ويروى : وأودى دثار .

(٤) الحزقة : القصير البطين الضيق الباع . أتان : أنثى الحمر . حلئت فى المناهل منعت وطردت عن مناهل الماء ، وكلما حاولت الدنو من الماء منعت منعا شديدا . يشبه مشية خالد بمشية هذه الأتان . وذلك سخرية به وتحقير لشأنه .

أَبَتْ أَجَأٌ أَنْ تُسْلِمَ العَامَ جَارَهَا . فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مُقَاتِلِ (١)

تَبِيتُ لَبُونِي بِالقُرَيَّةِ أُمَّنًا وأَسْرَحُهَا غِبًّا بِأَكْنَافِ حائِلِ (٢)

بَنُو ثُعَلٍ جِيرَانُها وحُمَاتُها وتُمْنَعُ مِنْ رُماةِ سَعْدٍ ونَابِلِ (٣)

تُلاعَبُ أَوْلَادُ الوُعُولِ رِبَاعَها دُوَيْنَ السَّماءِ فى رُؤُسِ المَجادِلِ (٤)

مُكَلَّلَةً حَمْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ لَهَا حُبُكٌ كأَنَّها مِنْ حَبائِلِ (٥)

٥٩

وقال امرؤ القيس ، حين أغار على بنى أسد لما نزلوا على بنى كنانة ، فلما علموا بشدة طلبه لهم ، فروا تحت الليل ولم يصب منهم أحد :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْنَ كَاهِلَا تَاللهِ لا يَذْهَبُ شَيْخِى بَاطِلَا (٦)

---

(١) أجأ أحد جبلى طيئ . والمراد أهل أجا . فمن شاء الخ : فمن أراد أن يعرف كيف تكون الهزيمة والفضيحة فلينهض لقتالها .

(٢) اللبون : يريد بها نوقه التى يحتلب لبنها . القرية : منزل بجبل أجا أسرحها : أرسلها فى المراعى نهارا . غبا : الوقت بعد الوقت أكناف حائل : جوانب الجبل؛ أى فتكون فى أمن ورعاية .

(٣) بنو ثعل : قبيلة من طيئ كان رجالها مشهورين بالحذق فى الرماية . سعد ونابل : من رماة بنى نبهان .

(٤) الوعول : تيوس الجبل . الرباع : الفصلان ، أى الصغار من الإبل . المجادل : الجبال : أنها تألف أولاد الوعول وتلاعبها فى أمن وسلام .

(٥) مكللة حمراء : يعنى أن رؤس الجبال كالتها السحب . ذات أسرة : لها خطوط الحبك : الطرائق . الحبائل : برود ملونة مخططة . ويروى : كأنها من وصائل .

(٦) يالهف هند : ياحسرة هند . وهى أخت امرئ القيس ، ويقال امرأة أبيه خطئن : أخطأن ولم يصبن ، يعنى أن خيله التى أغار بها لم تصب بنى كاهل ، [illegible] من بنى أسد كان فيمن شرك فى قتل حجر . شيخه : أبوه : باطل : هدر .

حَتّى أُبِيرَ مَالِكًا وكاهِلَا ... أَلقَاتِلِينَ المَلِكَ الحُلَاحِلَا (١)

خَيْرَ مَعَدٍّ حَسَبًا ونَائِلَا ... وخَيْرَهُمْ قَدْ عَلِمُوا شَمَائِلَا (٢)

نَحْنُ جَلَبْنَا القُرَّحَ القَوافِلَا ... يَحْمِلْنَنَا والأَسَلَ النَّواهِلَا (٣)

وحَيَّ صَعْب والوَشِيجَ الذَّابِلَا ... مُسْتَثْفِرَاتٍ بِالحَصَى جَوَافِلَا (٤)

يَسْتَثْفِرُ الأَوَاخِرُ الأَوَائِلَا

فأجابه عبيد بن الأبرص الأسدى يرد عليه قوله :

يَا ذَا المُخَوِّفُنَا بِقَتْـ ... ـلِ أَبِيهِ إِذْلَالًا وحَيْنَا (٥)

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْـ ... ـتَ سَرَاتَنَا كَذِبًا ومَيْنَا (٦)

هَلَّا عَلَى حُجْرِ بْنِ أُمِّ ... قَطَامِ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا (٧)

إِنَّا إِذَا عَضَّ الثِّقَا ... فُ بِرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا (٨)

---

(١) أبير : أهلك وأبيد . مالك وكاهل : حيان من بنى أسد . الحلاحل : السيد الشريف الزكى الرضى ، يعنى أباه .

(٢) يريد أباه . النائل : العطاء الجزل . والشمائل : الخصال الكريمة .

(٣) القرح القوافل : الخيل الضوامر . الأسل النواهل : الرماح المتعطشة إلى الدماء فهى تعب فيها وتنهل .

(٤) حى صعب : من بقى مع امرئ القيس من أحياء بنى أسد . الوشيج الذابل : الرماح اللينة . مستثفرات بالحصى ، يعنى أن الخيل من شدة جريها تثير الحصى بحوافرها فيتطاير من خلفها ويدخل بين أفخاذها ، فكأنها به مستثفر ، جوافل : سراع .

(٥) إذلالا وحينا : هوانا وهلاكا .

(٦) المين والكذب سواء .

(٧) حجر بن أم قطام : أبو امرئ القيس ، وهكذا كان يكنى من طريق النبز .

(٨) الثقاف : تقويم الرماح . لوينا : أملنا وأعرضنا .

نَحْمِى حَقِيقَتَنَــا وبَعْـ ـضُ القَوْمِ يسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَـا[١]
هَلَّا سَأَلتَ جُمُوعَ كِنْـ ـدَةَ يَوْمَ ولَّوْا أَينَ أَيْنا ؟[٢]
أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُــمْ بِبَــوَاتِرٍ حَتى انحَنَيْنَا[٣]
وجُمُوعَ غَسَّانَ المُلو كِ أَتَيْنَهُـمْ وقَدِ انطوَيْنَا[٤]
نَحْنُ الأُلى فاجْمَعْ جُمُو عَكَ ثُمَّ وجِّهْهُمْ إِليْنَا[٥]
واعْلَمْ بِأَنَّ جيَادَنا آلَيْنَ لا يَقْضِينَ دَيْنَــا[٦]
وَلَقَدْ أَبَحْنَــا مَا حَمَيْتُ ولا مُبِيحَ لِمَــا حَمَيْنَا[٧]

٥٩

كان امرؤ القيس لما بلغه قتل أَبيه حجر آلى على نفسه أَن لا يمس رأسه غِسل ، ولا يشرب خمراً ، حتى يثأَر بأَبيه فلما ظفر ببنى أَسد وأدرك ثأره منهم حل له ماحرم على نفسه . وهذه القصيدة رواها فى ديوانه خرابنداذ عن أَبى جعفر الكوفى المعروف بِدَنْدَان ، وعن أَبى عمر العبدى الإصطخرى[٨] وهى هذه ؛ قال امرؤ القيس :

---

(١) الحقيقة : مايحق للرجل حمايته وصيانته والذب عنه .
(٢) لعل هذا كان فى زمن مضى من وقائع كندة .
(٣) البواتر : السيوف المواضى .
(٤) جموع غسان : قبائل غسان التى كان منها ملوك الشام . وهذا يدل على أنه يفخر بقديم .
(٥) نحن الألى : يريد نحن المعروفون من القديم .
(٦) آلين : أقسمن .
(٧) أباحه : جعله مباحا تتناوله كل يد . والقصيدة طويلة غيرأن هذا خيرها .
(٨) قال الشيخ محمد محمود التركزى ابن التلاميد الشنقيطى : إنه نقلها من ديوان =

قَالَتْ فُطَيْمَةُ حَلِّ شِعْرَكَ مَدْحَهُ ... أَفَبَعْدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنَّ قَبِيلًا (١)

وَهُمُ الكِرَامُ بَنُو الخَضَارِمَةِ العُلَى ... لِسَمَيْدَعٍ أَكْرِمْ بِذَاكَ نَجِيلًا (٢)

يَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيُدْرِكَ مَجْدَنَا ... ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ هَلْ تَرُدُّ قَتِيلًا (٣)

هَلْ تَرْقَيَنَّ إِلَى السَّمَاءِ بِسُلَّمٍ ... وَلَتَرْجِعَنَّ إِلَى العَزِيزِ ذَلِيلًا (٤)

سَائِلْ بِنَا مَلِكَ المُلُوكِ إِذَا التَقَوْا ... عَنَّا وَعَنْكُمْ لَا تُعَاشَ جَهُولَا (٥)

مِنَّا الَّذِي مَلَكَ المَعَاشِرَ عَنْوَةً ... مَلَكَ القَضَاءِ فَسَلْ بِذَاكَ عَقُولَا (٦)

وَبَنُوهُ قَدْ مَلَكُوا خِلَافَةَ مُلْكِهِ ... شُبَّانَ حَرْبٍ سَادَةً وَكُهُولَا (٧)

قَالُوا لَهُ هَلْ أَنْتَ قَاضٍ مَا تَرَى ... إِنَّا نَرَى لَكَ ذَا المُقَامَ قَلِيلَا (٨)

فَقَضَى لِكُلِّ قَبِيلَةٍ بِتُرَاثِهِمْ ... لَمْ يَأْلُهُمْ فِي مُلْكِهِمْ تَعْدِيلَا (٩)

= امرئ القيس ، رواية من ذكر أعلاه ، عن نسخة تاريخها سنة ٦٣٧ . وقد نشرها هنا سابقاً فى ذلك من تقدمنى عن نشر ديوان امرئ القيس فى عصرنا .

(١) فطيمة : وهى التى قال لها فى معلقته « أفاطم مهلا » .

(٢) الخضارمة : الكرام ، كأنهم لجودهم بحار . السميدع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف . نجل هنا بمعنى ناجل : والد .

(٣) أقصر فلست قادرا على رد فائت .

(٤) يعنى أنك تحاول مستحيلا .

(٥) ملك الملوك : كان هذا اللقب يطلق على الأكاسرة وقد كانت اليمن تحت سلطانهم زمنا .

(٦) يريد به جده المشهور آكل المرار وهذا من المبالغة التى لا تمت إلى الحقيقة بسبب

(٧) يريد بهم أعمامه الذين فرقهم جده على قبائل العرب ملوكا ، ومنهم شرحبيل وسلمة

(٨) هل أنت قاض : يريد أنهم قالوا لجده : ملكنا واعدل بيننا لأن الموت يوشك أن يحل بك .

(٩) لم يألهم تعديلا : لم يقصر فى إقامة العدل بينهم .

فَثَوَى وورَّثَ مُلْكَ مَنْ وطَأَ الحَصَى   قَسْرًا أبوهُ عَنْوَةً ونُحولَا (١)

سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ بِمَقْتَلِ رَبِّهِمْ   حُجرِ بنِ أُمِّ قَطامِ جَلَّ قَتِيلًا (٢)

إِذْ سَارَ ذُو التَّاجِ الهِجَانُ بِجَحْفَلٍ   لَجِبٍ يُجاوِبُ بِالفَلَاةِ صَهِيلًا (٣)

حَتى أَبَالَ الخَيْلَ فى عَرَصَاتِهِمْ   فَشَفَى وزَادَ على الشِّفَاءِ غَلِيلَا (٤)

أَحْمَى دُرُوعَهُمْ فَسَرْبَلَهُمْ بِهَا   والنَّارُ كَحَّلَهُمْ بِهَا تَكْحِيلَا (٥)

وأَقامَ يَسْقِي الرَّاحَ فى هَامَاتِهِمْ   مَلِكٌ يُعَلُّ بِشُرْبِهَا تَعْلِيلَا (٦)

والبَيْضَ قَنَّعَهَا شَدِيدًا حَرُّهَا   فَكَفَى بِذَلِكَ لِلعِدَا تَنْكِيلَا (٧)

حَلَّتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ تَحْرِيمٍ لَهَا   أَوْ أَنْ يَمَسَّ الرَّأْسَ مِنْهُ غَسُولَا (٨)

حَتَّى أَبَاحَ دِيَارَهُمْ فَأَبَارَهُمْ   فَعَمُوا فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلَا (٩)

---

(١) عنوة غصباً، ونحولا : ونحلة أى عطاء ومنحاً .

(٢) كان حجر أبو امرىء القيس يكنى ابن أم قطام . وهو قد يكون نبزا غير أن امرىء القيس أخرجه هنا مخرج الفخر .

(٣) ذو التاج : لعله يريد به قرمل بن الحميم الحميرى لما أنجده برجال من عنده، أو لعله اراد نفسه الهجان : الأبيض الكريم . جحفل : جيش عظيم . لجب : له جلبة وقعقعة .

(٤) فى عرصاتهم : فى ساحات بنى أسد .

(٥) أحمى دروعهم : أوقد النار وأحمى فيها الدروع وألبسهم إياها ، كما كحلهم بالنار ، يعنى قتلة أبيه من بنى أسد .

(٦) وبعد أخذ ثأره والظفر بهم ، أخذ فى استقاء الخمر فى هاماتهم ، عللا ونهلا .

(٧) وكذلك أحمى البيض ، التى توضع على رءوس الفرسان ، وقنعهم بها محماة.

(٨) بعد أن بر بيمينه وأخذ ثأره حلت له الخمر ، كما حل له غسل رأسه

(٩) أبارهم : أبادهم وقضى عليهم قضاء مبرما .

٦٠

وقال حين بلغه قتل أبيه وهو بدمّون (١) .

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلْ يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الجَبَلْ (٢)

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرٍ تَزَعْزَعُ مِنْهُ القُلَلْ (٣)

بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلْ (٤)

فَأَيْنَ رَبِيعَةُ عَنْ رَبِّهَا وأَيْنَ تَمِيمٌ وأَيْنَ الخَوَلْ (٥)

أَلَا يَحْضُرُونَ لَدَى بَابِهِ كَمَا يَحْضُرُونَ إِذَا مَا اسْتَهَلْ (٦)

---

(١) دمون: مساكن الحارث بن عمرو آكل المرار ، وكان امرؤ القيس قد أنشألهم بها مساكن وسماها الصدف ، وفيها يقول :

كأنى لم أسمر بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوما بعندل

وعندل من هذه المساكن .

(٢) أهل : أبرق من خلل السحاب .

(٣) تزعزع منه القلل : تضطرب منه أعالى الجبال .

(٤) جلل : حقير تافه ، وقد تستعمل للعظيم الجليل ، ولكنه هنا يحتقر كل شيء بعد أبيه

(٥) ربيعة وتميم : يريد قبائل ربيعة وقبائل مضر ، وتميم من مضر ، وكانت هذه القبائل من أعضاد كندة وأحلافها . الخول : الأتباع .

(٦) استهل : أخذ فى بذل العطايا والمنح .

٦١

وقال يمدح بنى ثُعل ، وقد نزل بهم فى ديار طيئ ، فأكرموه وحموه :

ألَا حَبَّذا قَوْمٌ يَحُلُّون بِالجَبَلْ وأَثعلّا وأَيْنَ مِنِّى بَنِي ثُعَـلْ (١)

نَزَلْتُ عَلَى عَمْـرِو بْنِ دَرْمَاءَ بُلْطَةً فَيَا كَرْمَ ما جَارٍ ويا حَسْنَ ما فَعَلْ (٢)

تَظَـلُّ لَبُونِي بَيْنَ جَـوٍّ ومِسْطَحٍ

تُراعِى الفِرَاخَ الدَّارِجَاتِ مِنَ الحَجَلْ (٣)

ومازَالَ عَنْهَا مَعْشَرٌ بِقِسِيِّهِمْ يَذُودُونَهَا حَتى أقولَ لَهُمْ بَجَلْ (٤)

فأَبْلِغْ مَعَـدًّا والعِبَادَ وطَيِّئًا وكِنْدَةَ أَنِّى شَاكِرٌ لِبَنِي ثُعَلْ (٥)

---

(١) واثعلا : يريد أن يقول : واها لبنى ثعل ، ما أكرمهم للنزيل ، وأحماهم للجار . يحلون بالجبل : ينزلون جبل طيئ .

(٢) عمرو بن درماء : سيدهم . بلطة قال أبو عمرو : باطة فجأة ، وقال الأصمعى : هى هضبة . ويقال هى اسم المكان الحال به ابن درماء وقومه بنو ثعل . يا كرم ويا حسن : فلله دره ما أكرم خصاله ، وأحسن فعاله .

(٣) لبونى : نوقى جو ومسطح : مكانان بأرض بلطة من جبال طيئ .

(٤) يذودونها : يدفعونها إلى مراعيها . بجل : حسبكم .

(٥) معد : قبائل معد ، والعباد : قبيلة من نصارى العرب كانت تسكن الحيرة ومنهم عدى بن زيد العبادى الشاعر ، وكندة : قوم امرئ القيس .

٦٢

وقال امرؤ القيس يمدح أبا حنبل الثعلى وقومه :

أَحْلَلْتُ رَحْلِى فى بَنِى ثُعَلٍ إنَّ الكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ مُحِلْ (١)

فوَجَدْتُ خَيْرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ جارًا وأَوْفاهُمْ أَبَا حَنْبَلْ (٢)

أَقْرَبُهُمْ خَيْرًا وأَبْعَدُهُمْ شَرًّا وأَجْوَدُهُمْ إذَا بُخِّلْ (٣)

٦٣

وقال ـ وقد نزل فى بنى عَدْوان، فلم يحمدهم ـ :

بُدِّلْتُ مِنْ وائِلٍ وكِنْدَةَ عَدْ وَانَ وفَهْمًا صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ (٤)

قَوْمٌ يُحاجُونَ بِالبِهامِ ونسْـوَانٌ قِصَارٌ كَهَيْئَةِ الحَجَلِ (٥)

٦٤

وقال فى بعض شؤونه : (٦)

عَيْنَـاكَ دَمْعُهما سِجَـالُ كأنَّ شَأْنَيْهِمَا أَوْشَالُ (٧)

---

(١) أحللت : أنزلت . محل : منزل ومكرم ومحسن الجوار .

(٢) أبو حنبل جارية بن مر الثعلى من ساداتهم ، وممن أجاره .

(٣) يعنى أنه أكرمهم ولو بخله بعض من لا يعرف خلاله .

(٤) وائل : أخواله ، وكندة : قومه . عدوان وفهم : قبيلتان. صمى: اصمتى . ابنة الجبل : الحصاة تلقى فى الدماء فلا يسمع لها صوت لكثرته ، وقد أخرج الكلمة مخرج المثل . يعنى قد بلغ الخطب أقصاه .

(٥) يحاجون بالبهام : لا يكادون يفقهون أو يحسنون النطق . الحجل : نوع من الدجاج الجبلى .

(٦) قافية هذه القصيدة يجوز فيها الضم والسكون .

(٧) سجال :سحاحة بالدموع . شأناهما . مجارى الدموع منهما ، أوشال : مياه متحلبة من أعالى الجبال .

أَوْ جَدْوَلٌ فِي ظِلَالِ نَخْلٍ لِلْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ مَجَالُ (١)

مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى وَأَيْنَ لَيْلَى وَخَيْرُ مَا رُمْتَ مَا يُنَالُ (٢)

قَدْ أَقْطَعُ الارْضَ وهْىَ قَفْرٌ وَصَاحِبٍ بَازِلٌ شِمْلَالُ (٣)

نَاعِمَةٌ نَائِمٌ أَبَجَلُهَا كَأَنَّ حارِكَهَا أُثَالُ (٤)

كَأَنَّهَا مُفْرَدٌ شَبُوبٌ تَلُفُّهُ الرِّيحُ وَالظِّلَالُ (٥)

كَأَنَّهَا عَنْزُ بَطْنِ وَادٍ تَعْدُو وَقَدْ أُفْرِدَ الغَزَالُ (٦)

عَدْوًا تَرَى بَيْنَهُ أَبْوَاعًا تَحْفِزُهُ أَكْرُعٌ عِجَالُ (٧)

وَغَائِطٍ قَدْ هَبَطْتُ وَحْدِى لِلقَلْبِ مِنْ خَوْفِهِ اجْئِلَالُ (٨)

صَابَ عَلَيْهِ رَبِيعٌ صَيْفٌ كَأَنَّ قُرْيَانَهُ الرِّحَالُ (٩)

---

(١) الجدول : الماء الجارى . مجال : مسرب ينفذ منه ويسيل فيه .

(٢) ليلى : امرأة ، لعلها كانت من صواحباته . يقول : إن خير الآمال ما تبلغ إليه .

(٣) بازل شملال : ناقة تامة الخلق قوية الأسر معودة على السير .

(٤) أبجلها ، الأبجل : عرق غليظ فى الرجل . حاركها : أعلى الكاهل منها أثال : اسم حصن .

(٥) مفرد شبوب : يريد به ثوراً من الوحش رام الوثوب تلفه : تغمره .

(٦) عنز : غزالة . تعدو : تثب فى عدوها .

(٧) الأبواع ، جمع بوع : مدى إطلاق اليدين . تحفزه : تسوقه وتدفعه . أكرع : أيد وأرجل . عجل : متعجلة .

(٨) الغائط : المطمئن من الأرض . هبطت : نزلت . اجئلال : فزع شديد ووهل مخوف .

(٩) صاب : نزل وهطل مطر فى الربيع وفى الصيف . قريانه : مسايل [illegible] منه. الرحال : الطنافس الحيرية .

تَقْـدُمُنِي نَهْدَةٌ سَبُوحٌ صَلَّبَهَا العُضُّ والإِحْيَـالُ (١)

كأنَّهَـا لَقْـوَةٌ طَلُوبٌ كَأَنَّ خُرْطُومَهَا مِنْشالُ (٢)

تُطْعِمُ فَرْخًا لَهَا صَغِيرًا أَزْرَى بِهِ الجُوعُ والإحْثَالُ (٣)

قُلُوبَ خِزَّانَ ذِي أَوْرَالٍ قُوتًا كَمَا يُرْزَقُ العِيَـالُ (٤)

وَغَارَةٍ ذَاتِ قَيْرُوَانٍ كَأَنَّ أَسْرَابَهَـا رِعَالُ (٥)

كَأَنَّهَا حَرْشَفٌ مَبْثُوثٌ بِالجوِّ إذْ تَبْرُقُ النِّعَـالُ (٦)

صَبَّحْتُهَا الحَيَّ ذَا صَبَاحٍ فَكَانَ أَشْقَاهُمُ الرِّجَالُ (٧)

---

(١) تقدمنى نهدة سبوح : تتقدمنى فرس حسنة ، جميلة ، لحيمة ، مشرفة . تسبح بيديها . صلبها العض : قواها العلف . والإحيال : عدم الحمل . فهى حائل

(٢) لقوة طلوب : عقاب شديدة الطلب للصيد . خرطومها : منقارها . منشال : حديدة ينشل بها اللحم من القدر.

(٣) أزرى به الجوع : أنهكه . الإحثال : سوء الطعم للفرخ وهو كسوء الرضاع للطفل

(٤) الخزان : ذكورة الأرانب ، جمع خزز . ذو أورال : صاحب ورل . والورل دابة كالضب .

(٥) الغارة : هجوم الجيش على الحى عند الصباح . ذات قيروان : ذات كتائب مؤتلفة . أسرابها ، الأسراب جمع سرب ، وهو القطيع من البقر ، والظباء ، والنساء ، والقطا ، والخيل . شبه أسراب الخيل برعال النعام ، والرعلة : النعامة ، سميت بذلك لأنها لاتكاد ترى إلا سابقة للظليم ومتقدمة عليه .

(٦) الحرشف : صغار الطير والنعام . مبثوث : منتشر بالجو . تبرق النعال : تلمع نعال الخيل .

(٧) صبحتها الحى : أغرت بها على الحى . ذا صباح : فى صبيحة يوم من الأيام ، يريد [illegible]م ذى صباح نكد على هذا الحى . فكان أشقاهم الرجال : لأنهم صاروا بين قتيل وأسير .

٦٥

وقال فى شهاب وعاصم اليربوعيَّيْن :

أَبْلِغْ شِهَابًا بَلْ فَأَبْلِغْ عَاصِمًا ... هَلْ قيس أتاك الْخَبْرُ مَالِ (١)

أَنَّا تَرَكْنَا مِنْكُمْ قَتْلَى وجَرْ ... حَى وسَبَايَا كَالشَّعَالِى (٢)

يَمْشِينَ فى أَرْحُلِنَا مُعْتَرِفَا ... تٍ بِجُوعٍ وهُزَالِ (٣)

فردّ عليه شهاب بقوله :

لَمْ تَسْبِنَا خَيْلُكُمْ فِيما مَضَى ... حَتَّى اسْتَفَأْنَا الحَىَّ مِنْ أَهْلٍ ومَالِ (٤)

ذَاكَ وكَمْ كِنْدِيَّةٍ سَوْداءَ قَدْ ... تَسْتَقْبِلُ القَوْمَ بِوَجْهٍ كَالجِعَالِ (٥)

قَايَظْنَنَا يَأْكُلْنَ فِينَا عَفَرًا ... نُطْعِمُها قِدًّا ومَحْرُوثَ الخِمَالِ (٦)

---

(١) الخبر : الأمر الواقع المتيقن الذى لا يحتمل الشك . مال : يامالك ، وهو يريد بنى مالك الذين منهم شهاب وعاصم اليربوعيين .

(٢) الشعالى : الثعالب ، شبه النساء اللاتى سباهن من بنى يربوع بالثعالب فى روغانها عند محاولتهن التهرب والفرار من السبى .

(٣) أرحلنا : المكان الذى نزلنا فيه بعد الغارة وألقينا فيه رحالنا . معترفات: يريد أن الجوع والهزال قد أخذا منهنّ وظهرا عليهن ، فكأن ماهن عليه من سوء الحال اعتراف منهن به .

(٤) لم تسبنا : أى لم تسب نساءنا . استفأنا : اتخذنا من حى كندة فيئاً ، أى غنائم من مال ورجال ونساء وكراع . وكندة : قبيلة امرئ القيس .

(٥) كالجعال : كالخرق البالية التى تتخذ لا نزال القدر بها عن النار .

(٦) قايظننا : أقمن فينا وقت القيظ . عفرا : ظاهر التراب . قدا : جلدا مجففا . الخمال : الشجر الملتف .

أَيَّامَ صَبَّحْنَاكُمُ مَلْمُومَةً ... كَأَنَّهَا قَدْ نُطِّقَتْ مِنْ حَزْمِ آلِ (١)

مِنْ كُلِّ قَبَّاءَ بِعَدْوِ الْوَكَرَى ... إِذَا تَوَانَى الْخَيْلُ بِالْقَوْمِ الثِّقَالِ (٢)

٦٦

وممـا ينسب إلى امرئ القيس أنه قال :

لِمَنْ طَلَلٌ بَيْنَ الجُدَيَّةِ والجَبَلْ ... مَحَلٌّ قَدِيمُ العَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطِّيَلْ (٣)

عَفَا غَيْرَ مُرْتَادٍ ومَرَّ كَسَرْحَبٍ ... وَمُنْخَفَضٍ طَامٍ تَنَكَّرَ واضْمَحَلْ (٤)

وزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ

عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ ومَنْ سَكَنَ ارْتَحَلْ (٥)

تَنَطَّحَ بِالأَطْلَالِ مِنْهُ مُجَلْجِلٌ ... أَحَمُّ إِذَا احْمَوْمَتْ سَحَائِبُهُ انْسَجَلْ (٦)

---

(١) ملمومة : كتيبة مجتمعة . نطقت : أحيطت بنطاق . الحزم : الضبط والأخذ في الأمور بالثقة . آل : سراب .

(٢) قباء : فرس ضامرة . عدو الوكرى : ضرب من العدو السريع . توانى : قصر الثقال : المثقلون بما عليهم من السلاح والدروع أو الثقال بأجسامهم والأول أشبه.

(٣) الطلل : الأثر الدارس . الجدية : جبل بنجد طيئ ، والجبل أجأ ، أحد جبلى طيئ . الطيل : الأيام المتطاولة . ويروى : مكان عظيم الشأن طالت به الطول.

(٤) عفا : درس وامحت آثاره . مرتاد : من يرود مواقع الغيث ، وهو الرائد. السرحب الفرس الطويل . طام : كثير متطامن . تنكر : لم يعد يعرف ، واضمحل: ذهب كل أثر فيه . ويروى :

عفا غير مختار ومر كراكب ... ومختطف طال التمكن فاضمحل

(٥) ارتحل : تحمل إلى أرض أخرى .

(٦) تنطح : يريد أن الرعود به تناطحت كما يتناطح الكباش ، غير أنه كان ذا صوت مجلجل : شديد ومعه سحاب . أحم : أسود لامتلائه بالمطر. احمومت : اسودت

بِرِيحٍ وَبَرْقٍ لَاحَ بَيْنَ سَحَائِبٍ	وَرَعْدٍ إِذَا مَا هَبَّ هَاتِفُهُ هَطَلْ (١)
فَأَنْبَتَ فِيهِ مِنْ غَشَنْضٍ وَغَشْنَضٍ	وَرَوْنَقِ رَنْدٍ وَالصَّلَنْدَدِ وَالْأَسَلْ (٢)
وَفِيهِ الْقَطَا وَالْبُومُ وَابْنُ حَبَوْكَلٍ	وَطَ[illegible] بَلَنْدَدُ وَالْحَجَلْ (٣)
وَعُنْثُلَةٌ وَالْخَيْثُوانُ وَبُرْسُلٌ	وَ[illegible] رَفَلَّةُ وَالرُّفَلْ (٤)
وَفِيلٌ وَأَذْيَابٌ وَابْنُ خُوَيْدِرٍ	وَغَنْسَلَةٌ [illegible] الْخَفَيْعَانُ قَدْ نَزَلْ (٥)
وَهَامٌ وَهَمْهَامٌ وَطَالِعُ أَنْجُدٍ	وَمُنْحَبِكُ الرَّوْقَيْنِ فِي سَيْرِهِ مَيَلْ (٦)

= وتكاثفت . انسجل : هطل منه الماء بشدة ، ويروى :

محنا مجنا مجتحنا مجاجـلا ملثاً إذا اسودت سحابته زجل

(١) هب هاتفه : ثار رعده . هطل : سح مطره بقوة .

(٢) غشنض وغشنض : الظاهر أنهما اسما نبات ، ولم أرهما فى القاموس ، وروتق رند : بها شجر طيب الريح ، والعود ، والآس . الصلندد نبات كما يؤخذ من السياق ، والأسل : الغاب تتخذ منه الرماح . ويروى :

فأنبت فيه منع شمس وغنطش ورقرق رمل والرفيـلة والرفل

(٣) ابن حبوكل : ليس له مسمى فيما بين يدى من المراجع ، إلا أن أم حبوكر هى الداهية ، القطا : طير معروف، البلندد : هو البلند ، وهو أصل الحناء ، والحجل الدجاج البرى .

(٤) العنثلة : الضبع . والخيثوان : حيوان لعله ذكر الضباع ، وبرسل : من الوحوش : والرفلة ، والرفل : الطويلة الشعر والذيل ، ولعل فى هذه الأسماء كلها تحريفا لم نهتد إليه الآن ، والخطب يسير . إذ أن جهلها لا ينتقص من قيمة العالم

(٥) أذياب : ذئاب . ابن خويدر : جحش من ولد الأخدرى ، وهو حمار وحشى ، وغنسلة : اسم مكان . الخفيعان : لعله الجراد .

(٦) الهام : هو الصدى ، وهو ضرب من الطير ، وهمهام : لعله طير آخر . وطالع أنجد : لعله حمار الوحش ، ومنحبك الروقين : الثور الوحشى . ميل : تثن ويروى : ومنحنى الروقين . والروقان : القرنان ، ولعله يريد به الوعل :

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْـــدَ تَوَهُّمِي

تَكَفْكَفَ دَمْعِي فَوْقَ خَدِّيَ وَانْهَمَلْ (١)

فَقُلْتُ لَهَا يَادَارَ [illegible] الكرى ... تَمَتَّعْتِ لَا بُدِّلْتِ يَا دَارُ بِالبَدَلْ (٢)

لَقَدْ طَالَ مَا [illegible] ى أَوْرَا[illegible] ... وَمُنْتَظَرًا لِلْحَيِّ مَنْ حَلَّ أَوْ رَحَلْ (٣)

وَمَأْوًى لِأَبْكَارِ امْرِئِ القَيْسِ [illegible] ... وَرُبَّ فَتًى كَاللَّيْثِ مُشْتَهَرٍ بَطَلْ (٤)

لَقَدْ كُنْتُ أَسْبِي الغِيدَ أَمْرَدَ نَاشِئًا ... وَيَسْبِينَنِي مِنْهُنَّ بِالدَّلِّ وَالمُقَلْ (٥)

لَيَالِيَ أَسْبِي الغَـــانِيَاتِ بِجُمَّةٍ ... مُعَشْكَلَةٍ سَوْدَاءَ زَيَّنَهَـــا رَجَلْ (٦)

كَأَنَّ قَطِيرَ البَانِ فِي عُكَنَاتِهَا ... عَلَى مُنْثَنًى وَالمَنْكِبَيْنِ عَطًى رَطِلْ (٧)

تَعَلَّقَ قَلْبِي طَفْلَةً عَرَبِيَّـــةً ... تَنَعَّمُ فِي الدِّيبَاجِ وَالحَلْيِ وَالحُلَلْ (٨)

لَهَا مُقْلَةٌ لَوْ أَنَّهَا نَظَرَتْ بِهَا ... إِلَى رَاهِبٍ قَدْ صَامَ لِلَّهِ وَابْتَهَلْ (٩)

---

(١) ويروى : فلما رأيت الدار بعد خلوها .

(٢) ويروى :

فقلت لها يادار ليلى من الذى ... تبدلت لامتعت يادار بالبدل

(٣) مألف : مكان الاجتماع والألفة . حل : نزل .

(٤) الأوانس : الفتيات الحسان اللاتى يؤنسن بحديثهن . فتى كالليث : يريد به نفسه .

(٥) الغيد : النساء الحسان الدلال . المقل : العيون .

(٦) الجمة : مجتمع شعر الراس . معشكلة : متكاثفة مسترسلة رجل : تمشيط .

(٧) قطير البان : البان المقطر ، وهو ذو رائحة طيبة · عكناتها : طوايا بطنها المنكبان : الكاملان : عطى رطل : مدهن بالأدهان العطرة .

(٨) ويروى : تألف قلبي ، طفلة : فتاة ناعمة رخصة الجسد .

(٩) ويروى : لها مقلة دعجا فلو نظرت بها إلى عابد ... ...

لَأَصْبَحَ مَتْنُونًا مُعَنًّى بِحُبِّهَا ... كَأَنْ لَمْ يَصُمْ لِلّٰهِ يَوْمًا وَلَمْ يُصَلْ (١)

أَلا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ بِدَلِّهَا ... إِذَا مَا [illegible] لَيْلَةً غَابَ أَوْ غَفَلْ (٢)

فَقَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا قَدْ رَمَيْتُهُ ... [illegible] يَحْتَبِلْ (٣)

أَيَخْفَى لَنَا إِنْ كَانَ فِي اللَّيْلِ دَفْنُهُ ... [illegible] إِذَا أَفَلْ (٤)

قَتَلْتِ الْفَتَى الْكِنْدِيَّ وَالشَّاعِرَ الَّذِي ... تَدَانَتْ لَهُ الْأَشْعَارُ طُرًّا فَيَا لَعَلْ (٥)

لِمَهْ تَقْتُلِي الْمَشْهُورَ وَالْفَارِسَ الَّذِي ... يُفَلِّقُ هَامَاتِ الرِّجَالِ بِلَا وَجَلْ (٦)

أَلَا يَا بَنِي كِنْدَةَ اقْتُلُوا بِابْنِ عَمِّكُمْ ... وَإِلَّا فَمَا أَنْتُمْ قَبِيلٌ وَلَا خَوَلْ (٧)

قَتِيلٌ بِوَادِي الْحُبِّ مِنْ غَيْرِ قَاتِلٍ ... وَلَا مَيِّتٍ يُعْزَى هُنَاكَ وَلَا زُمَلْ (٨)

فَتِلْكَ الَّتِي هَامَ الْفُؤَادُ بِحُبِّهَا ... مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ دُرِّيَّةُ الْقُبَلْ (٩)

وَلِي وَلَهَا فِي النَّاسِ قَوْلٌ وَسُمْعَةٌ ... وَلِي وَلَهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَثَلْ

---

(١) لهام بها وافتتن بحبها وترك صلاته وصيامه من أجلها .

(٢) الدل : الغنج والتكسر .

(٣) الأتراب : اللدات من سن واحد . يحتبل: يقع فى الحبالة وهى شرك الصائد.

(٤) أفل : غاب . مثل قولهم : وهل يخفى القمر .

(٥) تدانت: قربت. ويروى: أقرت له الشعار. فيالعل : دعاء بالنجاة . وأصلها : لعا

(٦) بلا وجل: بغير خوف. ويروى: لمه تقتلى المشهور والشاعر. وليس هذا مكانها .

(٧) خول : أتباع وأنصار .

(٨) هناك ، ويروى : نهاك . زمل : رفقاء .

(٩) مهفهفة : لطيفة غير سمينة . درية القبل : كأن مكان التقبيل [illegible] ، وهو الثغر ، در منظوم .

كأنَّ على أسنانِها بَعدَ هَجعةٍ سَفَرْجِلَ أَوْ تُفَّاحَ فى القَنْدِ والعَسَلْ[1]

رَدَاحٌ صَمُوتُ الحِجلِ تَ... تَخْتَـرًا

يادارَ... اخةُ الحِجْلَيْنِ يَصْرُخْنَ فى زَجَلْ[2]

غمُو... ى أَوْرَا... امَشَتْ

...كارِ امرئِ القيسِ ... دَ بَابِ السَّبَسَبِيِّينَ لا نَفْصَلْ[3]

فَهِىَ هِىَ وَهِىَ هِىَ ... وَهِىَ وَهِىَ

مُنًى لى مِنَ الدُّنيا مِنَ النَّاسِ بِالجُمَلْ

أَلا لَا أَلا إِلَّا لِآلَاءِ لابِثٍ ولا لَا أَلا إِلَّا لِآلَاءِ مَنْ رَحَلْ

فَكَمْ كَمْ وَكَمْ كَمْ ثُمَّ كَمْ كَمْ وَكَمْ وَكَمْ

قَطَعْتُ الفَيَافِى والمَهَامَةَ لَمْ أَمَلْ

وكافٌ وكَفْكافٌ وكَفِّى بِكَفِّهَا

وكافٌ كَفُوفُ الوَدْقِ مِن كَفِّها انْهَمَلْ[4]

فَلَوْ لَوْ ولَوْ لَوْ ثُمَّ لَوْ لَوْ ولَوْ ولَوْ دَنَا دَارَ سَلْمَى كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ وَصَلْ

وعَنْ عَنْ وعَنْ عَنْ ثُمَّ عَنْ عَنْ وعَنْ وعَنْ

أُسَائِلُ عَنْهَا كُلَّ مَنْ سَارَ وارْتَحَلْ

---

(١) القند : عصير قصب السكر .

(٢) رداح : عظيمة الكفل . صموت الحجل : ممتلئة الساقين فلا يسمع لخلخالها صوت . ويروى : محجلة الحجلين . زجل : تصويت .

(٣) السبسبيين لعله يريد بهم أصحاب يوم السباسب وهو يوم عيد الشعانين عند ال...رى .

(٤) كفوف الودق : المطر الوكاف المنهمر . انهمل : سال .

...ة - سيادة كليب على...

وفي في وفي في ثم في في... لمي أقبل لم أمل

وسل سل و... من نزار فأراني فيما

... كليباً قتل لبيداً ، أيقنت بأن الحرب واقعة ... للبيد ، فخرج حتى أخبر ابن عنق أسل

وشنصل وشنصل ثم شنصلت ملك قيس فبلغه إلى ملوك

على حاجب سيروه إلى ديار ربيعة . المقل (١)

حجازية العينين مكية الحشا ... له أهل اليمن ، فإنه في ... رومية الكفل (٢)

تهامية الأبدان عبسية اللمى خزاعية الأسنان درية القبل (٣)

وقلت لها أى القبائل تنسبى لعلى بين الناس فى الشعر كى أسل

فقالت أنا كندية عربية فقلت لها حاشا وكلا وهل وبل

فقالت أنا رومية عجمية فقلت لها ورخيز بياخوش من قزل (٤)

فلما تلاقينا وجدت بنانها مخضبة تحكى الشواعل بالشعل

ولاعبتها الشطرنج خيلى ترادفت ورخى عليها دار بالشاه بالعجل

---

(١) وأكثر هذه الأبيات أو إن شئت فسمها الخزعبلات لا تستحق الشرح ولا البيان لأن أكثر كلماتها مفهومة ، أو لافائدة منها .

(٢) لا أدرى ماذا أراد الشاعر بهذه النسب ، وهل اختصت كل بلد من هذه البلاد بمزية فى أجسام نسائها أم هذا كلام وكفى . أنا لاأحب التعسف فى استخراج المعانى حيث لافائدة مرجوة من ورائها .

(٣) اللمى : حمرة فى الشفاه مع ميل إلى السواد .

(٤) يزعم الواضع لهذا القصيدة أو الشارح لها أن : (ورخيز بياخوش) كلمتان روميتان ولست أدرى صحة ذلك على أنه لم يبين معناهما .

تَمكَّنَ قَائِمًا وَ... مِنْ نِزَارٍ فَأَرَانِي فِيمَا فَعَلْتُ مُجِيـ... ـال(١)

ودارُ بمن ب... كليباً قتل لبيداً ، أيقنت بأن الحرب واقعة بينها وبين

وألْحَقَ آلَ ... قريبا ... للبيد أخ فخرج حتى أخبر ابن عُنق الحال(٣)

... ث ملك قيس فبلغه إلى ملوك

سيروه إلى ديار ربيعة .

... له أهل اليمن ، فنادى في قو...

وطئ وقضاعة

ومما قاله :

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ ... خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِّجالَا(٤)

أَزَالَ عَنِ المَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ ... وقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ والجِبَالَا(٥)

وأَنْشَبَ فى المَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ ... ولِلزُّرَّادِ قَدْ نَصَبَ الحِبَالَا

هُمَامٌ طَحْطَحَ الآفَاقَ وَحْيًا ... وسَاقَ إِلَى مَشَارِقِها الرِّعَالَا(٦)

وسَدَّ بِحَيْثُ تَرْقَى الشَّمْسُ سَدًّا ... لِيأْجُوجٍ ومَأْجُوجَ الجِبَالَا(٧)

فَإِنْ تَهْلِكْ شَنُوءَةُ أَوْ تَبَدَّلْ ... فَسِيرِى إِنَّ فى غَسَّانَ خَالَا(٨)

---

(١) الطمر : لعله اسم قصر أو حصن .

(٢) سواسة : من عشائر اليمن ، وبنى رعين من قبائلهم .

(٣) ألحقهم : يريد أفناهم كما أفنى بنى حجر .

(٤) غول : يغتال أهله . ختور : مخادع . يلتهم : يأكل لا يبقى ولا يذر .

(٥) المصانع : القصور والحصون والمبانى الضخمه . ذو رياش : أحد ملوك اليمن التبابعة . وكذلك ذو منار فى البيت الثانى .

(٦) طحطح : دوخ . الرعال : جماعات الخيل .

(٧) يظهر أن هذا فيما يزعم العرب ذو القرنين ، وكان عندهم يسمى ... .

(٨) رواه العسكرى فى الصناعتين . شنوءة : قبيلة معروفة كان له معها شأن .

مِنْ نِزَارٍ فَأَرَانِي فِيمَا فَعَلْتُ مُجِيدَا

ما قتلت من ب... كليباً قتل لبيداً ، أيقنت بأن الحرب واقعة بينها وبين

... للبيد أخ فخرج حتى أخبر ابن عُنق الحـ...

...باها ... ت ملك قيْس فبلغه إلى ملو...

رُبَّ جَيْش ... سيروه إلى ديار ربيعة .

... له أهل اليمن ، فنادى فى قو... وطئ وقضاعة

ويروى له [2] :

إِذَا أَجَأٌ تَلَفَّعَتْ بِشِعَابِهَـا عَلَى ... بِالعَمَاءِ مُكَلَّلَهْ [3]

وَأَصْبَحَتِ العَوْجَاءُ يَهْتَزُّ جِيدُهَا كَجِيدِ عَرُوسٍ أَصْبَحَتْ مُتَبَذِّلَهْ [4]

ويروى له هذا المسمّط [5] :

وَمُسْتَلْئِمٍ كَشَّفْتُ بِالرُّمْحِ ذَيْلَهُ أَقَمْتُ بِعَضْبٍ ذِى شَقَائِقَ مَيْلَهُ [6]

---

(١) تقفته : اقتفت هذه الرياح آثار بعضها بعضاً .

(٢) عزاه صاحب اللسان إلى امرئ القيس ، وقال : وهو ينسب إلى عمرو بن جوين الطائى . قلت : والمعروف أنه عامر .

(٣) أجأ : أحد جبلى طيئ ، والعماء : الغمام المتراكب .

(٤) العوجاء : يريد بها فرسه .

(٥) نسب هذا الشعر إلى امرئ القيس : الجوهرى صاحب الصحاح ، وابن منظور صاحب اللسان هذه الأبيات وأقرهما عليه ابن برى ، وقال : هذا شعر مسمط .

(٦) المستلئم : لابس اللأمة ، وهى الدروع وما إليها . العضب : السيف القاطع . ويروى : سفاسق . والسفاسق جمع سفسقة ، وهى طرائق السيف ، وقيل هى ما بين الشطبتين على صفح السيف طولا ، وهى كلمة فيما قيل فارسية معربة ، وقال أبو... : هى التى يقال لها الفرند ، أقام ميله : أى أدبه وأراه بحد السيف كيف يكون مستقيما .

(١) الزحلوقة ـ أهل العالية من نجد يقولون : الزحلوفة بالفاء ، وتميم تقولها بالقاف ، هى آثار تزلج الصبيان من عالى التل إلى أسفله ، وهى الزلاقة التى يترجح عليها الصبيان .

(٢) قال المفضل الضبي : هذا معنى لعبة للصبيان ، يجتمعون فيأخذون خشبة فيضعونها على قوز من الرمل ثم يجلس على أحد طرفيها جماعة ، وعلى الآخر جماعة ، فأى الجماعتين كان أرزن ارتفعت الأخرى ، فينادون أصحاب الطرف الآخر : ألا حلوا : أى خففوا من عددكم حتى نساويكم فى التعديل . قال : وهذه التى تسميها العرب : الدورات ، والزحلوفة . قال : وتسمى أرجوحة الحضر : المطوحة .

قلت : وأرى أن امرأ القيس إنما كنى بالزحلوفة عن القبر لأنه ينحدر فيه كل من أدركته [illegible]رت ، فكأن الحال فيه ينادى من وراءه بلسان حاله : ألا حلوا كما حللنا ، أى اتبعونا إلى هذا المنزل الذى صرنا فيه كما حله من سبقنا .

مقتـــل كليب

ما قتلت من بنى [illegible] الحمى فرأى بيض القنبرة قد وطئته سراب فكسرته ،

[illegible] قربا [illegible]

[illegible] باها بمرهفات [illegible] أخضر جاءت عليها ناقة بمنكر

رب جيش [illegible] الأزهر حميته من مذحج وحمير

[illegible] الكرام [illegible] شعه من معشرى

[illegible] ، وعقر فصيلها ، ثم طرد إبل

[illegible] يمينا لا أ[illegible] منها العطش . وقال :

[illegible] ذلك [illegible] حماى ليس بمستباح

كل شىء [illegible] على الأبيات غدوة لا براح (١)

[illegible] عبيطا يقسمه المقسم بالقداح (٢)

وظنوا أنى بالحنث أولى وأنى كنت أولى بالنجاح (٣)

إذا عد[illegible] بفرسنيها تبينت المراض من الصحاح (٤)

وما يسرى اليدين إذا أضرت بها اليمنى بمدركة الفلاح

بنى ذهل بن شيبان خذوها فما فى ضربتيها من جناح

ونفرت سراب من وقع السهم ولها عجيج حتى بركت بفناء دار البسوس وضرعها يشخب دما ولبنا ، فلما رأى الجرمى ما حل بناقته صرخ واذلاه ،

---

(١) اللقوح : هى الناقة المسماة سراب . غدوة لا براح : أى أنها لن تبرح مكانها بعد الآن لأنها ستقتل

(٢) اللحم العبيط : الطرى الذى لا يزال بدمه . القداح : السهام

(٣) الحنث : اليمين الكاذبة . وأنى : والحال أنى كنت الخ

(٤) بفرسنيها : بطرفى خفيها

[illegible] لِلجـــارِ عَلَيْنا ... رَفْعَ ضَيْمٍ بِالعَـــوَالِى

ما قتلت من بنى [illegible]ـــوْمَ مَهْـلًا ... دُونَ عِرْضِ الجَار مَالِى

قربا [illegible] قربا [illegible]ـــقَّ جارِى ... وَيدِى رَهْـنُ فِعَالِى

قرِّبَاها بمرهفات [illegible]ـتَ فَيَبْقَى ... لؤْمُهُ عِنْـــدَ رِجَالِى

رب جيشٍ نَتِيتــه [illegible]

[illegible] أن شهد مع أخيه كليب حروبه ووقائعه ، وهو شاب [illegible] البسالة والإقدام ما بشر بمستقبل له رائع ، [illegible] إلى عيشة الترف والاستهتار ، ومعاقرة [illegible] العبث ومجالسة النساء ومغازلتهن ، [illegible] ذلك [illegible] جساس ، أراد مهلهل أن يلطف من كلِّ شىءٍ [illegible] ويرده عن غيه ، فغضب كليب وقال له : إن[illegible] زير النساء [1] والله لئن قتلتُ ما أخذت بدمى إلا اللبن ؟ [2] فقال المهلهل [illegible] أولها « أخ وحريم سيئ إن قطعته » وقد ذكرناها فيما يأتى من شعر[illegible] به كليب بقوله :

سَأَمْضِى لَهُ قُدُمًا وإنْ شابَ فى الَّذِى ... أَهُمُّ بِهِ فِيما صَنَعْتُ المقـــادِمُ [3]

مَخَافَةَ قَوْلٍ أَنْ يُخَالِفَ فِعْـلهُ ... وأَنْ يَهْـدِمَ العِزَّ المُشَيَّدَ هَادِمُ

ولما بلغ جساس هذه الأبيات رد على كليب فقال :

إِنِّى وَرَبِّ الشَّاعِرِ المغْرُورِ ... وبَاعِثِ المَوْتَى مِنَ القُبُورِ

---

(١) زير النساء : من يكثر مجالستهن ومحادثتهن

(٥) يريد باللبن أنه يأخذ عن دمه فداء من نوق حوالب وغيرها

(٣) سأمضى قدما : سأقدم على ما عزمت عليه ولن أرجع عنه وإن كان فيه من الكوارث ما تشيب له النواصى

[illegible] مرة أبو جساس فى نادى قومه رأى جساسا مقبلا يركض فى
ما قتلت من [illegible] : والله لقد جر جساس جريرة عظيمة . ثم وقف على أبيه
فر[illegible] [illegible] قربا [illegible] ! فقال مرة : إذن نسلمك بجريرتك ونريق دمك
قَرِّبَاهَا بِمُرْهَفَاتِ [illegible] منك ولا أنت منى ، فو الله لبئس ما فعلت ، ووددت
رُبَّ جَيْشٍ نَنِيتُهُ [illegible] هذا ؟ فَرَّقْتَ جماعتك ، وأطلقت حربها ، وقتلت
[illegible] الكِرَامَ [illegible] من الإبل ، والله لا تجتمع وائل بعدها أبداً ،
[illegible] جساس يقول :

[illegible] يَمِينًا لَا أُ[illegible] [illegible]نَ الأَمْرَ جَلَّ عَنِ التَّلَاحِى
[illegible] ذلت [illegible] [illegible]عضُّ الشَّيْخَ بِالْمَاءِ القَرَاحِ
[illegible] كُلُّ شَىْءٍ [illegible] فَتًى نَشِبَتْ بِآخَرَ غَيْرِ صَاحِ
[illegible] وَهَجًا وَجَاءَتْ إِذَا خَمَدَتْ كَنِيرَانِ الفِصَاحِ [1]
[illegible]ـــــةٌ تُعَزَّى بِمَا نَدَبَتْ وَتُعْلِنُ بِالنُّوَاحِ
[illegible] عَلَيْنَا بِلَا جُرْمٍ يُعَــــدُّ وَلَا جُنَاحِ
[illegible]عوَى فِى بَطْنِ قَاعٍ لِيَمْنَعَ حِمْيَةَ القَاعِ الْمُبَاحِ [2]
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْنَا وَاسْتَبَنَّا عُقَابَ البَغْىِ رَافِعَةَ الْجَنَاحِ
صَرَفْتُ إِلَيْهِ نَحْسًا يَوْمَ سُوءٍ لَهُ كَأْسٌ مِنَ الْمَوْتِ الْمُتَاحِ
تُنَكِّلُ عَنْ ذُنَابِ البَغْىِ قَوْمًا وَتَدْعُو آخَرِينَ إِلَى الصَّلَاحِ ؟

---

(١) نيران الفصاح : النيران التى كانت توقدها نصارى العرب فى أعياد [illegible]
والظاهر أنهم كانوا يبالغون فى إشعالها .

(٢) سوى كاب : يريد الجرو الذى اتخذه كليب للحمى

السيوف ، ويقوّمون الرماح . ومضى جساس على وجهه . .
ما قتلت من بنى مُرة قد آخى مهلهلا وصادقه وعاهده أن لا يكتم
زمان على شراب جاءت أمَةٌ فأسرت إلى همام الخبر ،
لك ؟ فلم يخبره . فذكّره العهد ، فقال : تقول :
ال : باع أخيك أقصر من ذلك ! فسكت . وأقبلا
يشرب شرب الآمن ، وهمام يشرب شرب
من المهلهل مأخذها ، فانسل همام
القرن الخامس للميلاد .

فراعه أن رأى قومه قد تملكهم
يكسرون سيوفهم ، ويقصفون رماحهم ؛
فوقف بينهم : ويحكم ما الذى دهاكم ؟ ! فأخبروه بما كان من قتل
لقد ذهبتم شر مذهب ! أتعقرون خيولكم حين احتجتم
حكم حين افتقرتم إليها ؟ فانتهوا عن ذلك ؟ ثم نهى
وقال : استبقين للبكاء عيوناً تبكى إلى آخر الأبد . . . !
ان ذلك بدافع السكر . ثم ذهبوا فأحضروا جثة كليب ودفنوها
بالذنّاب . والذنّاب عن يسار وَجة للمصعد إلى مكة .

وخرج إلى قبره أبكار الحى ، وذوات الخدور ، والعواتق من النساء ،
فشقوا الجيوب ، وخمشوا الوجوه . ثم خرجت جليلة إلى بيت أبيها فى
حالة ولَه ، فشيعتها أخت كليب بقولها : رحلة المعتدى ، وفراق الشامت ،
ويل غداً لآل مُرة ، من الكرة بعد الكرة . فقالت جليلة : وكيف تشمت
الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ؟ ! أسعد الله جد أختى ، أفلا قالت :

أقبل [illegible] النساء والولدان يسألونه عن الرجال ، فكانت المرأة تسأل عن ز[illegible] وقال يصف أبيها وولدها ، وكان الغلام يسأل عن أبيه وعمه وأخيه ، [illegible] يخاطبهم :

لَيْسَ [illegible] مَا فَتِيَنَّ النَّاسَ عَنْ آ بَائِهِمْ قُتِّلُوا ويَنْسَى القَتِيلَا (١)

فَمَا أَنْتَ [illegible] [illegible]كَتِيبَةِ حَتَّى انْتَعَلَ الْوَرْدُ مِنْ دِمَاءٍ نِعَالا (٢)

[illegible] فَمَا يَأْ خُذْنَ إِلَّا لَبَّاتِهِ والقَذالا (٣)

غَلَبُونَا ولا مَحَالَةَ يوْمًا يَقْلِبُ الدَّهْرُ ذَاكَ حالا فَحالا

٢١

ومما قاله فى وصف حروبه مع بكر قوله :

أَثْبَتُّ مُرَّةَ والسُّيُوفُ شَوَاهِرَ وصَرَفْتُ مُقْدَمَهَا إلى هَمَّامِ (٤)

وبنى لُجَيْمٍ قَدْ وطِئْنا وطْأَةً بِالْخَيْلِ خَارِجَةً عَنِ الأوْهامِ (٥)

ورَجَعْنا نَجْتَنِئُ القَنا فى ضُمَّرٍ مِثْلِ الذِّئابِ سَرِيعَةِ الإقْدامِ (٦)

---

(١) وينسى القتيل : يريد به كليبا .

(٢) لم أرم : لم أترك ولم أبرح . عرصة الكتيبة : ساحة القتال . الورد : فرسه

(٣) لبته وقذاله : صدره وقفاه .

(٤) أثبت مرة : أصبته بجراحة لا يقوم منها . ومرة : هو أبو جساس . وهمام : هو ابن مرة .

(٥) بنو لجيم من أحياء ربيعة . وطئه : نكل به . خارجة عن الأوهام : وطئناهم بحالة لا يتصورها وهم متوهم .

(٦) نجتنئ القنا : نميل الرماح . فى ضمر : على [illegible] . يريد نقى الخيل برماحنا من اندفاع أعدائنا .

وسَقَيْتُ تَيْمَ اللَّاتِ كَأْسًا مُرَّةً ... كالنَّارِ شُبَّ وقودُ[illegible]امِ (١)

وبُيُوتَ قَيْسٍ قَدْ وَطِئْنا وَطْأَةً ... فَتَرَكْنا قَيْسًا غَ[illegible] (٢)

ولقَدْ قَتَلْتُ الشَّعْثَمَيْنِ ومَالِكاً ... وابْنَ الْمُسَوَّرَ وابْنَ ذَاتِ دَوَامِ (٣)

ولقَدْ خَبَطْتُ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً ... أَخْوَالُنا وهُمُ [illegible] الأعْمامِ

لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ ... حَتى تَزُو[illegible]

قَتَلُوا كُلَيْبًا ثُمَّ قالوا أَرْتِعُوا ... كَذَبُوا ورَبِّ الحِلِّ والإحْرامِ (٥)

حَتى تُلَفَّ كَتِيبَةٌ بِكَتِيبَةٍ ... ويُحَلَّ أَصْرَامٌ عَلى أَصْرامِ (٦)

وتَجُولَ رَبَّاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا ... يَمْسَحْنَ عَرْضَ ذَوَائِبِ الأيْتَامِ (٧)

حَتى نَرَى غُرَرًا تُجَرُّ وجُمَّةً ... وعِظَامَ رُؤْسٍ هُشِّمَتْ بِعِظَامِ

حَتى يَعَضَّ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيَّةٍ ... مِمَّا يَرَى جَزَعًا عَلى الإبْهامِ

ولقَدْ تَرَكْنا الْخَيْلَ فى عَرَصَاتِها ... كالطَّيْرِ فَوْقَ مَعَالِمِ الأجْرامِ

فَقَضَيْنَ دَيْنًا كُنَّ قَدْ ضُمِّنَّهُ ... بِعَزَائِمٍ غُلْبِ الرِّقَابِ سَوَامِى (٨)

مِنْ خَيْلِ تَغْلِبَ عِزَّةً وتَكَرُّمًا ... مِثْلِ اللُّيُوثِ بِسَاحَةِ الآنَامِ

---

(١) تيم اللات : قبيلة من ربيعة وهى التى يقال لها أيضا : تيم الله .

(٢) وبيوت قيس : أحياء قيس بن عيلان .

(٣) الشعثمان : هما شعثم وعبد شمس ؛ ابنا معاوية .

(٤) شوامخ الأعلام : عوالى الجبال .

(٥) ارتعوا : سرحوا خيولكم ترتع فى مراعيها .

(٦) أصرام : [illegible]ات .

(٧) يروى ب[illegible]لخدور . ويمسحن فضل .

(٨) غلب ال[illegible]لاظ الأعناق . سوامى : مرتفعات الرؤوس .

٣٢

وقال يصف قتل كليب ويرثيه ، ويذكر قاتليه ، وما أظن أن هذا هو مطلع القصيدة ، ولعله قد ضاع فيما ضاع من شعر مهلهل :

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ المَرْءِ عَمْرٍو ... وجَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ ذِى صَرِيمِ (١)

فَمَا أَنْتَ ... بِأَصَمَّ لَدْنٍ ... فَلَمْ يَعْطِفْ هُنَاكَ عَلى حَمِيمِ (٢)

فإنَّ غَدًا وبَعْدَ غَدٍ لَوَهْنٍ ... لِأَمْرٍ مَا يُقَامُ لَهُ عَظِيمِ (٣)

جَسِيمًا مَا بَكَيْتُ بِهِ كُلَيْبًا ... إذَا ذُكِرَ الفِعَالُ مِنَ الجَسِيمِ (٤)

سَأَشْرَبُ كَأْسَهَا صِرْفًا وَأَسْقِى ... بِكَأْسٍ غَيْرِ مُنْطِقَةٍ مُلِيمِ (٥)

---

(١) عمرو : هو عمرو بن الحارث الذى شرك جساسا فى قتل كليب . ذو صريم: صاحب قطيعة الرحم . قيل إن كليبا حينما طعنه جساس قال :

أغثنى ياجساس منك بشربة ... تعودها فضلا على وأنعما

فقال له جساس : تجاوزت الأحص وشبيثا ، يعنى أنه تباعد عن مواضع سقياه . ثم نزل إليه عمرو بن الحارث فظنه يسقيه ، فلما علم أنه إنما نزلَ للإجهاز عليه قال :

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فطعنه فقصم صلبه .

(٢) أصم لدن : رمح مصمت لين .

(٣) لوهن : لفساد وضعف ، ويروى : لرهن ، ولعله الصواب كما يؤيده باقى البيت .

(٤) يقول : إنما أبكى من كليب على أمر جسيم لايقوم له شىء .

(٥) غير منطقة مليم : لاتترك مجالا لقول لائم .

٢٣

ولما أجبر على تزويج أخته أو ابنته ، فى بنى جنب كرهاً ، قال ينعى شأنه معهم :

أَعزِزْ عَلى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيَتْ ... أُخْتُ بَنِي الأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمِ (١)

أَنْكَحَها فَقْدُهَا الأَرَاقِمَ فى ... جَنْبٍ وكَانَ الحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ (٢)

لَوْ بِأَبَانِينَ جَاءَ يَخْطُبُها ... زُمِّلَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ (٣)

لَيْسُوا بِأَكْفَائِنَا الكِرَامِ وَلا ... يُغْنُونَ مِنْ عَيْلَةٍ وَلَا عُدُمِ (٤)

أَصْبَحْتُ لَا مُنْفِسًا أَصَبْتُ ولا ... أُبْتُ كَرِيماً حُرًّا مِنَ النَّدَمِ (٥)

---

(١) أعزز : عزيز على قبيلة تغلب أن ترى إحدى أخواتها تلقى هذه المهانة . ويروى :

هان على تغلب الذى لقيت ... أخت بنى المالكين من جشم

(٢) الأراقم : بنو أبيه ربيعة بن الحارث . جنب : حى من مذحج . الحباء : الصداق ، وفى معظم المصادر : الخباء ، وأظنه غلطا . من أدم : من جلد مدبوغ .

(٣) أبانين : جبل كان فى سفحه منازل تغلب . زمل : لطخ . ويروى : ضرج . يعنى لوجاء يخطبها عند قومها لهشموا أنفه وضرجوه بدمه .

(٤) يقول إن بنى جنب ليسوا لنا بأكفاء فى النسب ، وهم مع ذلك فقراء معدمون وضعاف مخذولون .

(٥) المنفس : الشىء الثمين الذى يتنافس فيه . والمنفس : المكان الذى يتنفس فيه الإنسان تنفس الراحة والسكينة .

٣٤

ولما قال له أخوه كليب : إنك زير نساء ، قال يخاطبه :

أخٌ وحَرِيمٌ سَيِّئٌ إنْ قَطَعْتُهُ ... وسُنَّةُ عَزْمٍ هَدْمُهَا لَكَ هَادِمُ (١)

وقفْتَ عَلى ثِنْتَيْنِ إحْدَاهُمَا دَمٌ ... وأُخْرَى بِها مِنَّا تُحَزُّ الغَلَاصِمُ (٢)

فَمَا أَنْتَ إلَّا بَيْنَ هاتَيْنِ غَائِصٌ ... وكِلْتَاهُمَا بَحْرٌ وذُو الغَيِّ نَادِمُ

فَمَنْقَصَةٌ فى هٰذِهِ ومَذَلَّةٌ ... وشَرٌّ شِمِرٌّ بَيْنَكُمْ مُتَفَاقِمُ (٣)

وكلُّ حَمِيمٍ أَوْ أَخٍ ذِى قَرَابَةٍ ... لَكَ اليَوْمَ حَتى آخِرَ الدَّهْرِ لَائِمُ

فَأَخِّرْ فَإنَّ الشَّرَّ يَحْسُنُ آخِرًا ... وقَدِّمْ فَإنَّ الحُرَّ لِلغَيْظِ كاظِمُ (٤)

٣٥

وقال يصف أخاه كليباً ويمدحه (٥) :

وأَغَرَّ مِنْ وُلْدِ الارَاقِمِ مَاجِدٍ ... صلْتِ الجَبِينِ مُعَاوِدِ الإقْدَامِ (٦)

---

(١) والأخ : هو كليب . والحريم : كل ما يجب على المرء صونه وحفظه والدفاع عنه .

(٢) تحز الغلاصم : تقطع الأعناق .

(٣) فمنقصة فى هذه : يعنى فى الإقدام على إغضاب جساس فى جاره . ومذلة : وذل يعنى أنه إذا لم ينفذ ماتوعد به جساسا كان فى ذلك مذلة له ، وكلتا الحالتين شر. وشمر : ماض على وجهه . متفاقم : متزايد بالغ أشده .

(٤) يقول إن الشر إذا تأخر إنفاذه كان خيرا ، لأنه لا يكون إلا بعد روية ، وقد تنتج الروية فيه خيرا ، وكظم الغيظ من صفات الأحرار الكرام .

(٥) قال : أبو عبيد البكرى : هو المهلهل بن ربيعة ، وقد زعم بعضهم أنه لشرحبيل بن مالك العصمى ، ورواه بعضهم لعمرو بن الأيهم التغلبى .

(٦) الأغر : الأبيض الأراقم : هم جشم ، ومالك ، وعمرو ، وثعلبة ، =

خَلَعَ الْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ ... شَجَرُ الْعُرَى وعَرَاعِرُ الأَقْوَامِ (١)

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالصَّوَارِمِ هَامَهَا ... ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَّامِ (٢)

٢٦

وأنشد له أبو عبيدة :

كُلُّ قَتِيلٍ فى كُلَيْبٍ حُلَّامْ ... حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلُ آلَ هَمَّامْ (٣)

٢٧

وقال يخاطب ابن عنق الحية ، ويصف له شجاعة قومه فى حروبهم ، أيام

= والحارث ، ومعاوية ، بنو بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل : قيل إنه مر كاهن بأمهم وهم ستة فى قطيفة لها فقالت له : انظر إلى بنى هؤلاء ! فنظر ثم قال : لكأنما رمونى بعيون الأراقم . والأراقم : الحيات . وأمهم هى مارية بنت حمار من بنى عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . صلت الجبين : واضح الغرة .

(١) شجر العرى : هو العضاه ، وبه تعتصم الإبل بعد هيج النبات ، أى هم عصم للناس كالعضاه التى تعتصم بها الأموال . شبه من تبعه بهذا الشجر . وعراعر الأقوام : رؤوسهم وقادتهم وذوو الرأى فيهم . وقال أبو عبيد البكرى : وهذه كناية عن شداد الرجال الصابرين على اللأواء ومضض الحروب ويروى : وعراعر ؛ بالفتح جمع عرعر بالضم يعنى سادة القوم وأعلامهم ، مأخوذ من عرعرة الجبل . وروى الزمخشرى هذا البيت للبيد بن ربيعة العامرى . ويروى لشرحبيل بن مالك يمدح معد يكرب بن عكب .

(٢) القدار : الجزار . والنقيعة : مايذبح للقادم من سفر ، ضيفا كان أو غيره .

(٣) حلال : دمه هدر . قال أبو على القالى يقول : كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك . حتى ينال القتل آل همام فإنهم وفاء به : قلت : والحلام الذى ذكره القالى هو الجدى أو الخروف .

الكلاب والسُّلَّان وغيرها :

لَوْ كان نَاهٍ لِآبْنِ حَيَّةَ زَاجِرًا لَنَهَاهُ ذَا عَنْ وَقْعَةِ السُّلَّانِ (١)
يَوْمٌ لنا كانتْ رِئاسَةَ أَهْلِهِ دُونَ القَبَائِلِ مِنْ بَنِي عَدْنَانِ
غَضِبَتْ مَعَدٌّ غَثُّها وسَمِينُها فِيهِ مُمَالاةً عَلى غَسَّانِ (٢)
فَأَزَالَهُمْ عَنَّا كُلَيْبُ بِطَعْنَةٍ فى عُمْرِ بَابِلِ مِنْ بَنِي قَحْطَانِ (٣)
ولقَدْ مَضَى عَنْها ابْنَ حَيَّةَ مُدْبِرًا تَحْتَ العَجَاجَةِ والحُتُوفُ دَوَانِ
لَمَّا رَآنَا بِالكُلَابِ كأَنَّنا أُسْدٌ مَلاوِثَةٌ عَلى خُفَّانِ (٤)
تَرَكَ التِي سَحَبَتْ عَلَيْهِ ذُيولَها تَحْتَ العَجَاجِ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ (٥)
ونَجَا بِمُهْجَتِهِ وَأَسْلَمَ قَوْمَهُ مُتَسَرْبِلِينَ رَوَاعِفَ المُرَّانِ (٦)
يَمْشُونَ فى حَلَقِ الحَدِيدِ كأَنَّهمْ جُرْبُ الجِمَالِ طُلِينَ بِالقَطِرَانِ

(١) ابن حية : هو عمرو بن عنق الحية الذى كان يلى الخراج على ربيعة لملوك كندة . ويوم السلان : كان من أيامهم المذكورة ، وكان على الناس ربيعة بن الحارث ومعه كليب والمهلهل .

(٢) غسان : قبيلة يمنية الأصل ، نزلت على ماء بالشام يسمى غسان فسميت به ومنهم ملوك غسان بالشام .

(٣) عمر بابل ، الظاهر أنه يريد به عمر الزعفران . والعمر هنا : الدير ، وكان عمر الزعفران حافلا بالقلايات والرهبان . وكان هذا العمر بالجانب الشرقى فى نصيبين ، وهو من مشاهير العمورة والديورة ؛ فلعل الواقعة كانت بجواره أو قريبا منه .

(٤) الكلاب : يوم من أيام العرب المشهورة . الملاوثة : من بهم لوثة وهى ضرب من الجنون . خفان : مأسدة مشهورة .

(٥) التى سحبت عليه ذيولها : الدرع الضافية ؛ يقول إنه ألقاها عن نفسه ليخفف عن فرسه فى انهزامه .

(٦) رواعف المران : الرماح تقطر الدماء من أسنتها .

نِعْمَ الفوارسُ لا فوارسُ مَذْحِجٍ يَوْمَ الهِيَاجِ ولا بَنُو هَمْدانِ
هَزَمُوا العُدَاةَ بِكُلِّ أَسْمَرَ مَارِنٍ ومُهَنَّدٍ مِثْلِ الغَدِيرِ يمَانِي

٢٨

وقال ـ بعد أن نهى قومه عن عقر الخيول وكسر السلاح، يوم مقتل كليب وخروج النساء متسلبات عليه. قال ابن الأثير: وهذا أول شعر قاله فى هذه الحادثة: ـ

كُنَّا نَغَارُ عَلى العَوَاتِقِ أَنْ تَرَى بِالأَمْسِ خَارِجَةً عَنِ الأَوْطَانِ (١)
فَخَرَجْنَ حِينَ ثَوَى كُلَيْبٌ حُسَّرًا مُسْتَيْقِنَاتٍ بَعْدَهُ بِهَوَانِ
فَتَرَى الكَوَاعِبَ كَالظِّبَاءِ عَوَاطِلًا إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ مِنَ الأَكْفَانِ (٢)
يَخْمِشْنَ مِنْ أَدَمِ الوُجُوهِ حَوَاسِرًا مِنْ بَعْدِهِ وَيَعِدْنَ بِالأَزْمَانِ (٣)
مُتَسَلِّبَاتٍ نُكْدُهُنَّ وَقَدْ وَرَى أَجْوَافُهُنَّ بِحُرْقَةٍ ورَوَانِي (٤)
وَيَقُلْنَ مَنْ لِلْمُسْتَضِيقِ إِذَا دَعَا أَمْ مَنْ لِخَضْبِ عَوَالِي المُرَّانِ (٥)

---

(١) العواتق: الأوانس فى حدود الإدراك

(٢) الكواعب: اللائى كعبت أثداؤهن. عواطل: لاحلى عليهن.

(٣) يخمشن: الخمش إدماء الوجوه بالأظافر.

(٤) متسلبات: يعنى أنهن لشدة حزنهن شققن جيوبهن وأرسلن شعورهن. وورى أجوافهن بحرقة: كأن النار قد اشتعلت بأجوافهن من حرقة الحزن. روانى: ناظرات بعيون ذابلة مكسورة.

(٥) المستضيق: من وقع فى ضيق من عيش أو حادث دهر. عوالى المران: الرماح، وخضبهن: تلوينهن بدماء الأعداء.

أَمْ لِا تِّسارٍ بِالْجَزُورِ إذَا غَدَتْ ... رِيحٌ تُقَطِّعُ مَعْقِدَ الأَشْطَانِ (١)

أَمْ مَنْ لِإِسْبَاقِ الدِّيَاتِ وجَمْعِها ... ولِفَادِحَاتِ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ (٢)

كانَ الذَّخِيرَةَ لِلزَّمَانِ فَقَدْ أَتَى ... فِقْدَانُهُ وأَخَلَّ رُكْنَ مَكَانِي

يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ زَمَانٍ فَاجِعٍ ... أَلْقَى عَلَيَّ بِكَلْكَلٍ وجِرَانِ (٣)

بِمُصِيبَةٍ لا تُسْتَقَالُ جَلِيلَةٍ ... غَلَبَتْ عَزَاءَ القَوْمِ والنِّسْوَانِ (٤)

هَدَّتْ حُصُونًا كُنَّ قَبْلُ مَلَاوِذًا ... لِذَوِي الْكُهُولِ مَعًا ولِلشُّبَّانِ (٥)

أَضْحَتْ وأَضْحَى سُورُهَا مِنْ بَعْدِهِ ... مُتَهَدِّمَ الأَرْكَانِ والبُنْيَانِ

فَابْكِينَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وانْدُبْنَهُ ... شُدَّتْ عَلَيْهِ قَبَاطِيَ الأَكْفَانِ (٦)

وابْكِينَ لِلأَيْتَامِ لَمَّا أَقْحَطُوا ... وابْكِينَ عِنْدَ تَخَاذُلِ الْجِيرَانِ

وابْكِينَ مَصْرَعَ جِيدِهِ مُتَزَمِّلا ... بِدِمَائِهِ فَلِذَاكَ مَا أَبْكَانِي

فَلأَتْرُكَنَّ بِهِ قَبَائِلَ وَائِلٍ ... قَتْلَى بِكُلِّ قَرَارَةٍ ومَكَانِ

قَتْلَى تَعَاوَرَهَا النُّسُورُ أَكُفُّهَا ... يَنْهَشْنَهَا وَحَوَاجِلُ الغِرْبَانِ

(١) الاتسار بالجزور : المساهمة فى لحمه والمقامرة عليه ، وقد كانوا يقامرون بالإبل ، فمن قمر صاحبه ألزمه نحر جزور يتقاسمه الأيسار الذين يلعبون الميسر . الأشطان : الحبال .

(٢) إسباق الديات : المسابقة على دفع ديات القتلى عمن لاقدرة لهم بدفعها .

(٣) شبه الزمان ببعير يبرك بصدره وعنقه عليه ، فلا يكاد ينهض عنه .

(٤) لاتستقال : لا يمكن طلب رفعها ولا تمنى دفعها .

(٥) ملاوذ : يلوذ بها الخائفون ، ويلجأ إليها البائسون من شبان وكهول .

(٦) القباطى : ثياب كانت تصنع بمصر .

٢٩

وقال فى وقعة واردات ، وفرار جساس إلى الشام :

لَوْ أنْ خَيْلِى أَدْرَكَتْكَ وَجَدْتَهمْ	مِثْلَ اللُّيُوثِ بِسِتْرِ غِبِّ عَرِينِ [(١)]
فَلَأُورِدَنَّ الخَيْلَ بَطْنَ أَرَاكَةٍ	ولَأَقْضِيَنَّ بِفِعْلِ ذَاكَ دُيُونِى [(٢)]
ولَأَقْتُلَنَّ جَحَاجِحًا مِنْ بَكْرِكُمْ	ولَأُبْكِيَنَّ بِهَا جُفُونَ عُيُونِ [(٣)]
حَتَّى تَظَلَّ الحَامِلاتُ مَخَافَةً	مِنْ وقْعِنَا يَقْذِفْنَ كُلَّ جَنِينِ

٣٠

وروى الجاحظ لمهلهل الأبيات الآتية : [(٤)]

مِلْنَا عَلَى وائِلٍ وأَفْلَتَنَا	يَوْمًا عَدِىٌّ جُرَيْعَةَ الذَّقَنِ [(٥)]

---

(١) بستر غب عرين : كالأسود خارجة من عرينها بعد أن حجبت به زمنا .

(٢) أراكة : موضع باليمامة يقال له ذو الأراكة ، به نخل لبنى عجل بن لجيم ونزل بهم رجل فأساؤوا قراه فقال :

لاينزلن بذى الأراكة راكب	حتى يقدم قبله بطعام
ظلت بمخترق الرياح ركابنا	لامفطرون بها ولا صوام
ياعجل قد زعمت حنيفة أنكم	عتم القرى وقليلة الآدام

(٣) الجحاجح : السادة الشجعان .

(٤) أنا أشك فى نسبة هذه الأبيات إلى المهلهل . ولا أظنها صادرة عن تغلبى ، وإذا نسبت إلى بكرى كان ذلك أولى بها ، لأنه مامعنى وائل وماالمقصود من عدى؟ إذا لم يكونا كليب والمهلهل ! ؟ أما البيت الأول فقد رواه صاحب اللسان لمهلهل ، والأبيات الأخرى رواها الجاحظ له ، وأنا أثبتها هنا مع شكى فى نسبتها .

(٥) جريعة الذقن : كان فى يدى فأفلت منى ، وقد بلغت نفسه موضع الذقن ، يعنى وماكاد يفلت .

دفعتْ عنهُ الرِّماحَ مجتهدًا ... حفظًا لِلْمِنى وحِلْفِ ذِي يَمَنِ (١)
أذكُرُ مِنْ عهدِنا وعهدِهِمُ ... عهدًا وثيقًا بِمَنْحرِ الْبُدُنِ (٢)
مَا بَلْ بَحْرٌ كفًّا بِصوفتِها ... ومَا أنافَ الْهِضابُ مِنْ حَضَنِ (٣)
يَزِيدُهُ اللَّيْـلُ والنَّهارُ مَعًا ... شَدًّا خِراطَ الْجَمُوحِ فى الشَّطَنِ (٤)

٣١

وقال مهلهل يرثى أخاه كليباً ، ويتفجع عليه :

كُلَيْبُ لا خَيْرَ فى الدُّنْيا ومَنْ فِيها ... إذْ كُنْتَ خَلَّيْتَها فِيمَنْ يُخَلِّيها (٥)
كُلَيْبُ أَىَّ فَتَى عِـزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... تَحْتَ السَّقائِفِ إذْ يَعْلُوكَ سافِيها (٦)
نَعَى النُّعاةُ كُلَيْبًا لِى فَقُلْتُ لَهُمْ ... مَادَتْ بِنَا الأَرْضُ أَمْ زَالَتْ رَوَاسِيها (٧)

---

(١) كان بين تغلب واليمن حلف قديم ، والمقصود باليمن هنا بعض قبائل قحطان
(٢) منحر البدن : مكان النحر بمنى .
(٣) كانوا يقولون : والله لا كلمته ما بل بحر صوفة . والبحر لا يزال يبل الصوف . إذن لا يكلمه أبداً . حضن : جبل بأعلى نجد .
(٤) الخراط : الجماح . الشطن : الحبل .
(٥) ولجساس أبيات يرد بها على مهلهل يقول فيها :

أبلغ مهلهل عن بكر مغلغلة ... منتك نفسك من غى أمانيها
تبكى كليبا وقد شالت نعامته ... حقا وتضمر أشياء ترجيها
فاصبر لبكر فإن الحرب قد لقحت ... وعز نفسك عمن لا يواليها
فقـد قتلنا كليبا لم نبال به ... بناب جار ودون القتل يكفيها
نحمى الذمار ونحمى كل أرملة ... حقا وندفع عنها من يعاديها

(٦) السقائف : يريد بها أحجار القبر : سافيها : ما تسفيه الرياح من التراب .
(٧) مادت : مالت واضطربت . رواسيها : جبالها :

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ ... وَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَانْجَابَتْ بِمَا فِيهَا[1]

أَضْحَتْ مَنَازِلُ بِالسُّلَّانِ قَدْ دَرَسَتْ ... تَبْكِي كُلَيْبًا وَلَمْ تَفْزَعْ أَقَاصِيهَا[2]

أَلْحَزْمُ وَالعَزْمُ كَانَا مِنْ طَبَائِعِهِ ... مَا كُلُّ آلَائِهِ يَا قَوْمِ أُحْصِيهَا[3]

النَّاحِرُ الكُومَ مَا يَنْفَكُّ يُطْعِمُهَا ... وَالْوَاهِبُ المِئَةَ الْحُمْرَا بِرَاعِيهَا[4]

أَلْقَائِدُ الْخَيْلَ تَرْدِي فِي أَسِنَّتِهَا ... إِلَّا وَقَدْ خَضَبَتْهَا مِنْ أَعَادِيهَا[5]

قَدْ كَانَ يُصْبِحُهَا شَعْوَاءَ مُشْعَلَةً ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مَعْقُودًا نَوَاصِيهَا[6]

تَكُونُ أَوَّلَهَا فِي حِينِ كَرَّتِهَا ... وَأَنْتَ بِالْكَرِّ يَوْمَ الْكَرِّ حَامِيهَا

حَتَّى تُكَسِّرَ شَزْرًا فِي نُحُورِهِمُ ... زُرْقَ الْأَسِنَّةِ إِذْ تَرْوَى صَوَادِيهَا

أَمْسَتْ وَقَدْ أَوْحَشَتْ جُرْدٌ بِبَلْقَعَةٍ ... لِلْوَحْشِ مِنْهَا مَقِيلٌ فِي مَرَاعِيهَا

يَنْفِرْنَ عَنْ أُمِّ هَامَاتِ الرِّجَالِ بِهَا ... وَالْحَرْبُ يَفْتَرِسُ الْأَقْرَانَ صَالِيهَا

يُهَزْهِزُونَ مِنَ الْخَطِّيِّ مُدْمَجَةً ... صُمًّا أَنَابِيبُهَا شُهْبًا عَوَالِيهَا[7]

نَرْمِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَنُورِدُهَا ... بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

---

(١) انجابت : تشققت وتمزقت .

(٢) السلان : المكان الذى حدثت به بعض الوقائع ، وله يوم من أيامهم ؛ والظاهر أن أحياء تغلب كانت نازلة به .

(٣) آلاؤه : فضائله ومزاياه .

(٤) الكوم ، جمع كوماء : الناقة العظيمة السنام .

(٥) تردى : تندفع فى جريها .

(٦) يصبحها شعواء يعنى الغارة التى لاتبقى ولا تذر ، فهى آتية من كل مكان

(٧) ويروى : كمتا أنابيبها زرقا عواليها .

يَارُبَّ يَوْمٍ يكونُ النَّاسُ فى رَهَجٍ   بِهِ تَرَانِى عَلَى نَفْسى مَكاوِيها [(١)]

مُسْتَقْدِمًا غَصَصًا لِلْحَرْبِ مُقْتَحِمًا   نَارًا أُهَيِّجُهَا حِينًا وَأُطْفِيها

لا أَصْلَحَ اللهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكم   حَتَّى يُصَالِحَ ذِئبَ الْمَعْزِ رَاعِيها [(٢)]

هذا ما عثرت عليه من شعر المهلهل بن ربيعة . والظاهر أن له من الشعر قدراً كبيرا ، ضاع أكثره ، أو دخل فى شعر غيره مما تشدق به الرواة من تراث الأقدمين ، ولم يبق إلا أقله ، على أن فى صحة الكثير من هذا القليل الذى ذكرته لنظرا .

---

(١) الرهج : غبار الحرب حينما يرتفع فوق رءوس المقاتلة .

(٢) ويروى : مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها . والغرض أن الصلح بين تغلب وبكر ، مستحيل .

٤
امرؤ القيس بن أبان التغلبي

هو امرؤ القيس بن أَبان بن كعب بن زهير بن جشم. شاعر جاهلى؛ كان من أشراف بنى تغلب وسادتهم، وكان على مقدمتهم زماناً طويلا. وهو وإن لم أقف له على شعر فيما بين يدى من المصادر، إلا أَنه كان ذا شأن فى حروب بكر وتغلب. ولا بد أَن شعره قد ذهب فيما ذهب من الشعر. وقد روى الرواة له هذه القصة، وهى تدل على عقل وحكمة، آثرت ذكرها له بدلا من شعره.

قال أبو رياش: لما كان آخر وقائع بكر وتغلب ابنى وائل، خرج بُجير ابن عمرو بن عُباد[١] فى إثر إبل له ندت يطلبها فعرض له مهلهل بن ربيعة فى مقنب[٢] من مقانب بنى تغلب يطلبون غِرة بكر بن وائل، فلما نظر إليه أعجبه الغلام وما رأى من جماله وهيئته، فقال له: من أنت يا غلام؟ فقال: بجير بن عمرو بن عباد، قال: فمن خالك؟ قال: أمى أخيذة[٣]؛ فبوأ له الرمح ليطعنه به، فقال امرؤ القيس بن أبان: لا تفعل؛ فوالله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يسأل عن خاله من هو، وإياك أن تحقر البغى والظلم فإن عاقبتهما وبئة، وقد اعتزلنا عمه وأَبوه وأهل بيته[٤] واعتزلوا

(١) من الرواة من زعم أن بجيراً هو ابن الحارث، والراجح أنه كان ابن أخيه عمرو كما حققه أبو رياش فى شرح الحماسة.

(٢) المقنب: كتيبة من الفرسان.

(٣) الأخيذة: المأخوذة فى حرب قهراً. وهى المسبية.

(٤) وفى اعتزال الحارث الحرب بين بكر وتغلب، قال سعد بن مالك، جد

قومهم وتركوا القتال مع بكر بن وائل ، فخل عنه وأطعنى . فأبى امرؤ القيس المهلهل إلا قتله ، فطعنه برمحه حتى خرج من ظهره ، وقال : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كليب[1] . فبلغ كلامه عم الغلام الحارث بن عباد وما كان من أمره . وكان من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين ، وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأساً وأقواهم بدنا . فقال الحارث : نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل ، فكف سفهاءهم ، وحقن دماءهم . فقيل له : إن المهلهل إنما قتله بشسع نعل

= طرفة بن العبد ، يذكر حرب البسوس ، ويعرض بقعود الحارث عنها

يا بؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا
والحرب لا تبقى لجا محها التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار فى النجـدات والفرس الوقاح
والنثرة الحصداء والبيـض المكلل والرماح
وتساقط الأوشاظ والذنبـات إذ جهد الفضاح
والكر بعد الفر إذ كره التقدم والنطاح
كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح
فالهم بيضات الخدو ر هناك لا النعم المراح
بئس الخلائف بعدنا أولاد يشكر واللقاح
من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح
صبرا بنى قيس لها حتى تريحوا أو تراحوا
إن الموائل خوفها يعتاقها الأجل المتاح
هيهات حال الموت دو ن الفوت وانتضى السلاح
كيف الحياة إذا خلت منا الظواهر والبطاح
أين الأعنـة والأسـنة عند ذلك والسماح

ويروى : أين الأعزة . وما أثبتناه أجوده .

(١) بؤ بشع نعل كليب : يعنى أن بجيرا لا يفى إلا بقبال نعله ، وهو السير الذى يربط به النعل ، وهذا منتهى التحقير

كليب ! فلم يقبل ذلك ولم يعجل على القوم ، وأرسل إليهم : إن كنتم إنما قتلتم بجيراً بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فإنى راض بذلك وطيبة به نفسى ليهدأ هذا الأمر . فأرسل إليه المهلهل : إنما قتلته بشسع نعل كليب .

قلت : ولكن يؤخذ من شعر الحارث أن الذى قتل بجيراً هو امرؤ القيس بن أبان التغلبى ، وذلك حيث يقول :

لَهْفَ نَفْسِى عَلى عَدِىٍّ ولَمْ أَعْـ ـرِفْ عَدِيًّا إذْ أَمْكَنَتْنِى اليَدَانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ فى الحُرُوبِ ولَمْ يُطْـ ـلَلْ بُجَيْرٌ أَبَانَهُ ابْنُ أَبَانِ

والأشعار فى ذكر الحوادث ، فى منزلة الأخبار ، وقد تكون أقوى منها فى الدلالة عليها .

فقال الحارث بن عباد لِأَمَةٍ له : ردّى جمالك ، ألحقك الشر بأهلك [١] ، فمن أناس ما أنت . فذهبت مثلا . ثم دعا بفرسه النعامة فجز ناصيتها ، وهلب ذنبها [٢] ، ويقال : قطعه . وكان أول من فعل ذلك بالخيل فيما زعموا . فقال بعض العرب : ردها جَذَعَةً [٣] . ثم قال الحارث :

لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا ولا رَهْـ ـطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ
قَرِّبا مربط النعامة منى لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنْ حِيَالِ [٤]

(١) يريد أن قيام الشر هو الذى ردها إلى أهلها

(٢) هلب ذنبها : نتفه أو قصه

(٣) ردها جذعة : أى أنه أعاد الحرب إلى شبابها وفتائها بعد أن اكتهلت ، وظاهر القول أنه يريد الفرس ، ولكن المعنى بهذا إنما هى الحرب

(٣) لقحت : حملت . والحيال أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل ، وهذا مثل ضربه ؛ لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها وإنما يعظم أمر الحرب لما ينتج منها من الأمور التى لم تكن فى الحسبان .

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِها عَلِمَ اللهُ وَإِنِّى بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِى[١]

قرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَــامَةِ منِّى إِنَّ قَتْلَ الكَرِيمِ بِالشِّسْعِ غَال[٢]

ثم ارتحل الحارث بجماعته ، ومن معه من قومه ، وانضم إلى بكر بن وائل ، وكان عليهم يومئذ الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة . فقال الحارث بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقاتلهم بالنساء ! قال الحارث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلد كل امرأة إداوة[٣] ، من ماء وأعطها هراوة[٤] واجعل جمعهن من ورائكم ، فإن ذلكم يزيدكم اجتهادا ، وأعلموا بعلامات يعرفنها ، فإذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته ، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه . فأطاعوه ؛ وحلقت بنو بكر يومئذ رءوسها استبسالا للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم . واقتتل الفريقان قتالا شديداً فانهزمت بنو تغلب . قيل : وفى هذه الوقعة ، وهى التى تسمى « يوم التحالق » أسر مهلهل ، أسره الحارث بن عباد وهو لا يعرفه . فقال له : دلنى على عدى وأخلى عنك ؟ فقال له : عليك العهد بذلك ؟ قال : نعم . قال : فأنا عدى ! فجز ناصيته وتركه بعد أن قال له : دلنى على كفء لبجير ، فدله على امرئ القيس بن أبان هذا . فقصده الحارث وقتله .

وقد وفيت بهذا الحديث عن حروب البسوس وما تقدمها ، وما قيل فيها من الشعر ، وما انتهت إليه . ملخصاً ذلك تلخيصاً جيداً على قدر الإمكان .

---

(١) صالى : مقتحم سعيرها

(٢) زعم الأصمعى أن الحارث قال قصيدته وله من العمر ١٣٥ سنة ويقال إنه توفى سنة ٥٧٠ ميلادية وله ١٥٠ سنة

(٣) الإداوة : القربة الصغيرة

(٤) الهراوة : العصا الغليظة



امرؤ القيس بن حمام الكلبي

وهو امرؤ القيس بن حُمام بن مالك بن عبيدة بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبَرة. شاعر جاهلي. ذكر الرواة أن امرأ القيس هذا كان هجينا. يريدون أن أمه كانت أَمةً. وكان يدعى عَدْل الآصرة[1]، قالوا: وإياه يعنى مهلهل بن ربيعة التغلبي بقوله:

لَمَّا توَعَّرَ فى الكُرَاعِ هَجِينُهُمْ   هَلهَلتُ أَثْأَرُ جابِرًا أَوْ صِنبِلَا[2]

وبهذا البيت قيل لمهلهل: مهلهل. وكان زُهير بن جناب الكلبي قد أغار على بنى تغلب ومعه امرؤ القيس هذا، فانهزم امرؤ القيس هارباً.

قال الآمدي: والذي أدركه الرواة من شعره قليل جدا، ورووا له قوله:

لِآلِ هِنْدٍ بِجَنْبَىْ نَفْنَفٍ دَارُ   لَمْ يَمْحُ جِدَّتَهَا رِيحٌ وَأَمْطَارُ[3]

أَمَا تَرَيْنِي بِجَنْبِ البَيْتِ مُضْطَجِعًا   لا يَطَّبِينِي لَدَى الحَيَّيْنِ أَبكارُ[4]

فَرُبَّ بَيْتٍ يَصِمُّ القَوْمَ رَجَّتُهُ   أَفَأْتُهُ إِنَّ بَعْضَ القَوْمِ عُوَّارُ[5]

وهي أبيات في أشعار كليب. وبهذا يتم الحديث عن حروب بكر وتغلب.

---

(١) عدل الآصرة: إذا لم تكن هذه الكلمة محرفة. كانت بمعنى صاحب الحبس أو صاحب المحابيس. أو هو عدل في أصل آصرته، وهم ذوو قرباه. ولعل هذا هو الأصح

(٢) ويروى: لما توقل. لما توغل. ويروى: أثأر مالكا. وهلهلت: قاربت وكدت

(٣) النفنف: هنا اسم موضع بعينه

(٤) لا يطبيني: لا يستميلني ولا يملك على نفسي

(٥) أفأته: تحولت عنه. عوار: تقذى بهم العين.

ما حدث بعد حروب بكر وتغلب

بعد حرب البسوس ، وموت المهلهل ، استمرت الحرب مشتعلة النيران بين الحيين الأخوين بكر وتغلب حتى كادا يتفانيان . غير أنه لما قام الملك عمرو بن هند بأعباء الملك بالحيرة بعد أبيه المنذر بن امرئ القيس ـ وكانت أمه هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر الأشهر ـ ذهب إليه الحارث ابن عمرو وسعى عنده فى شأن العمل على إجراء الصلح بين بكر وتغلب . فدعا الملك عمرو بن هند رؤساء الفريقين وزعماء الحيين ، وتحدث إليهما فى شأن الصلح ، ومازال بهما حتى أوقع التراضى بينهما ، ولأجل ضمان استمرار هذا الصلح ، أخذ من كل حى منهما مائة غلام وجعلهما رُهُنًا لديه على الوفاء . ثم إنه ألف من هؤلاء الغلمان كتيبة يغزو بها من يشاء غزوه من القبائل التى تخرج عليه ويرد بهم جماحها . وغبروا على ذلك زمنا . وبينما هم فى بعض أسفارهم نحو غزواتهم هبت ريح سموم عليهم فأهلكت منهم عامّة التغلبيين ولم يصب البكريون منهم بأذى . فأثار هذا الحادث المفاجئ ثائرة قبيلة بنى تغلب فقام زعماؤهم وذهبوا إلى البكريين يطلبون إليهم أن يؤدوا ديات أبنائهم . فأبى عليهم البكريون وقالوا لهم : إن ديات أبنائكم لا تلزمنا . ووقع النزاع بين الزعماء ، وتمادى بهم الغضب ، وكاد الشر يقع بينهم ، فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، وبكر، إلى النعمان بن هرم اليشكرى ، واتفقوا على أن يعرضوا الأمر على الملك عمرو بن هند ، فلما ذهبوا إليه وأخذوا فى بسط ما هم فيه، وقع التنازع بين عمرو بن كلثوم والنعمان بن هرم حتى غضب عمرو بن هند ، وهمّ بالنعمان ، فقام الحارث بن حلزة اليشكرى الشاعر المشهور بين يدى الملك وارتجل ـ فيما قيل ـ قصيدته المشهورة ،

وقد اختلف الرواة فيما نشروه منها ؛ فهى عند الزوزنى ٨٢ بيتا . وعند التبريزى ٨٥ بيتا . ومن الغريب أن أبا زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى لم يذكرها فى جمهرة أشعار العرب ، ولم يشر إليها . مع أن أبا عمرو الشيبانى الراوية المشهور ، كان يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة فى موقف واحد ، ويقول : لو قالها فى حول لم يلم ، وقد ذكر فيها عدة من أيام العرب ، عير ببعضها بنى تغلب ، وعرض وندد بها تصريحا ، بعمرو بن هند الملك . وعاش بعد ذلك مدة ، وهو يعد فى المعمرين ، قيل إنه مات وله ١٥٠ سنة . وقيل إنه مات سنة ٥٨٠ م .

ولما كانت القصيدة كثيرة الأبيات التى لا ينتفع منها قارئ اليوم ، فقد رأيت أن أختار منها ما قد يكون فيه فائدة لطالب الأدب ومستطلع الشعر الجاهلى . وهذا ما رأيت اختياره ، قال الحارث :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)

بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ (٢)

لا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فِيهَا فَأَبْكِي الْـ يَوْمَ دَلْهًا وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ ؟ (٣)

وَبِعَيْنَيْنِ أَوْقَدَتْ هِنْدُ النَّا رَ أُصَيْلًا تُلْوِي بِهَا الْعَلْيَاءُ (٤)

---

(١) آذنتنا : أعلمتنا وأنذرتنا . ببينها : البين الفراق . الثاوى : المقيم . ويمل ، من الملال ، وهو الضجر وعدم الرغبة .

(٢) ويروى : بعد عهد لها . يقول إنها أنذرتنا بالفراق بعد عهدها لنا بهذه المواضع التى هى ببرقة شماء ، والخلصاء

(٣) يقول : غاب عنى من عهدت فى هذه المواضع ولذلك فإنى أبكى بكاء دلها أى باطلا محيرا ، على أنه لافائدة من هذا البكاء الذى لايغنى شيئاً ولا يرد فائتا

(٤) وبعينيك : أى برأى منك أوقدت هند النار ، وأسماء وهند كن من صواحباته

أَوْقَدَتْهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخْصَيْـ ـنِ بِعُودٍ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءُ (١)

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلَاءُ (٢)

غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ (٣)

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُمُّ رِئَالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفَاءُ (٤)

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا الْقَنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ (٥)

فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَقْعِ مَنِينًا كَأَنَّهُ إِهْبَاءُ (٦)

أَتَلَهَّى بِهَا الْهَوَاجِرَ إِذْ كُلُّ ابْنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمْيَاءُ (٧)

أصيلا ، أى وقت الأصيل أى عند غروب الشمس . تلوى بها العلياء : أى ترفعها وتضيئها له من المكان المرتفع ، وإنما أراد بالعلياء هنا أرض العالية وهى الحجاز وما يجاوره من بلاد قيس

(١) العقيق وشخصان اسما مكانين ، غير أن شخصين عبارة عن أكمة لها شعبتان . بعود : يريد بالعود الذى يتبخر به ، وكان الإيقاد قويا حتى أضاء كما تضىء النار

(٢) تنورتها : نظرت هذه النار وعرفت موقعها . خزازى : جبل كانوا يوقدون عليه النار غداة الغارة : هيهات منك الصلاء : أى بعد عنك المكان الذى يمكن أن يصطلى بناره أو تستدفئ بها .

(٣) الثوى : المقيم . النجاء : السرعة .

(٤) بزفوف : يريد بناقة سريعة تزف فى سرعتها زفيف الهقلة أى النعامة . أم رئال : أم فراخ ، وفرخ النعام يسمى رألا . الدوية : الأرض البعيدة الأطراف وسقفاء : مرتفعة ويريد بها الطويلة العنق

(٥) آنست : احست . نبأة : صوت خفى . يريد أن ناقته فى سرعتها كأنها النعامة التى أحست بالقناص فأسرعت نحو رئالها ، وناهيك بها فى هذه الحال

(٦) المنين : الغبار الدقيق تثيره لشدة عدوها . الرجع : قوائمها . والوقع: وقع خفافها . والأهباء : الغبار وإثارة التراب .

(٧) أتلهى : ألهوا بها فى الهواجر . وابن الهم : صاحب الهموم . والبلية : الناقة

وأَتَانَا عَنِ الأَرَاقِمِ أَنْبَــاءٌ وَخَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ (١)

أَنَّ إِخْوَانَنَـا الأَرَاقِمَ يَغْــلُونَ عَلَيْنَا فِى قِيلِهِمْ إِحْفَاءُ (٢)

يَخْلِطُونَ البَرِىءَ مِنَّا بِذِى الذَّنْــبِ ولا يَنْفَعُ الخَلِىَّ الخَـلاَءُ (٣)

زَعَمُـوا أَنَّ كلَّ مَنْ ضَربَ العَــيْرَ مُوَالٍ لنـا وأَنَّا الْوَلاَءُ (٤)

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بِلَيْـلٍ فَلَمَّـا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لهُمْ ضَوْضَاءُ (٥)

مِن مُنادٍ ومِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصهَـالِ خَيْلٍ خِلالَ ذَاكَ رُغَاءُ (٦)

أَيُّهـا النَّاطِقُ المُرَقِّشُ عنَّـا عِنْدَ عمرٍو وهلْ لِذَاكَ انتِهَاءُ (٧)

= كانت إذا مات الرجل منهم عقلت عند قبره بإزاء رأسه حتى تموت . يريد أن صاحب الهم إذا أخذته الحيرة نجوت أنا على ناقتى ولم أقع فى حيرة .

(١) الأراقم : أحياء من تغلب وجشم وبكر وغيرهم من بنى وائل . شبهوا بالأراقم وهى الحيات . نعنى : نهتم . ونساء : أى أن هذا الخطب يسيئنا .

(٢) يغلون علينا : يبالغون فى ظلمنا ويتزيدون فى القول علينا ويحملونا ذنب غيرنا . إحفاء : مبالغة فى التقصى ونقض العهد .

(٣) يخلطون : يسوون بين ذى الذنب ومن لاذنب له . الخلى : البرىء مما يتهم به . والخلاء : البراءة .

(٤) يريد أنهم يلزموننا ذنب كل من أتى جرما من الناس جميعاً . موال لنا : ناصر لنا ، ذائد عنا .

(٥) ويروى : أجمعوا أمرهم عشاء . يريد انهم ائتمروا بنا ليلا ، ثم أصبحوا فى تعبئة لما أحكموه من إسراج وإلجام واستعداد للحرب

(٦) من مناد ، يعنى الذى ينادى صاحبه لليقظة والانتباه وإجابة صاحبه له . وبين ذلك صهيل الخيل ورغاء الإبل

(٧) المرقش : المزين القول بالباطل ليقبل منه الملك عمرو بن هند باطله ، وهل لهذا الباطل انتهاء ؟ ويروى : أيها الناطق المقرش عنا . والتقريش والإغراء : الإفساد

لاَ تَخَلْنَا عَــلى غَرَاتِكَ إِنَّا قَبْلَ مَا قَدْ وشَى بِنَا الأَعْدَاءُ (١)

فبَقِينَــا علَى الشَّناءَةِ تَنْمِيــنا جُــدُودٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ (٢)

مَلِكٌ مُقْسِطٌ وأَفْضَلُ مَنْ يَمْــشِي ومِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ (٣)

إِرمِيٌّ بِمِثْــلِهِ جَالَتِ الخَيْــلُ وَتَأْبَى لِخَصْمِها الإِجْلَاءُ (٤)

أَيُّمـا خُطَّـةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّو هَا إِلَيْنا تَسْعَى بِهـا الإِمْلَاءُ (٥)

إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَالصَّــاقِبُ فِيهِ الأَمْوَاتُ والأَحْيَاءُ (٦)

أَوْ سَكَتُّمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَغْــمَضَ عَيْنًا فى جَفْنِها الأَقْذَاءُ (٧)

أَو مَنَعْتُمْ ما تَسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّ ثْتِمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا العَــلاءُ (٨)

---

(١) لاتخلنا : لاتحسبنا أنا جازعون لإغرائك الملك بنا ، ولقد طالما وشى بنا الأعداء قبلك ، ولم نقم لذلك وزنا ، لأن الوشايات الضالة لاتدوم .

(٢) الشناءة : البغض . تنمينا : ترفعنا حظوظنا ، وتمنعنا عزتنا من أن نضام .

(٣) مقسط : عادل . ويروى : ملك باسط ، أى يبسط العدل .

(٤) إرمى : أى منسوب إلى إرم عاد ، إما فى الحلم وإما فى الجسم .

(٥) الخطة : الأمر يقع بين المتشاجرين كل يريد مهجا فيه . فأدوها : فابعثوا بما ترون من ذلك مع سفرائكم . والسمراء عند العرب : الساعون فى إصلاح ذات البين . والإملاء : الجماعات

(٦) ملحة : مكان . والصاقب : جبل كانت عندهما وقعة ودفنت بجوارهما الأموات ، والأحياء منا ومنكم يعرفون ذلك

(٧) يقول إن سكتم على ما كان بيننا وبينكم سكتنا ، ولم نثر الدفائن ، ونغمض أعيننا على مافيها منكم من أقذاء

(٨) يقول : فمن بلغكم أنه علا علينا فى قديم الدهر فتطمعون فى ذلك منا. فإذا منعتم ماتسألون فيما بيننا وبينكم فلأى شىء كان ذلك منكم مع ماتعرفون من عزنا وامتناعنا .

لا يُقِيمُ العَزِيزُ بِالبَلَدِ السَّـ ـهْلِ ولا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ (١)

لَيْسَ يُنْجِي مُوائِلًا مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وحَرَّةٌ رَجْلاءُ (٢)

فاتْرُكوا الطَّيْخَ والتَّعاشِي وَإِمَّا تَتَعَاشَوا فَفِي التَّعَاشِي الدَّاءُ (٣)

واذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجَازِ وما قُدِّ مَ فِيهِ العُهُودُ والكُفَلاءُ (٤)

حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعَدِّي وَهَلْ يَنْـ ـقُضُ ما في المَهَارِقِ والأَهْواءُ (٥)

واعْلَمُوا أَنَنَا وَإِيَّاكُمُ فِيـ ـمَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءُ (٦)

---

(١) يقول : كانت الغارات تمنع الأعزاء من المقام بالبلد السهل ، بل كانوا يتحصنون بالجبال ويمتنعون برءوس الشعاف . وكان الاذلاء لا ينفعهم الفرار من الموت المحيق بهم . يعنى أن الشر كان عاما شاملا لم يسلم منه العزيز ولا الذليل .

(٢) يوائل : يلجأ فزعا وهربا إلى رأس الجبل ، ولا ينجى الهارب التجاؤه إلى الحرة الرجلاء : الغليظة الشديدة .

(٣) الطيخ : الجهل والكلام القبيح والتكبر والتعظم . التعاشى : التعامى . تتعاشوا : تتعاموا وتتجاهلوا . ففى التعاشى الداء : ففيه الشر الذى يعمكم .

(٤) ذو المجاز : موضع بمنى كانت به سوق فى الجاهلية . يريد بالعهود والكفلاء أن عمرو بن هند كان قد أوقع الصلح بين بكر وتغلب وأخذ عليهم العهود على الوفاء والمواثيق على الإخاء كما أخذ منهم رهائن من كل حى ، وهم الكفلاء .

(٥) المهارق : الصحف ، واحدها مهرق . والمهرق : الصحيفة البيضاء . وقيل المهرق : ثوب حرير أبيض كان يسق بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . ويقال أيضاً إنه خرزة يصقلون بها الثياب ثم يكتب الناس فيها ، أى فى الثياب . وذلك قبل أن تصنع القراطيس بالعراق . وهى كلمة فارسية معربة . وهى بالفارسية (مهركرذ) وقيل مهره : وهو اسم للخرزة بالفارسية . يقول : وهل تستطيع الاهواء أن تنقض ماهو مكتوب فى الصحف ، من عهود ومواثيق ؟

(٦) يقول إننا اشترطنا أن تكون الجنايات علينا وعليكم سواء فلا تلزمنا دونكم

عَنَنًا بَاطِلًا وظُلْمًا كَمَا تَعْــتَرُ عَنْ حُجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَاءُ (١)

أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْــنَمَ غازِيهِـمُ ومِنَّــا الْجَزَاءُ ! (٢)

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى العِبَادِ كَمَا نِيــطَ بِجَوْزِ الْمُحَمَّلِ الْأَعْبَاءُ ؟ (٣)

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى حَنِيفَةَ أَو ما جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَزَّاءُ (٤)

---

(١) عننا باطلا : اعتراض باطل منكم إذ تدعون علينا الذنوب ظلما وعدوانا. تعتر : أى أنتم تعاملونا كما تعامل العتيرة التى تذبح فى رجب . وقد كان العرب فى الجاهلية يفعلون ذلك لآلهتهم .

(٢) قال الأصمعى : كانت كندة أخذت خراج الملك وهربت فوجه إليهم كتائبه فاستباحتهم وقتلت منهم . وقيل إن كندة كانت غزت تغلب وقتلت منهم وسبت . فهو يقول : أتلزمونا مافعلت كنداة بكم ؟

(٣) يقال إن بعض العباد كانوا أصابوا فى بنى تغلب دماء فلم يدرك بنو تغلب ثأرهم منهم . والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية ونزلوا بأرض الحيرة ــ وهم العباديون ــ ولهم شأن فى تاريخ العرب بالجزيرة .

(٤) يقول : هل علينا فى العهود والمواثيق التى أخذتموها علينا أن تأخذونا بما فعلت حنيفة وما اجترمت لصوص محارب وصعاليكها ؟ وذلك أن شمر بن عمرو الحنفى ، وهو أحد بنى سحيم - كان لما غزا المنذر بن ماء السماء غسان ، وكانت أم شمر بن عمرو غسانية - خرج يتوصل بجيش المنذر يريد اللحاق بالحارث بن جبلة الغسانى ، فلما دنا من الشام سار حتى لحق بالحارث بن جبلة وقال له : قد أظلك ما لا طاقة لك به ! فندب الحارث بن جبلة مائة رجل من أصحابه وجعلهم تحت لواء شمر الحنفى ثم قال له : سر حتى تلحق بالمنذر وتقول له : إنا معطوه ما يريد وينصرف عنا ، فإذا وجدتم منهم غرة فاحملوا عليهم . فخرج شمر يسير فى أصحابه حتى أتى معسكر المنذر فدخل عليه وأبلغه رسالة الحارث الغسانى ، فركن إلى قوله ، واستبشر أهل العسكر ، وغفلوا بعض الغفلة ، فحمل الحنفى عليه بالسيف فقتله ، وحمل أصحابه على من كان حول القبة وقتل منهم وفر سائرهم

أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ أَمْ لَيْـــسَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ (١)
ثُمَّ جَاؤُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلا زَهْرَاءُ (٢)
ثُمَّ فَاؤُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ وَلا يَبْرُدُ الغَلِيـــلَ المَاءُ (٣)
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْ مِ الحِيَارَيْنِ وَالبَـــلاءُ بَلاءُ (٤)

قالوا إن الملك عمرو بن هند أعجب بهذه الخطبة الشعرية المرتجلة؛ وعلى إثر إلقائها أمر بجز نواصى السبعين رجلا الذين بقوا فى يده من المائة غلام البكريين، ثم دفعهم إلى الحارث؛ وتراضى الفريقان.

ويقال إن الحارث بن حلزة ارتجل قصيدته هذه بين يدى الملك عمرو ابن هند وله من العمر مائة وخمس وثلاثون سنة. وهو يعد فى المعمرين؛ قيل إنه مات وله مائة وخمسون سنة فى نحو سنة ٥٨٠ م.

ومن شعره الحسن هذه الابيات ـ وكان النضر بن شميل يفضلها ويستجيدها ويقول فيها: لله دره ما أشعره ـ والأبيات هى:

مَنْ حَاكِمٌ بَيْنِي وبَيْنَ الدَّ هْرِ مَالَ عَلَيَّ عَمْـــدَا (٥)

---

(١) قيل إن قضاعة كانت غزت بنى تغلب وقتلوا منهم وسبوا. وهذا كله تعيير لبنى تغلب، وعمرو بن كلثوم يسمع ذلك كله.

(٢) الشامة: السوداء. والزهراء: البيضاء، يعنى أنهم لم يرجع إليهم شىء مما أخذ منهم.

(٣) فاءوا: رجعوا قاصمة الظهر: يريد بها الخيبة والفشل الذريع والغليل والغلة: شدة العطش.

(٤) يريد بالرب هنا: المنذر بن ماء السماء. وكان المنذر غزا أهل الحيارين ومعه بنو يشكر فأبلوا. والرب هنا يريد به السيد. والحياران: بلدان. ويروى: الحوارين.

(٥) يقول: من يحكم بينى وبين الدهر الجائر الذى تعمدنى بالأذى ومال على بما لا طاقة لى بحمله.

أَوْدَى بِسادَتِنَا وقــد ترَ كوا لَنَـا حَلَقَـا وجُرْدا (١)

خَيْلِي وفارِسُهَا وربَّ أَبِيْـــكَ كانَ أَعزَّ فقْـــدَا (٢)

فَلَوْ أنَّ مَا يَأْوِى إلىَّ أَصَابَ مِنْ ثَهْلانَ فِنْـــدا (٣)

أَو رَأْسَ رَهْوةَ أَوْ رُؤُوسَ شَمَـارِخٍ لَهدِدْنَ هَـــدَّا (٤)

فَضَعِى قِنَاعَكِ إنَّ رَيْبَ الدَّ هْر قَدْ أَفْنَى مَعَـــدَّا (٥)

فَلَـكمْ رَأَيْتُ مَعَـــاشِرًا قَدْ جَمَّعُـــوا مالا ووُلْدَا (٦)

وهُمُ زَبَابٌ حائِرٌ لا تسْمَعُ الآذَانُ رَعْـــدا (٧)

عِيشى بِجَــدٍّ لا يَضُرُّ كِ نَوْكُ مالا قَيْتِ جَـــدَّا (٨)

فالعَيْشُ خَـــيرٌ فى ظِـلا لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عاش كدَّا (٩)

---

(١) أودى بهم : ذهب بهم . الحلق : الدروع والمغافر . والجرد : الخيول .

(٢) فارسها : لعله يريد به أحد أولاده الذين فقدهم وكان فارساً شجاعا

(٣) مايأوى إلى : ماينزل بساحتى . ثهلان : جبل معروف . والفند : رأس الجبل

(٤) رأس رهوة ، ورءوس شمارخ : هى رءوس جبال وقممها

(٥) يقول لها : ضعى قناعك فقدذهب من كان يستحيى منه ، وأفنى الدهر قبائل معد وكان خيار الخلق .

(٦) يقول : كم من أناس رأيتهم قد جمعوا الأموال وأنجبوا الأولاد ولم يقهم ذلك من سطوة الدهر

(٧) الزباب ، جمع زبابة : وهى فأرة صماء حتى لا تكاد تسمع الرعد

(٨) يقول : عيشى بجد يعنى بحظ ، ولا يضرك النوك ، وهو الجهل ، ما كان حظك قائما .

(٩) يقول : إن العيش الهنىء الناعم فى ظلال الجهل ، خير من العيش الشاق فى ظلال العقل

أعقاب حرب بكر وتغلب

رأينا بعد أن انتهينا من شأن حرب بكر وتغلب أن ننظر فيما أعقبها من الأحداث ، ونتحدث عن عمرو بن كلثوم لماله من شأن فى هذه العواقب لا سيما أنه كان ابن بنت المهلهل ، وأن نتجوز فى شأنه قليلا ونروى قصيدته المعلقة جامعين فيها بين مختلف الروايات .

ولمولد عمرو قصة طريفة لا بأس من إيرادها والتعقيب عليها بما تحدث به الرواة فى شأنه ومنزلته من الشعراء .

فقد زعموا أن مهلهلا كان قد تزوج هند بنت عتيبة ، فولدت له بنتا ، فغمه ذلك ، فقال لأمها : غيبيها عنى أو اقتليها ؟ . . . فلما نام هتف به هاتف يقول :

كَمْ مِنْ فَتًى مُؤَمَّلِ وَسَيِّدٍ شَمَرْدَلِ
وَعَدَدٍ لا يُجْهَلِ فى بَطْنِ بِنْتِ مُهَلْهِلِ

فلما استيقظ قال لهند : أين ابنتى ؟ فقالت : قتلتها ! فقال : لا وإلٰه ربيعة

ومن هنا أخذ أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى قوله يهجو شيبة بن الوليد أحد القواد فى عهد المهدى العباسى ويسخر منه ، فقال :

عش بجد ولا يضرك نوك إنما عيش من ترى بالجدود
عش بجد وكن هبنقة القيسى نوكا أو شيبة بن الوليد
رب ذى إربة مقل من المال وذى عنجهية مجدود
شيب ياشيب ياهنى بنى القعقاع ما أنت بالحليم الرشيد
لاولافيك خصلة من خصال الخير أحرزتها بحلم وجود
غير ما إنك المجيد لتحبير غناء وضرب دف وعود
فعلى ذا وذاك يحتمل الدهر مجيداً به وغير مجيد

وكان أول من حلف بذلك - فجاءته بها . فسماها « ليلى » وقيل « أسماء » وعنى بتربيتها وتنشئتها حتى كبرت فتزوجها كلثوم بن مالك . فزعموا أنه لما دخل بها وحملت منه أتاها آت فى المنام فقال لها :

يَا لَكِ لَيْلَى مِنْ وَلَدْ   يَقْدُمُ إِقْدَامَ الْأَسَدْ
مِنْ جُشَمٍ فى العَدَد   أَقُولُ قَوْلًا لا فَنَدْ

فلما تمت أشهر حملها ، ولدت عمرو بن كلثوم ، فجاءها الهاتف وهى نائمة فقال :

أَنَا زَعِيمٌ لَكِ أُمَّ عَمْرو   بِمَاجِدِ الْجَدِّ كَرِيمِ النَّجْرِ
أَشْجَعَ مِنْ ذى لِبَدٍ هِزَبْرِ   وَقَّاصَ أَقْرَانٍ شَدِيدِ الأَسْرِ
يَسُودُهُمْ فى خَمْسَةٍ وَعَشْرِ

فكان كما قال - فيما زعموا - ساد عمرو بن كلثوم قومه بنى تغلب ولم يتجاوز الخامسة عشر من عمره ولا جدال فى أنه كان سيد بنى تغلب وقائدها فى حروبها . وكان مع هذا فارسا كميا ، وشاعرا فى مقدمة شعراء زمنه . وقد أطنب الرواة فى شعره ، فقالوا:هو من قدماء الشعراء وأعزهم نفسا، وأكثرهم امتناعا وأجودهم واحدة . وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : إنه لم يقل غير واحدته ، ولولا أنه افتخر فيها بذكر مآثر قومه ما قالها . ويقول عيسى بن عمرو : لله در عمرو بن كلثوم ، أى حلس شعر، ووعاء علم ! لو أنه رغب فيما رغب فيه غيره من الشعراء ، وإن واحدته لأجود سبعهم ، ولو وضعت أشعار العرب فى كفة و قصيدة عمرو فى كفة لرجحت بأكثرها . ويقال إن قصيدته المعلقة كانت تزيد على ألف بيت ذهب وبقى فى أيدى الناس أقلها مما حفظوه وتناقلوه .

ومما لا ريب فيه أن عمرو بن كلثوم قد أنشد من قصيدته بين يدى عمرو بن هند الملك أبياتاً تناسب الحال التى اقتضتها . ثم أكملها بعد ذلك مضمناً إياها أحداثاً ووقائع جرت بعد حادث عمرو بن هند ويقال إنه قام بإنشادها فى يوم من أيام سوق عكاظ : وكان عمرو بن هند . حينما ولى الملك حوالى سنة ٥٦٢ م أراد أن يصلح ما أفسدته حرب البسوس بين بكر وتغلب . غير أن بعض الحوادث استثارت عمرو بن كلثوم فضرب رأس عمرو بن هند بالسيف فى مجلسه فقتله .

وتروى له أشعار كثيرة فى حوادث شتى .

أما قصيدته المعلقة فها هو نصها الذى نقلناه عن مختلف الروايات ؛ فهى هنا أصح منها فى أى مكان آخر :

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا ... ولا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينا (١)

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فيها ... إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَها سَخِينا (٢)

تَجُورُ بِذِى اللُّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ ... إِذَا مَا ذاقَها حَتى يَلِينَا (٣)

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ ... عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيها مُهِينا (٤)

---

(١) ألا هبى : ألا أفيقى من نومك . الصحن : القدح العظيم . أصبحينا : قدمى لنا الصبوح ، وهو شراب الصباح . الأندرين : قرية من قرى الشام كانت معروفة بجودة الخمر . قال ياقوت : وهى الآن خراب

(٢) مشعشعة : ممزوجة، فهى رقيقة . الحص : الورس ، أو هو الزعفران، شبه صفرتها به . سخينا : جدنا بما فى أيدينا ؛ من السخاء

(٣) تجور : تعدل بذى الحاجة عن مراده حتى يلين لأصحابه ويجالسهم ، مضربا عن أمانيه التى كانت تشغله

(٤) اللحز : الضيق البخيل السيئ الخلق اللئيم . إذا أمرت : أى أديرت. يعنى أن الخمر إذا تعاطاها البخيل جاد بماله وأهانه فى سبيلها

كأَنَّ الشُّهْبَ فى الآذانِ مِنْهَا إذَا قَرَعُوا بِحَافَتِهَا الجَبِينَا [١]

صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عمرو وكانَ الكَأْسُ مُجْرَاهَا اليَمِينَا [٢]

ومَا شَرُّ الثَّلاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الذِى لَا تَصْبَحِينَا [٣]

وكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكَّ وأُخْرَى فى دِمَشْقَ وقَاصِرِينَا [٤]

إذَا صَمَدَتْ حُمَيَّاهَا أَرِيبًا مِنَ الفِتْيَانِ خِلْتَ بِهِ جُنُونَا [٥]

فَمَا بَرِحَتْ مَجَالَ الشَّرْبِ حَتَّى تَغَالُوهَا وقَالُوا قَدْ رَوِينَا [٦]

وأَنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنَا المَنَايَا مُقَدَّرَةً لنا وَمُقَدَّرِينَا [٧]

وإنَّ غدًا وإنَّ اليَوْمَ رَهْنٌ وبَعْدَ غَدٍ بِمَا لا تَعْلَمِينَا [٨]

قِفِى قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُخَبِّرْكِ اليَقِينَ وتُخْبِرِينَا [٩]

بِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ ضَرْبًا وطَعْنًا أَقَرَّ بِهِ مَوَالِيكِ العُيُونَا [١٠]

---

(١) يعنى كأن آذان الشرب حينما يدب دبيبها فيهم شهب لحمرتها ، وذلك إذا قرعوا جباههم بآنيتها

(٢) صبنت : صرفت الكأس فأجريتها على اليسار وكان مجراها على اليمين

(٣) يقول : لست شر أصحابى الثلاثة الذين تسقينهم فكيف أخرتنى عنهم وتركت سقى الصبوح

(٤) بعلبك ودمشق وقاصرين : بلاد معروفة بالشام

(٥) صمدت : قصدت . حمياها : سورتها . الأريب : العاقل المهذب

(٦) الشرب : جمع شارب . والمجال : موضع المجاولة . تغالوها : تنافسوا فيها

(٧) المنايا : جمع المنية . يقول : خذ حظك منها قبل أن تدركك المقادير فتموت

(٨) ونحن رهن بما لانعلم مما هو مقدر لنا شيئا

(٩) الظعينة : المرأة فى الهودج

(١٠) بيوم كريهة : يريد بيوم وقعة تستلب فيها النفوس ، فهى كريهة عليها

قِفِي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْمًا لِوَشْكِ البَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمِينَا (١)

أَفِي لَيْلَى يُعَاتِبُنِي أَبُوهَا وإِخْوَتُهَا وَهُمْ لِي ظَالِمُونَا (٢)

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكَاشِحِينَا (٣)

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ تَرَبَّعَتِ الأَجَارِعَ والمُتُونَا (٤)

وثَدْيًا مِثْلَ حُقِّ العَاجِ رَخْصًا حَصَانًا مِنْ أَكُفِّ اللَّامِسِينَا (٥)

ونَحْرًا مِثْلَ ضَوْءِ البَدْرِ وَافَى بِإِتْمَامٍ أُنَاسًا مُدْجِنِينَا (٦)

ومَتْنَيْ لَدْنَةٍ طَالَتْ ولَانَتْ رَوَادِفُهَا تَنُوءُ بِمَا يَلِينَا (٧)

ومَأْكَمَةً يَضِيقُ البَابُ عَنْهَا وكَشْحًا قَدْ جُنِنْتُ بِهَا جُنُونَا (٨)

وسَارِيَتَيْ بِلَنْطٍ أَوْ رُخَامٍ يَرِنُّ خَشَاشُ حَلْيِهِمَا رَنِينَا (٩)

---

(١) الصرم : القطيعة ، وشدة البين : قرب الفراق

(٢) يقول : أمن أجل ليلى يعاتبنى أبوها وإخوتها ! والحق أنهم لى ظالمون

(٣) على خلاء : على غرة منها . الكاشح : العدو

(٤) العيطل : الطويل العنق ، يريد بها الناقة فهو يشبه ذراعى ليلى فى طولها بعنق الناقة . والأدماء : البيضاء ، تربعت : رعت الربيع . الأجارع : جمع أجرع : وهو الرمل المنبسط . والمتون : جمع متن : وهو ما ارتفع من الأرض

(٥) أى وتريك ثديا كحق العاج فى بياضه . رخصا : لينا . الحصان .العفيفة، وهى التى تحصنت من الريبة ، ويريد باللامسين : أهل الريب

(٦) النحر : أعلى الصدر . مدجنينا : جلوس فى الظلمة ، فهو يضىء عليهم كالبدر

(٧) اللدنة : اللينة . روادفها : أعجازها . وتنوء : تنهض . المتن : الصلب ن الإنسان

(٨) المأكمة : رأس الورك ، ويريد بها العجيزة . والكشح : الخصر

(٩) السارية : الاسطوانة أى العمود بلنط . عاج أو رخام ،يعنى ساقين كأنهما =

تَذَكَّرْتُ الصِّبَا واشْتَقْتُ لَمَّا ... رَأَيْتُ حُمُولَهَا أُصُلًا حُدِينا (١)

وأَعْرَضَتِ اليَمَامَةِ واشْمَخَرَّتْ ... كأَسْيَافٍ بِأَيْدِى مُصْلِتِينا (٢)

فَما وجَدَتْ كوَجْدِى أُمُّ سَقْبٍ ... أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الحَنِينَا (٣)

ولا شَمْطاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا ... لَها مِنْ تِسْعَةٍ إلَّا جَنِينا (٤)

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنا ... وأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينا (٥)

بِأَنَّا نورِدُ الرَّاياتِ بِيضًا ... ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا (٦)

وأَنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَفْشُو ... عَلَيْكَ ويُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينا (٧)

= صنعا من عاج أو رخام لتناسقهما فى الضخم والبياض ، وقد حليا بالخلاخيل ذات الرنين متى مشت

(١) يقول : تذكرت العشق والهوى والتصابى واشتقت إلى من أحب حينما رأيت حمولها قد سيقت بإبلها عشيا وأخذ حاديها يتغنى أمامها

(٢) أعرضت : ظهرت. اليمامة : يريد قرى اليمامة . اشمخرت : ارتفعت فى أعيننا كأنها السيوف المجردة بأيدى رجال قد سلوها من أغمادها ، فلها بريق ولمعان

(٣) أم السقب : الناقة . وجدت : جزعت ورددت صوتها فى حزن على فقدان سقبها أى ولدها . يقول : إن حزن هذه الناقة دون حزنه وتوجعه

(٤) الشمطاء : المرأة قد ابيض شعرها . يقول : لم يبلغ حزن هذه المرأة الشمطاء التى فقدت تسعة بنين لها كلهم ماتوا ودفنوا ، أى أجنهم القبر

(٥) أبو هند : هو عمرو بن هند الملك . يقول له : لا تعجل علينا بحكمك قبل أن تعرف من أمرنا وشرفنا ما تجهل فعندنا من ذلك الخبر اليقين

(٦) وهذا الخبر اليقين هو أننا نورد الرايات فى الحروب بيضا ، ونرجعها حمرا قد رويت من دماء الأبطال

(٧) الضغن : الحقد . يفشو : يكثر وينتشر . الداء الدفين : الكامن فى النفس والمنطوية عليه الأضلاع

وأَيَّامٍ لنَـــا غُرّ طِوَالٍ عَصَيْنا المَلِكَ فِيهـــا أَنْ نَدِينا(١)
وسَـــيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِى المُحْجَرِينا(٢)
تَرَكْنَا الخيْلَ عَاكِفَةً عَليْهِ مُقَـــلَّدَةً أَعِنَّتَهـــا صُفُونَا(٣)
وأَنْزَلنا البُيُوتَ بِذِى طُلوحٍ إلى الشَّامَاتِ تَنْفِى المُوعِدِينا(٤)
وقَدْ هَرَّت كِلابُ الحَىِّ مِنَّـــا وشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينـــا(٥)
ونَحْنُ إذَا عِمَادُ الحَىِّ خَرَّتْ عَلى الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينا(٦)
نُدَافِعُ عَنْهُمُ الْأَعْدَاءَ قُدْمًا ونَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّـــلونا(٧)
ورِثْنَا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ نُطَاعِنُ دونَهُ حَتَّى يَبِينا(٨)

---

(١) الأيام هنا يريد بها الوقائع . غر : مشهورة . عصينا الملك : أبينا على الملك أن ندين له أو أن نخضع

(٢) يقول : ورب سيد مطاع متوج يحمى المحجرين : أى حام للملجئين .

(٣) قتلناه وحبسنا خيلنا على مصرعه . الصفون : جمع صافن وهو الفرس يقوم على ثلاث قوائم ويثنى سنبك الرابع

(٤) يقول : وأنزلنا بيوتنا بهذه الأماكن المسماة بذى طلوح والشامات ، ونفينا منها أعداءنا .

(٥) يقول : ولما لبسنا أسلحتنا أنكرتنا الكلاب ، وكان لها فى وجوهنا هرير، وكسرنا شوكة من يقرب منا

(٦) الأحفاض : أمتعة البيت . والعماد : جمع عمود . أى أنهم كانوا يرحلون بأمتعتهم للنجعة وطلب الكلأ . ومع هذا فهم يمنعون من يجاورهم ويدافعون عنه

(٧) يعنى أنهم كانوا يدافعون عن جيرانهم ويحملون عنهم أثقال الحياة .

(٨) يقول : قد علمت قبائل معد أننا ورثنا الشرف عن آبائنا الأمجاد ، فنحن نطاعن دونه حتى يظهر لكل ذى عينين

نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا ... وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا

بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّىِّ لُدْنٍ ... ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيْضٍ يَعْتَلِينَا (١)

مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا ... يَكُونُوا فى اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا (٢)

يكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِىَّ نَجْدٍ ... ولُهْوَتُها قُضَاعَةَ أَجْمَعِينَا (٣)

تَخَالُ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ فِيهَا ... وُسُوقًا بِالأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٤)

نَجُذُّ رُءُوسَهُمْ مِنْ غَيْرِ وَتْرٍ ... وَلَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٥)

كَأَنَّ سُيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ ... مَخَارِيقٌ بِأَيْدِى لَاعِبِينَا (٦)

نَشُقُّ بِهَا رُءُوسَ القَوْمِ شَقًّا ... وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا (٧)

---

(١) يريد بالسمر : الرماح . اللدن : اللينة . ويريد بالبيض : السيوف . والخطية : الرماح المنسوبة إلى الخط ، والخط مرفأ البحرين وإليه كانت الرماح ترد من الهند ومنه تحمل إلى بلاد العرب

(٢) يقول : متى ندير رحى الحرب على قوم من أعدائنا يكونوا لهذه الرحى طحينا

(٣) الثفال : الجلدة التى توضع تحت الرحى ليقع عليها ماتطحنه من الدقيق . واللهوة : القبضة من الحب المراد طحنه تلقى فى فم الرحى

(٤) الأماعز : الأماكن الصلبة من الأرض الكثيرة الحجارة والحصى . والوسوق : الحمول ، جمع وسق

(٥) نجذ : نقطع . من غير وتر : دون أن يكون لنا ثأر لديهم . ومع ذلك فهم لايدرون كيف يتقونا لأن مادهمناهم به أفقدهم القدرة على دفعه

(٧) المخاريق جمع مخراق : وهو مايلعب به الصبيان من الخرق المفتولة ، فهم يتبادلون الضرب بها بسرعة وخفة

(٨) نخليها الرقاب : نجعلها فى الأعناق كالمخالى ، أو نخليها نجذها كما نجذ الحشيش من الأرض ، وذلك لحدة السيوف ومضائها

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ … خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانٍ أَوْ طُلِينَا (١)
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا … فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتُمُونَا (٢)
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ … قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا (٣)
نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ … وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَا حَمَّلُونَا (٤)
إِذَا مَا عَيَّ بِالإِسْنَافِ حَيٌّ … مِنَ الهَوْلِ المُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا (٥)
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتِ حَدٍّ … مُحَافَظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَا (٦)
بِفِتْيَانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْدًا … وَشِيبٍ فِى الحُرُوبِ مُجَرَّبِينَا (٧)
يُدَهْدِهْنَ الرُّءُوسَ كَمَا تُدَهْدِى … حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الكُرِينَا (٨)

---

(١) الأرجوان : شجر له نوار أحمر أحسن ما يكون قالوا إن الكلمة فارسية معرب (أرغوان)

(٢) أعجلنا القرى : بادرنا إلى إكرامكم لئلا تمدوا ألسنتكم علينا بالشتيمة. وهذا من باب السخرية بهم والاستهزاء

(٣) المرداة : الصخرة التى تكسر بها الحجارة أو التى يرمى بها . والمراد بها الحرب التى أهلكتهم

(٤) يقول . نعم عشائرنا بخيرنا ونوالنا ونعف عن أموالهم ونحمل عنهم ما أثقلهم من مؤن وحقوق

(٥) الإسناف : الإقدام . يقول : إذا عجز عن الإقدام قوم مخافة الأهوال المنتظر وقوعها

(٦) يقول : نصبنا كتائبنا مثل هذا الجبل المسمى رهوة . محافظة على أحسابنا وكنا السابقين إلى الحفاظ

(٧) يقول : نسبق ونغلب بشبابنا الذين يعدون القتل فى الحروب مجداً ، وبشيبنا المجربين فى الوقائع

(٨) يدهدهن الرؤوس : يدحرجن الرؤوس ، كما يدحرج الغلمان الكرة بالأرض البطحاء

حُدَيَّا النَّـــاسِ كُلِّهِمِ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا (١)

فَأَمَّا يَوْمَ خَشْيَتِنَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصَبًا ثُبِينا (٢)

وأَمَّا يَوْمَ لا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَنُمْعِنُ غارةً مُتَلَبِّبِينا (٣)

بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ والْحُزُونَا (٤)

أَلا لا يَعْـــلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا تَضَعْضَعْنا وأَنَّا قَدْ وَنِينَا (٥)

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينا (٦)

بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وتَزْدرِينا (٧)

بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيها قَطِينَا (٨)

بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ تَرَى أَنَّا نَكُونُ الأَرْذَلِينا (٩)

تُهَدِّدُنا وتُوعِدُنا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِينا (١٠)

---

(١) حديا الناس : أى نتحدى الناس إلى المقارعة والمبارزة

(٢) ثبين : جماعات وعصب مؤتلفة

(٣) نمعن : نسرع فى الغارة عليهم . التلبب : التحزم والاستعداد

(٤) الرأس : السيد ، وهو يريد به هنا الجماعة

(٥) ونينا : تهاونا وتضعضعنا وضعفنا عن مباشرة النوازل

(٦) يريد بالجهل هنا الاعتداء والمبادرة بالشر

(٧) الوشاة هنا : يريد بهم الطاعنين بظهر الغيب .

(٨) القيل : الرئيس الذى يلى الملك . القطين : العبيد الأذلاء

(٩) يريد بالأرذلين . المطرودين المنبوذين

(١٠) المقتوون : الخدم

فإنَّ قَنَاتَنا يا عَمْرو أَعْيَتْ عَلى الأعداءِ قَبْلَكَ أنْ تَلِينا (١)

إذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِها اشْمأَزَّتْ وولَّتْهُم عَشَوْزَنَةً زَبُونا (٢)

عَشَوْزَنَةً إذا انْقَلَبتْ أَرَنَّتْ تَشُجُّ قَفَا المُثَقِّفِ والجَبِينا (٣)

فَهَلْ حُدِّثتَ عَنْ جُشَمِ بنِ بَكْرٍ بِنَقْصٍ فى خُطُوبِ الاوَّلِينا (٤)

ورِثْنا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لنَا حُصُونَ المَجْدِ دِينا (٥)

ورِثْتُ مُهَلْهِلًا والخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرِ الذَّاخِرِينا (٦)

وعَتَّابًا وكُلْثُومًا جَمِيعًا بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الاكْرَمِينا (٧)

وذَا البُرَةِ الذِى حُدِّثْتَ عَنْه بِهِ نُحْمَى ونَحْمِى المُحْجَرِينا (٨)

---

(١) يقول قد جرب الأعداء قبلك أن يلينوا من قناتنا فأعيت عليهم فلا تحاول ماحاولوا فيكون نصيبك الفشل

(٢) الثقاف : الخشبة التى تقوم بها الرماح . اشمأزت : ارتفعت . والعشوزنة : الصلبة . الزبون : الدفوع

(٣) أرنت : كان لها رنين . المثقف : مقوم الرماح

(٤) يقول : هل أتاك نبأ بأن قبائل جشم بن بكر حدث لها نقص فى خطوبها التى باشرتها فى العهود الماضية ؟

(٥) هذا علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن غنم ابن جشم بن تغلب بن وائل وهو الذى حين أصابتهم المجاعة فى أرضهم وديارهم ، رحل بهم وأنزلهم الجزيرة بالعراق بعد وقائع وحروب ؛ فملكوها ونعموا بخيراتها ثم أورثها أبناءه حتى صارت من حق بنى تغلب

(٦) ورث مهلهلا لأنه كان جده لأمه ، وورث زهيراً لأنه كان جده لأبيه

(٧) عتاب جده وكلثوم أبوه ، لأنه عمرو بن كلثوم بن عتاب

(٨) ذو البرة : هو كعب بن زهير بن تيم . المحجرون : الفقراء اللاجئون .

ومِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِى كُلَيْبٌ فَأَىُّ المَجْدِ إلا قَدْ وَلِينَا (١)

مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ نَجُذَّ الحَبْلَ أو نَقِص القَرِينَا (٢)

وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا وأَوْفاهُمْ إذا عَقَدُوا يَمِينَا (٣)

ونَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ فى خَزَازَى رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا (٤)

ونَحْنُ الحَابِسُونَ بِذِى أَرَاطَى نَسَفُّ الجِلَّةَ الخُورَ الدَّرِينَا (٥)

ونَحْنُ الحَاكِمُونَ إذَا أُطِعْنَا ونَحْنُ العَازِمُونَ إذَا عُصِينَا (٦)

ونَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا ونَحْنُ الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا (٧)

---

(١) يريد بكليب بن وائل سيد بنى تغلب الذى بسببه شبت حرب البسوس . الساعى ، يعنى إلى المجد والعلاء

(٢) القرينة الناقة التى تقرن إلى أختها ، والمراد متى نقرن إلى غيرنا فى تسابق إلى المجد فى حرب أو سلم وقصنا عنق من يقرن إلينا وتفوقنا عليه

(٣) الذمار : هو مايحق على الإنسان أن يحميه ويدرأ عنه العوادى حتى يصير منيعاً

(٤) يريد يوم أوقدت نار الحرب فى هذا الموضع المسمى خزازى . وكانت فيه وقعة بين ربيعة واليمن ، وكانت قضاعة فيه أحلافا لربيعة . الرافد : العظيم المعونة

(٥) ذوأراطى : موضع كانت فيه وقعة من وقائعهم . ونسف الجلة : نطعم الإبل المسنة الجليلة ، الدرين وهو ماتهشم من الشجر . والخور : الغزيرات الألبان

(٦) الحاكمون يريد بهم المانعين لمن أطاعهم . والعازمون الثابتون على قتال من عصاهم حتى يردوهم إلى الطاعة

(٧) يقول : إذا كرهنا شيئاً كرهناه ، وإذا رضينا عن شىء أخذناه ، ولا يقوى أحد على إجبارنا على مالا نرضى أو قسرنا على ترك مانريد

وكنّا الأيمنين إذا التقينا ... وكانَ الأيسرينَ بنو أبينا (١)

فصالوا صولةً فيمنْ يليهمْ ... وصُلْنا صولةً فيمنْ يلينا (٢)

فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا ... وأُبْنا بالملوكِ مُصَفَّدينا (٣)

إليكمْ يا بَني بكرٍ إليكمْ ... ألمَّا تعلموا منَّا اليقينا (٤)

ألمَّا تعلموا منَّا ومنكمْ ... كتائبَ يَطَّعِنَّ ويَرْتمينا (٥)

نقودُ الخيلَ داميةً كُلاها ... إلى الأعداءِ لاحقةً بُطونا (٦)

علينا البيضُ واليَلَبُ اليماني ... وأسيافٌ يقُمْنَ وينحنينا (٧)

علينا كلُّ سابغةٍ دلاصٍ ... ترى تحتَ النِّجادِ لها غضونا (٨)

---

(١) يريد أنهم كانوا حماة الميمنة فى لقاء الأعداء وكان إخوانهم حماة الميسرة يشير إلى غنائهم فى الحرب التى وقعت بين نزار واليمن عند مقتل كليب وائل لبيد بن عنق الغسانى عامل الغساسنة على تغلب حين لطم أخت كليب وكانت تحته ، أى زوجته

(٢) صالوا فيهم : حملوا عليهم

(٣) آب حلفاؤنا بما نهبوا وسلبوا ، وأبنا أى رجعنا إلى ديارنا وفى أصفادنا الملوك والرؤوس

(٤) بنو بكر هم خصومهم وأبناء عمومتهم

(٥) يطعن : يتطاعن : والكتائب : الفرق المكتبة أى المجمعة ، ويرتمين ويترامون على الأعداء ليحصدوهم

(٦) الكلى جمع كلية . لاحقة بطوننا فى الجهد والبلاء وفوات أوقات الأكل

(٨) البيض : الخوذ . اليلب : هى الترسة كانت تعمل فى بلاد اليمن من جلود الإبل لايكاد يعمل فيها شىء . وقد تتخذ فوق الرءوس ، وقد تلبس تحت الدروع . والترسة كل مايترس به للوقاية .

(٨) السابغة الدلاص : الدرع التامة اللينة . الغضون : التكسر . النجاد : حمائل السيف .

إذَا وُضِعَتْ عَلى الأبْطالِ يَوْمًا رَأَيْتَ لها جُلودَ القَوْمِ جُونَا (١)

كأنَّ مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُها الرِّياحُ إذا جَرِينا (٢)

وتَحمِلنا غَداةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ عُرِفْنَ لنَا نَقَائِدَ وافْتُلِينا (٣)

ورَدْنَ دوَارِعًا وَخَرجْنَ شُعْثًا كأمثالِ الرَّصائِعِ قَدْ بَلِينا (٤)

وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آباءِ صِدْقٍ ونورِثُهـا إذَا مُتْنَا بَنِينا (٥)

وقَدْ عَلِمِ القَبائِلُ غَيْرَ فَخْرٍ إذا قُبَبٌ بأَبْطَحِها بُنِينَا (٦)

بِأنَّا العَاصِمُونَ إذا أُطِعْنَا وأنَّا العَارِمُونَ إذا عُصِينا (٧)

وأنَّا المُنْعِمُونَ إذا قَدِرْنَا وأنَّا المُهلِكُونَ إذا أُتِينا (٨)

---

(١) يريد بالجون السواد .

(٢) المتون : الأوساط . الغدر جمع غدير : الماء . والدروع تشبه فى صفائها بالماء فى الغدران

(٣) الجرد : الخيل . وإنما سميت جرداً لقصر شعرها وهذا يدل على الجودة . النقائد جمع النقيدة ، وهى المختارة

(٤) الدوارع : المدرعات ، ودروع الخيل : تجافيفها . والرصائع :عقد الأعنة على قذل الخيل

(٥) يقول : ورثنا هذه الخيل عن آبائنا الكرام ونورثها أبناءنا إذا نحن متنا

(٦) ويروى : وقد علم القبائل من معد

(٧) يريد أنهم يعصمون من يلجأ إليهم ويدخل فى كنفهم من العدوان عليه . ويريد بالعارمين المعتدين بشدة

(٨) وأنهم ينعمون بالخيرات على كل من يقصدهم متى قدروا . وأنهم يهلكون من أتاهم يريد بهم الشر

وأَنَّا الحاكِمُونَ بِما أَرَدنَا وأَنَّا النازِلونَ بحَيْث شِينَا [1]
وأَنَّا التَارِكُون لِمَا سَخِطنَا وأَنَّا الآخِذُونَ لِمَا هَوِينَا [2]
وأَنَّا الطَّالِبُونَ إذا نَقِمْنَا وأَنَّا الضَارِبُونَ إذا ابْتلِينَا [3]
وأَنَّا النَّازِلونَ بِكلِّ ثغرٍ يَخَافُ النَّازِلونَ بهِ المَنُونَا [4]
وأَنَّا المانِعُون لِما يَلِينَا إذا مَا البِيضُ زَايلتِ الجُفُونَا [5]
وأَنَّا الشَّارِبون الماءَ صَفْوًا ويَشْرَبُ غَيْرُنَا كدرًا وطِينَا [6]
أَلا سَائِلْ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا ودعمِيًّا فكَيْفَ وَجَدْتُمُونا [7]
عَلى آثَارِنَا بِيضٌ حِسَانٌ نُحاذِرُ أَنْ تُفَارِقَ أَوْتَهُونا [8]
ظَعَائِنُ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكرٍ خَلطْنَ بِمَيْسِمٍ حَسَبًا ودينَا [9]

---

(١) يريد أن أحكامهم فى أيديهم لا يمليها عليهم أحد ، وأنهم ينزلون فى الأرض حيث شاؤا

(٢) يريد أنهم يتركون مالا يريدون ، ويأخذون ما يبتغون

(٣) وأنهم إذا نقموا على أحد طلبوه حتى يحلوا به نقمتهم ، وأنهم يضربون من قصدهم ببلاء

(٤) الثغر هنا المكان الذى يخشى أن يطرقه العدو ، والمنون : الموت .

(٥) وأنهم يحمون كل ما يليهم من البلاد والأحياء . البيض يريد بها السيوف . وجفونها جفرها

(٦) وأن شربهم صافى الماء وشرب أعدائهم الماء الكدر والطين

(٧) بنو الطماح : حى فى نمارة فى بنى وائل . ودعمى : حى من جديلة من إياد . ويروى : ألا أبلغ

(٨) يريد بالبيض الحسان : نساءهم اللائى خلفوهن وراءهم ، فهم يقاتلون عنهم حماية لهن من الأعداء

(٩) الميسم : الحسن . والحسب : ما يعد فى مكارم الإنسان ومفاخر أسلافه .

أَخذْنَ عَلى بُعولتِهِنَّ عَهْدًا ... إذا لَاقَوْا فوارِسَ مُعْلِمِينَا (١)

لَيَسْتَلِبُنَّ أَبدانًا وَبيْضًا ... وأَسْرَى فى الحَدِيدِ مُقَرَّنِينا (٢)

إذَا مَا رُحْنَ يَمْشِينَ الهُوَيْنَا ... كما اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينَا (٣)

يَقُتْنَ جِيادَنَا وَيقُلْنَ لَسْتُمْ ... بُعولتَنا إذَا لَمْ تَمْنَعُونا (٤)

إذَا لَمْ نَحْمِهِن فَلَا بَقِينا ... بِخَيْرٍ بَعْدَهُنَّ ولا حَيِينَا (٥)

وَمَا مَنَعَ الظَّعائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ ... تُرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كالقُلِينا (٦)

كأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلاتٌ ... ولَدْنا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا (٧)

تَرانا بَارِزِينَ وكلُّ حَيٍّ ... قَدِ اتَّخَذوا مَخَافَتَنا قَرِينَا (٨)

إذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاس خَسْفًا ... أَبَيْنا أَنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فِينا (٩)

---

(١) عاهدن بعولتهن على لقاء الفرسان

(٢) أن يغصبوهم على خيلهم وبيضهم ويكبلوا أسراهم فى الحديد ويأتوا بهم مقرنين فى الأصفاد .

(٣) يصف نساءهم برقة المشى لكثرة لحومهن وثقل أعجازهن ، فهن يمشين فى تبختر مشى السكارى .

(٤) وأنهن يقمن على إطعام خيولنا وعلف جيادنا ، ويقلن : لستم بأزواجنا إذا لم تمنعونا من الأعداء .

(٥) ويروى : إذا لم نحمهن فلا تركنا لشىء بعدهن ... ...

(٦) القلون جمع قلة : الخشبة التى يضربها الصبيان بالمقلاء وهو أطول من المقلة

(٧) يقول كأنا حال استلال السيوف من أغمادها نحمى الناس جميعاً ؛ كأنا ولدناهم فحمايتهم واجبة علينا .

(٨) يقول : ترانا بارزين فى الصحارى التى لاوقاية بها لثقتنا بنجدتنا وقوة شوكتنا ، وغيرنا يستجير ويعتصم خوف سطوتنا

(٩) إذا الملك سام الناس ظلما وأذلهم أبينا ذلك عليه وامتنعنا من الذل والامتهان

لَنَا الدُّنْيَا ومَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا ... ونَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينا [(١)]

مَلأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ... كَذَاكَ البَحْرَ نَمْلَؤُهُ سَفِينا [(٢)]

نُسَمَّى ظَالِمِينَ ومَا ظَلَمْنَا ... ولَكِنَّا سَنَبْدَأُ ظَالِمِينَا [(٣)]

تَنَادَى المُصْعَبَانِ وآلِ بَكْرٍ ... ونَادُوا يَالَ كِنْدَةَ أَجْمَعِينا

فَإِنْ نَغْلِبْ فَغَلَّابُونَ قِدْمًا ... وإِنْ نُغْلَبْ فَغَيْرُ مُغَلَّبِينا [(٤)]

إِذَا بَلَغَ الفِطَامُ لنَا وَلِيدٌ ... تَخِرُّ لهُ الجَبَابِرَ سَاجِدِينا

هذا ما أمكن العثور عليه من معلقة ابن كلثوم . والذى رواه التبريزى منها ٩٦ بيتاً ، وروى الزوزنى ١٠١ بيتاً ، وأما أبو زيد القرشى فقد روى منها فى الجمهرة ١١٦ بيتاً ، والذى رويناه هنا ١١٩ بيتاً . وإنى لأظن أنها أكثر من ذلك ولكن ضاع منها ذلك الكثير [(٥)] . وقد وقفت لعمرو بن كلثوم على أبيات من الشعر مثورة هنا وهناك ، لا بأس بإيراد ما عثرت عليه منها . فمن ذلك قوله يهجو النعمان بن المنذر ويعيره بأن خاله كان صائغاً بيثرب :

---

(١) لنا الدنيا أى ملكناها بقوة بطشنا

(٢) يعنى أن الدنيا قد ضاقت بهم براً وبحراً ، لما لهم من الجيوش فى البر والسفن فى البحر

(٣) ويروى : بغاة ظالمين وما ظلمنا .

(٤) المغلب المغلوب كثيرا .

(٥) وقد عنى بعض المستشرقين بشعر عمرو بن كلثوم فنشر شعره مع شعر الحارث بن حلزة اليشكرى «الأستاذ فريتز كرنكو الألمانى» وطبعه بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت ، كما عنى المستشرق الألمانى «لدفيج أبيل» بمعلقته فطبعها مع مقدمة وترجمة عليها وملاحظات قيمة باللغة الألمانية وطبعها فى برلين سنة ١٨٩٠ .

لَحَا اللهُ أَدْنانا مِنَ اللُّؤْمِ زُلْفَةً ... وأَلْأَمَنَا خَالًا وأَعْجَزَنَا أَبَا

وأَجْدَرَنَا أَنْ يَنْفخَ الكِيرَ خَالُهُ ... يَصُوغُ القُرُوطَ والشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا

وقوله يعيره بأمه سلمى :

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بَعْدَ فِرْتاجِ ... وقَدْ تَكُونُ قَدِيمًا فى بَنِي تَاجِ [1]

إذْ لا تُرَجِّى سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَ لَها ... مَنْ بِالخَوَرْنَقِ مِنْ قَيْنٍ ونَسَّاجِ [2]

ولَا يَكُونُ عَلَى أَبْوَابِهَا حَرَسٌ ... كَمَا تَلَفَّفَ قُبْطِىٌّ بِدِيباجِ

تَمْشِي بِعَدْلَيْنِ منْ لُؤْمٍ ومَنْقَصَةٍ ... مَشْىَ المُقَيَّدِ فى اليَابُوتِ والحاجِ

وبلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان يتوعده فدعا كاتباً وأملى عليه :

أَلَا أَبْلِغِ النُّعمانَ عَنِّى رِسَالَةً ... فَمَدْحُكَ حَوْلِىٌّ وذَمُّكَ قَارِحُ [3]

مَتَى تَلْقَنِي فِى تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ ... وأَشْياعِها تَرْقَ إِلَيْكَ المَسَالِحُ [4]

ومر الحارث بن أبي شمر الغسانى بقوم من بنى تغلب فلم يخفوا لاستقباله وركب إليه عمرو بن كلثوم فلما لقيه قال له الملك : ما منع قومك أن يتلقونى ؟ فقال له : ما علموا بمرورك ! فقال : لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدومى ! فقال له عمرو : ما استيقظ قوم قط إلا نبل رأيهم ، وعزت جماعتهم ، فلا توقظن نائمهم ! ! فقال : كأنك تتوعدنى بهم !

---

(١) الخبت : ما اطمأن من الأرض واتسع ، أو هو الوادى العميق الوطىء . أو هو موضع بالشام . وفرتاج : موضع ببلاد طىء . وبنو تاج : قبيلة من عدوان .

(٢) الخورنق القصر المشهور وكان النعمان بن المنذر بناه لبعض أولاد الأكاسرة وأصل كلمة الخورنق فارسية تلفظ : خورنكاه ، ومعناها مكان الأكل وموضع الشرب . والقين : الحداد

(٣) الحولى : الصغير من الحيوان . والقارح : الكبير .

(٤) المسالح : الكتائب المسلحة .

ثم مضى متهدداً متوعـداً . وعاد عمرو إلى قومه وأخبرهم بتهديد الملك وتوعده [١] وقال :

أَلَا فَاعْـلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّا ... عَلَى عَمْـدٍ سَـنَأْتِي مَا نُرِيدُ

تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنَا ثَقِيـلٌ ... وأَنَّ زِنَادَ كَبَّتِنَا شَدِيدُ

وأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَـدٍّ ... يُوَازِينَا إذَا لُبِسَ الحَدِيدُ

ثم إن الحارث غزا بنى تغلب فى جيوشه بنى غسان، غير أن عمراً فى رجال بنى تغلب هزموا الحارث وقتلوا أخاه وشتتوا شمل بنى غسان بعد مقتلة عظيمة ؛ فقال عمرو :

هَلَّا عَطَفْتَ عَلَى أُخَيِّكَ إذْ دَعَا ... بِالثُّكْلِ وَيْلَ أَبِيكَ يَا ابْنَ أَبِي شَمِرْ

فَذُقِ الَّتِي جَشَّمْتَ نَفْسَكَ وانْدُبَنْ ... فِيهَا أَخَاكَ وعَامِرَ بْنَ أَبِي حُجُرْ

ومن أخبار عمرو أنه أغار على بنى تميم ، ثم مر على حى من بنى قيس ابن ثعلبة فأصاب منهم أسارى وسبايا ، ثم انتهى إلى بنى حنيفة باليمامة فثار به بنو سحيم وعليهم يزيد بن عمرو بن شمر ، فلما رآهم عمرو بن كلثوم أخذ يرتجز ويقول :

مَنْ عَاذَ مِنِّي بَعْدَهَا فَلَا اجْتَبَرْ ... وَلَا سَقَى المَاءَ وَلَا رَعَى الشَّجَرْ

بَنُو لُجَيْمٍ وجَعَاسِيسُ مُضَرْ ... بِجَانِبِ الدَّوِّ يُدِيهُونَ الفِكَرْ

---

(١) ومما تحسن الإشارة إليه . ويدل على عزة بنى تغلب وأنفتهم أنهم ظلوا على جاهليتهم إلى ما بعد الإسلام ، ولما تولى عمر ابن الخطاب أمر المسلمين طلبهم بأداء الجزية ، فأبوا أن يعطوها باسم الجزية ، ثم قبلوا أن يؤدوها باسم الصدقة . على أن تكون مضاعفة ! فقال عمر رضى الله عنه : أدوها وسموها ما شئتم ! ! فلله در عمر ما أوسع عقله . وما أعظم فضله .

فحمل عليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وقاده أسيرا ـ وكان يزيد شجاعا باسلا ـ فشده فى القِدّ وقال له : أنت الذى تقول :

مَتَى تُعْقَدْ قَرِينَتُنَا بِحَبْلٍ ... نَجُذُّ الحَبْلَ أَوْ نَقِصَ القَرِينَا

أما إنى سأقرنك إلى ناقتى هذه فأطردكما جميعا ! فنادى عمرو بن كلثوم: يا لربيعة ؟ أمثلة ؟ ؟ فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ـ ولم يكن يريد به ذلك ـ ثم سار به إلى بعض قصورهم بحجر وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبه وأكرمه وسقاه الخمر . فلما رأى عمرو بن كلثوم ما عمره به من الإكرام أخذ يغنى :

أَأَجْمَعَ صُحْبَتِى السَّحَرَ ارْتِحَالَا ... ولَمْ أَشْعُرْ بِبَيْنٍ مِنْكَ هَالَا

ولمْ أَرَ مِثْلَ هَالَةَ فى مَعَدٍّ ... أُشَبِّهُ حُسْنَهَا إِلَّا الهِلَالَا

أَلا أَبْلِغْ بَنِى جُشَمِ بنِ بَكْرٍ ... وتَغْلِبَ كُلَّما أَتَيَا حِلَالَا

بِأَنَّ المَاجِدَ القَرْمَ ابنَ عَمْرٍو ... غَدَاةَ نَطَاعِ قَدْ صَدَقَ القِتَالَا

كَتِيبَتُهُ مُلَمْلَمَةٌ رَدَاحٌ ... إِذَا يَرْمُونَهَا تَفْنِي النِّبَالَا

جزَى اللهُ الأَغَرَّ يَزِيدَ خَيْرًا ... ولَقَّاهُ المَسَرَّةَ والجَمَالَا

بِمَأْخَذِهِ ابنَ كُلْثُومَ بنَ عَمْرٍو ... يَزِيدُ الخَيْرِ نَازَلَهُ نِزَالَا

بِجَمْعٍ مِنْ بَنِى قُرَّانَ صِيدٍ ... يُجِيلُونَ الطِّعَانَ إِذَا أَجَالَا

يَزِيدُ يُقَدِّمُ الشَّقْرَاءَ حَتَّى ... يُرَوِّى صَدْرَهَا الأَسَلَ النِّهَالَا

ومما يروى له قوله :

مَعاذَ الإلٰهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا ... عَلى هالِكٍ أَوْ أَنْ تَضِجَّ مِنَ القَتْلِ

قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا ... بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ذى أَرَاكٍ وذى أَثْلِ

فَمَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِ المَالِ عِنْدَنَا سِوَى جِذْمِ أَذْوادٍ مُحَذَّفَةَ النَّسْلِ
ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ : فأَثْمَانُ خَيْلِنا وأَقْوَاتُنا ، ومَا نَسُوقُ إلى القَتْلِ

ومما يتمثل به فى غلبة الطباع على التخلق والتكلف ، قوله :

ولـكِنْ فِطَامُ النَّفْس أَيْسَرُ مَحْمَلًا مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ حِينَ تَرُومُهَا

هذا ما أردنا تلخيصه من أخبار عمرو بن كلثوم ، وما وجدناه من شعره .

ومما يحسن إيراده أن بنى تغلب كانت تفخر بمعلقته ، ويتناشدها كبارهم ، ويولع بها صغارهم ، فيحفظونها ويرددونها فى كل مناسبة حتى قال فيهم أحد شعراء بكر بن وائل ، أو هو قيس بن زمان بن سلمة المعروف بـ(الموج) التغلبى ، وهو ابن أخت القطامى الشاعر ، وكان أعمى خبيثا من أهل الجزيرة :

أَلْهَى بَنِي تَغْلِب عَن كلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قالَهَا عَمْرُو بنُ كُلْثُومِ
يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرِّجالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَسْؤُومِ
إنَّ القَدِيمَ إذَا مَا ضاع آخِرُهُ كَساعِدٍ فَلَّهُ الأَيَّامُ مَحْطُومُ

ويعد عمرو بن كلثوم فى المعمرين . قيل إنه عمر مائة وخمسين سنة .. وكانت وفاته فيما قيل سنة ٦٢٢ ميلادية وهى أول سنى الهجرة .

٦

امرؤ القيس بن عابس الكندى

هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر . وهو قرابة امرئ القيس بن حجر . شاعر فارسى كندى صحابى . وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ورجع إلى بلاده ، وثبت على إسلامه فلم يرتد مع من ارتد من كندة ، ثم خرج إلى الشام مجاهداً وشهد اليرموك وغيرها من الوقائع . ويروى أنه كان بينه وبين رجل من حضرموت اسمه ربيعة بن عيدان خصومة فارتفعا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام للحضرمى : بَيِّنَتَكَ وإلَّا فَيَمِينَهُ ؟ فقال الحضرمى : يا رسول الله ، إن حلف ذهب بأرضى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : مَنْ حَلَفَ على يمينٍ كاذِبَةٍ يَقْتَطِعُ بها حَقَّ أَخِيهِ لَقِىَ اللهَ وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبان . (1) فقال امرؤ القيس : يا رسول الله ! فما لمن تركها وهو يعلم أنه محق ؟ قال : الجنة . قال : فإنى أشهدك أنى قد تركتها له .

وحكى ابن سعد فى الطبقات أن امرأ القيس هذا كان شاعراً ، وقال للأشعث بن قيس لما رفض بيعة أبى بكر الصديق وارتد . أنشدك الله يا أشعث ووفادتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامك أن

---

(1) هذه رواية ابن عساكر . وفى الجامع الصغير : من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان : قال شارحه المناوى . وهذا الحديث فيه قصة ، وذلك أن ابن مسعود لما حدث بذلك فى مجلسه دخل الأشعث بن قيس فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ـ قالوا : كذا وكذا : قال : صدق ، فى نزلت ، كان بينى وبين رجل أرض باليمن فخاصمته إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال : هل لك بينة ؟ قلت : لا قال : فيمينه ؟ قلت : إذن يحلف ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ـ فذكره ـ فنزلت ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ الآية .

بتنقض [1] دين الله ؟ والله ليقومن بهذا الأمر من بعده ثم يقتل من خالفه ؛ فإياك إياك ، إبْق على نفسك فإنك إن تقدمت تقدم الناس معك ، وإن تأخرت افترقوا واختلفوا ؟ . . فأبى الأَشعث وقال : قد رجعت العرب إلى ما كانت الآباء تعبد . فقال امرؤ القيس : سترى ! وأخرى : لا يَدعْك عاملُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجع إلى الكفر - يعنى زياد بن لبيد - فلما قدم الأشعث على أبي بكر قال له : أَلست الذى تقول قد رجعت العرب إلى ما كانت تعبد ، وتكلمت بما تكلمت ، فرد عليك من هو خير منك ؟ يعنى امرأ القيس بن عابس ، فقال لك : لا يدعك عامله ترجع إلى الكفر ؟ !

ولما ارتدت اليمن فى فتنة مُسَيْلِمَةَ كانت كندة فيمن ارتد . ولكن امرأ القيس ثبت على إسلامه وكتب إلى أَبى بكر يقول :

أَلا أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رَسُولَا ... وَخُصَّ بِهَا جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَا

فَلَسْتُ مُجَاوِرًا أَبَدًا قَبِيلًا ... بِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُكَذِّبِينَا

دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسِّلْمِ لَمَّا ... رَأَيْتُهُمْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا

فَقُلْتُ لَهُمْ أَنِيبُوا يَالَ قَوْمِي ... إِلَى مَاقَدْ أَنَابَ الْمُسْلِمُونَا [2]

فَقَدْ وَلَّوْا أَبَا بَكْرٍ جَمِيعًا ... أُمُورَهُمْ هَزِيلًا أَوْ سَمِينَا [3]

---

(١) يريد ألا تنقض ، وهذا من عباراتهم المعروفة .

(٢) أنيبوا : عودوا إلى الحق والزموا المحجة البيضاء .

(٣) هزيلا أو سمينا : يقول قد أجمع المسلمون على توليته وارتضوه إماما لهم، فلا اعتراض على ذلك ، أو هو يريد : ماصغر فى أمر المسلمين وماعظم ، هذا هو الأولى

وما عَدَلُوا بِهِ أَحدًا وَلَوْلَا ... أَبُو بَكرٍ لقدْ أَضْحَوْا عِزِينا[1]

وكُونُوا مِنْهُمُ أَنَّى اهْتَدَيْتُمْ ... وإلَّا فاقْنَعُوا بِالذُّلِّ فِينـا

فإنى آخِــذٌ عَنْكُمْ شِمالَا ... بِرَحْلِي إنْ ضَلَلْتُمْ أَوْ يَمينا[2]

فَلَمَّـا أَنْ عَصَوْنِي لَمْ أُطِعْهُمْ ... ولَمْ أَطْمَعْتُهُمْ. مُتَحَزِّبينا

أَخذْتَ الفَضْلَ إذجاروا وحَسْبِي ... بِأَخْذِ الفَضْلِ دِينا مُسْتَبِينا

فَلسْتُ مُبَــدِّلًا بِاللهِ رَبًّا ... ولا مُسْتَبْدِلًا بِالسِّلْمِ دِينا[3]

شَأَمْتُم قَوْمَكُم وشَأَمْتُمُونَا ... وغابِرُكُم سَيَشْأَمُ غَابِرِينــا

وكانَ الْأَشْعَثُ الكِنْدِيُّ رَأْسًا ... فَقَدْ أَضْحَى بِها غَلِقًا مَدِينا[4]

أَيَجْمَعُ غَدْرَتَيْنِ مَعًا جَمِيعًا ... وفى شَهْرَيْنِ مَنْكُوبَيْنِ فِينا

فَلا لِلْمُسْلِمِينَ وَفَيْتَ صَبْرًا ... وقَدْ صَبَرُوا ولا لِلْمُشْرِكِينا

فضَحْتَ بَنِي مُعَاوِيةٍ ولَمَّا ... تنالَ بذاكَ حِجْرًا والسَّكُونَا[5]

وكُنْتَ بها أخا إفكٍ وكِذْبٍ ... ولَمْ تَكُ فى فِعالِكَ مُسْتَبِينا[6]

ولما سيرت الجيوش الإسلامية إلى أهل الرِّدَّةِ من اليمن انضم إليها امرؤ القيس بن عابس وقاتل فى صفوفها حتى هزمهم الله ، واستقاموا على الواضحة . وكان له فى ذلك الفتح غَناءٌ عظيم ، وبلاء حسن . ثم نزلت كندة

---

(١) عزين : فرق مختلفة .

(٢) يقول ، فإنى مفارقكم إن لم تطيعونى وتثبتوا على الإيمان .

(٣) بالسلم : بالإسلام .

(٤) غلقا : رهينا بما ارتكب من إثم .

(٥) بنو معاوية ، وبنو حجر ، والسكون : قبائل يمنية إليهم ينسب الأشعث بن قيس

(٦) مستبين : مستوضح الحق من الباطل .

الرياض فمرض امرؤ القيس وخاف أن يموت قبل أن يتخذ الحمى بكندة فقال فى ذلك :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَرَى الوَرْدَ مَرَّةً يُطَالِبُ سِرْبًا مُوكَلًا بِعِرَارِ[1]

أَمَامَ رَعِيلٍ أَوْ بِرَوْضَةِ مَنْصَحٍ أُبَادِرُ أَنْعَامًا وإِجْلَ صِوَارِ[2]

وهَلْ أَشْرَبَنْ كَأسًا بِلَذَّةِ شَارِبٍ مُشَعْشَعَةً أَوْ مِنْ صَرِيحِ عُقَارِ

إذا مَا جَرَتْ فى العَظْمِ خِلْتَ دَبِيبَها دَبِيبَ صِغَارَ النَّمْلِ وهْىَ سَوَارِى

ثم إن امرؤ القيس نزل الكوفة فلم تطب له ، فرحل إلى الشام ونزل فى بيسان ، فلما وقع طاعون عمواس أسرع فى كندة ، فقال فى ذلك :

رُبَّ خِرْقٍ مِثْلِ الهِلالِ وبَيْضَا ءَ لَعُوبٍ بِالْجِزْعِ مِنْ عَمْوَاسِ[3]

قد لَقُوا اللهَ غَيْرَ بَاغٍ عَلَيْهِمْ فَأُحِلُّوا بِغَيْرِ دَارِ أَسَاسِ

وصَبَرْنا حَقًّا كما وَعَدَ اللهُ وكُنَّا فى الصَّبْرِ قَوْمَ تَأَسِّى

وروى ابن دريد لامرئ القيس بن عابس هذه القصيدة :[4]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمُدِ ونَامَ الْخَلِيُّ ولَمْ تَرْقُدِ

وبَاتَ وبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذى العَائِرِ الأَرْمَدِ

---

(١) الورد : فرسه .

(٢) روضة منصح : هى روضة بها منازل بنى وليعة من كندة . إجل صوار : جماعة البقر الوحشية .

(٣) الخرق : السخى الشريف . ويريد به نفسه .

(٤) ورواها غير ابن دريد لامرئ القيس بن حجر وليست من بابته . وزعم ابن الكلبي أنها لعمرو بن معد يكرب . وانظر تعليقنا عليها فى شرحنا لديوان امرئ القيس

وذلكَ مِن نَبَإٍ جاءَنِى ... وأُنْبِئْتُهُ عَنْ أَبِى الأَسْودِ

ولَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جاءَنِى ... وجُرْحُ اللِّسانِ كَجُرْحِ اليَدِ

لَقُلْتُ مِنَ القَوْلِ مَالاَ يَزا ... لُ يُؤَثَّرُ عَنِّى يَدَ المُسْنَدِ

بِأَىِّ عَلاَقَتِنَا تَرْغَبُونَ ... أَعَنْ دَمِ عَمْرٍو عَلَى مَرْثَدِ

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ ... وإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ

وإِنْ تَقْتُلونَا نُقَتِّلْكُمُ ... وإِنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ

مَتَى عَهْدُنا بِطِعَانِ الكُمَا ... ةِ والمَجْدِ والحَمْدِ والسُّؤْدُدِ

وبَنْىِ القِبابِ ومَلْءِ الجِفَانِ ... والنَّارِ والحَطبِ المُفْأَدِ

وأَعْدَدْتُ لِلحَرْبِ وَثَّابَةً ... جَوَادَ المحثَّةِ والمُرْوَدِ

سَبُوحًا جَمُوحًا وإِحْضَارُهَا ... كَمَعْمَعَةِ السَّعَفِ المُوقَدِ

ومُطَّرِدًا كرِشَاءِ الجَرُو ... رِمِنْ خُلُبِ النَّخْلَةِ الأَجْرَدِ

وذَا شُطَبٍ غَامِضًا كَلْمُهُ ... إِذَا صَابَ بِالعَظْمِ لَمْ يَنْأَدِ

ومَشْدُودَةَ السَّكِّ مَوْضُونَةً ... تَضَاءَلُ فِى الطَّىِّ كَالمِبْرَدِ (١)

تَفِيضُ عَلَى المَرْءِ أَرْدَانُها ... كَفَيْضِ الأَتِىِّ عَلَى الجُدْجُدِ

ومما رواه له الرواة قوله :

قِفْ بِالدِّيَارِ وُقُوفَ حَابِسْ ... وتَأَنَّ إِنَّكَ غَيْرُ آيِسْ (٢)

لَعِبَتْ بِهِنَّ الغَادِيَاتُ الرَّا ... ئِحاتُ مِنَ الرَّوَامِسْ (٣)

---

(١) هذا وصف للدرع .

(٢) ويروى : وتأى . وهى بمعناها .

(٣) الغاديات : المبكرات . والرائحات من الروامس : هى الرياح .

مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الْوُقو ... فِ بِهامِدِ الطَّلَلَيْنِ دَارِسْ

يَارُبَّ بَاكِيَةٍ عَلَىَّ ... ومُنْشِدٍ لِى فى المَجَالِسْ[1]

أَوْ قائِلٍ يا فارِسًا ... ماذا رُزِئتَ مِنَ الفوَارِسْ

لا تَعْجَبُوا أَنْ تَسْمَعُوا ... هَلَكَ امْرُؤُ القَيْسِ بنِ عابِسْ

وروى صاحب الأغانى هذه القصيدة له ـــ قال أبو عمرو الشيبانى :

إن من يرويها لامرئ القيس بن حجر يغلط ـــ وهى قوله :[2]

حَيِّ الحُمُولَ بِجَانِبِ العَزْلِ ... إذْ لا يُلَائِمُ شَكلُها شَكْلِى

ماذا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ ظُعُنٍ ... إلَّا صِبَاكَ وقِلَّةَ العَقْلِ

مَنَّيْتِنا بِغَدٍ وبَعْدَ غَدٍ ... حَتى بَخِلت كأسْوَإِ البُخْلِ

يارُبَّ غانِيَةٍ لَهَوْتُ بِهَا ... ومَشَيتُ مُتَّئِدًا عَلى رِسْلِى

لا أَسْتَقِيدُ لِمَنْ دَعَا لِصِبًا ... قَسْرًا وَلَا أُصْطَادُ بِالخَتْلِ

وتَنُوفَةٍ جَدْبَاءَ مُهْلِكَةٍ ... جَاوَزْتُهَا بِنَجائِبٍ فُتْلِ

فَيَبِتْنَ يَنْهَسْنَ الجُبُوبَ بِها ... وأَبِيتُ مُرْتَفِقًا عَلى رَحْلِى

مُتَوَسِّدًا عَضبًا مَضَارِبُهُ ... فى مَتْنِهِ كَمَدَبَّةِ النَّمْلِ

يُدْعَى صَقِيلًا وهْوَ لَيسَ لَهُ ... عَهْدٌ بِتَمْوِيهٍ ولا صَقْلِ

عفتِ الدِّيارُ فَمَا بِهَا أَهْلِى ... ولَوَتْ شُمُوسُ بَشَاشَةَ البَذْلِ

نَظَرَتْ إِلَيْكَ بِعَيْنِ جازِئَةٍ ... حَوْرَاءَ حَانِيَةٍ عَلى طِفْلِ

---

(١) المنشد : الطالب والذاكر له .

(٢) قلت : ومن تأمل هذه القصيدة لا يشك فى أنها الشاعر تذوق حلاوة الإسلام وفضائله فهى بلا شك لامرئ القيس بن عابس ، أما شرح مفرداتها فراجعه فى شرحنا لديوان امرئ القيس .

فَلها مُقَلَّدُهَا ومُقْلَتُها ولها عَليْهِ سَراوَةَ الفَضْلِ

أَقْبَلْتُ مُقْتَصِدًا ورَاجَعَنِي حِلْمِى وسُدِّدَ لِلنَّدَى فِعْلِى

واللهُ أَنْجَحُ ما طَلَبْتُ بِهِ والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ

ومِنْ الطَّرِيقَةِ جائِرٌ وهُدًى قَصْدُ السَّبِيلِ ومِنهُ ذو دَخْلِ

إنِّى لأَصْرِمُ مَنْ يُصارِمُنِي وأُجِدُّ وَصلَ مَنْ ابْتَغَى وصْلِي

وأَخِى إخاءٍ ذِى مُحافَظةٍ سَهْلِ الْخَلِيقَةِ ماجِدِ الأَصْلِ

حُلْوٍ إذا ما جِئْتُ قال أَلا فى الرُّحْبِ أَنْتَ ومُنزَلِ السَّهْلِ

نازَعْتُهُ كاسَ الصَّبُوحِ ولَمْ أَجْهَلْ مُجِدَّةِ عُذْرَةَ الرجلِ

إنِّى بِحَبْلِكَ واصِلٌ حَبْلِى وبِرِيشِ نَبْلِكَ رائِشٌ نَبْلِى

ما لَمْ أَجِدْكَ عَلى هدى أَثَرٍ يَقْرُو مِقَصَّكَ قائِفٌ قَبْلِى

وشَمَائِلِى ما قدْ عَلِمتَ وما نَبَحَتْ كلابُكَ طارِقاً مِثْلِى

وذكر الرواة أن أم جده السمط كانت تدعى (تملك) وهى من جدات امرؤ القيس بن حجر ، وكان بنوها يُدْعَوْن بها فيقال : حجر بن تملك ، وامرؤ القيس بن تملك . والظاهر أن امرؤ القيس بن عابس كان متزوجاً امرأة يقال لها (تملك) أيضاً ، وفيها يقول :

---

(١) وروى أبو هلال العسكرى فى الصناعتين هذين البيتين ونسبهما للفند الزمانى:

أيا تملك ياتمل وذات الطوق والحجل

ذرينى وذرى عذلى فإن العذل كالقتل

وروى الأصمعى هذه الأبيات ونسبها لرجل فى اليمن ولم يسمه . وسماه غيره فقال هى لامرئ القيس بن عابس وهى .

أيا تملك ياتمل ذرينى وذرى عذلى =

أَيَا تَمْلِكُ لا تَمَلِّي صِلِيني وذَرِي عَذْلي [١]

ذَرِيني وسِلاحِي ثُمَّ شُدِّي الكفَّ بِالغَزْلِ [٢]

ونَبْلي وفُقَاها كعَرَا قِيبِ قَطًا طُحْلِ [٣]

وثَوْبَايَ جَدِيدانِ وأُرْخِي شَركَ النَّعْلِ

ومِنِّي نَظْرَةٌ خَلْفي ومِنِّي نَظْرَةٌ قَبْلي [٤]

فَإِمَّا مِتُّ يا تَمْلِ فَمُوتِي حُرَّةً مِثْلي

وقد أَسْبِي إلى القَدْ سَيْنِ بِالنَّاقَةِ والرَّحْلِ [٥]

وقد أَخْتَلِسُ الطَّعْ نَةَ لا يَدْمِي لَها نَصْلي [٦]

= ذريني وسلاحي ثم شدي الكف بالغزل

ونبلي وفقاها كعرا قيب قطا طحل

وثوباي جديدان وأرخي شرك النعل

ومني نظرة خلفي ومني نظرة قبلي

فإما مت يا تملي فموتي حرة مثلي

وزاد الجمحي: وقد أشأ للندمان بالناقة والرحل

وقد اختلس الضربة لا يدمي لها نصلي

وقد اختلس الطعنة تنفي سنن الرحل

كجيب الدفنس الورها ء ريعت وهي تستفلي

(١) لا تملي: لا تضجري.

(٢) شدي الكف بالغزل: يعني دعي أمري والتفتي إلى مغزلك فهو أولى بك

(٣) قطا طحل: في لونها بين الغبر والسواد والبياض.

(٤) أي انظري أمامي وخلفي ويكون ذلك منك منة.

(٥) أسبي: أشتري الخمر. ويروى إلى القدمين.

(٦) يريد أنه لحذقة وسرعته في الطعن لا يظهر الدم على نصل الرمح.

كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ وَهْىَ تَسْتَفْلِي(١)

وكان امرؤ القيس فى أيام عثمان مغرما بامرأة ، وكانت لا تباليه فيما يظهر له ، فلما حضرته الوفاة جاءته فى جماعة من نسائها تسلم عليه وتعوده ، فرفع رأسه إليها وقال :

أَرَيْتَكِ إِنَّ مَرَّتْ عَلَيْكِ جِنَازَتى تُلِحُّ بِهَا أَيْدٍ طِوَالٌ وتَرْجِعُ

أَمَا تَتْبَعِينَ النَّاسَ حَتَّى تَسَلِّمِى عَلى رَمْسِ قَبْرِى كُلُّ مَيْتٍ مُوَدعُ

فبكت ودنت منه ، فقال :

دَنَتْ وَظِلَالُ المَوْتِ بَيْنِى وَبينَهَا

وجَادَتْ بِوَصْلٍ حِين لَا يَنْفَعُ الوَصْلُ

أَلَا لَا يَضُرُّ المَرْءَ طَالَتْ ذُيُولُهُ

إذَا وَجَبَتْ حَوبَاؤُهُ الْخُلْفُ والْمُطلُ(٢)

فلما حشرج بكت عليه ، وأظهرت جزعا شديداً فقال :

أَلَمَّتْ تَحَيَّتْ ثُمَّ عَاجَتْ فَسَلَّمَتْ عَلى غُصَّةٍ بيْنَ الحَيَازِيمِ والنَّحْرِ(٣)

خَليلَىَّ إنْ حَانَتْ وَفَاتِى فاحْفِرَا بِرَابِيَةٍ بيْنَ المَحَاضِرِ والقَفر

قالوا : فلما مات أكبت عليه باكية شاهقة . ثم ماتت مكانها .

هذا ما تيسر انتقاؤه من أخبار ابن عابس رضى الله تعالى عنه .

---

(١) الدفنس : المرأة الحمقاء . والورهاء : الرعناء يشبه سعة طعنته بجيب هذه المرأة وقد أخرجت يدها تستفلى شعرها .

(٢) حوباؤه : نفسه . يريد أن المرء مهما عاش فلن يضره خلف الوعد أو مطله متى وجبت نفسه وحان حينها .

(٣) عاجت : مالت : على غصة : أى أن العبرة قد خنقتها .



امرؤ القيس ابن بكر الكندى

هو امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث بن معاوية بن ثَور ابن مُرتع الكندى . وهوَ جد إياس بن شراحيل بن قيس بن يزيد بن امرئ القيس أحد من وفد على النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر صاحب أسد الغابة إياساً هذا فقال فى نسبه : إياس بن قيس بن يزيد الذائد، واسمه امرؤ القيس بن بكر بن الحارث بن معاوية .

وامرؤ القيس هذا شاعر جاهلى وهو الذى يقال له « الذائد » وهو أوّل من تفقد الشعر ونقده حيث يقول :

أذودُ القَوافِيَ عَنّى ذِيادا ذِيادَ غُلَامٍ جَرِيءٍ جَوَادَا[1]

فلمّا كثُرْنَ وعنَّيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنهنّ سِتًّا جِيادَا[2]

فأَعْزِلُ مَرْجانَها جانِبًا وآخُذ مِنْ دُرِّها المُسْتَجَادا[3]

ولم يرو له الرواة غير هـذه الأبيات . وقد أثبتها له ابن الكلبى . واعتمدها الآمدى فى المؤتلف وقال : وبهذه الأبيات سمى « الذائد » . وزعم بعضهم أنها لامرئ القيس بن عابس الكندى . ورواها غير هؤلاء لامرئ القيس ابن حجر . وما أثبتناه هنا هو الأرجح .

(١) أذود : أدفع وأنحى . القوافى : يريد بها قوافى الشعر أو القصائد نفسها . يعنى أن القوافى تنثال عليه انثيال الجراد فيدفعها عنه كما يدفع الغلام أرجاله ، لأنه يروى أنه قال ذياد غلام جرئ جرادا . ويروى : غلام سفى ، والسفى . السفيه والخفيف أيضا ، وإليه يرجع اشتقاقه . جواد : كريم لا يمسك شيئا .

(٢) عنينه: تهافتن عليه وكثرن حتى حار فى أمرهن ، ولاقى العناء منهن ، فلا يدرى ماذا يأخذ وماذا يرد : تخير : اختار واصطفى . ستا جيادا : ست قصائد جيدة ويروى شتى جيادا . ويروى : فلما كثرو أعيينني تنقيت منهن عشرا جيادا

(٣) أعزل : أفرز وأنحى . المرجان : يريد به صغار الدر



امرؤ القيس بن بحر الزهيرى الكلبى

شاعر جاهلى قديم ، من شعراء كلب بن وبرة ، ومن ولد زهير بن جناب الكلبى الشهير . كان من الفرسان الأشداء ، والشعراء الأبيناء . شهد حرب بكر وتميم يوم القاع ، وقتل شملة بن أوس التميمى أحد فرسانهم ، وفى هذا اليوم أسر بسطامُ بنُ قيس الشيبانى أوس بن حجرٍ الشاعر . والظاهر أن شعره قد عدت عليه العوادى ولم يحفظ منه الرواة إلا قوله فى هذه الوقعة :

طَعَنْتُ غَداةَ القاعِ شَمْلَةَ طَعْنَةً ... تَرَكْتُ أَبا أوسٍ صَرِيعا مُجَدَّلَا [1]

وأَجْرَرْتُهُ رُمْحِى فَغُودِرَ ثَاوِيًا ... عَلَيْهِ سِباعُ القاعِ يَرْدِينَ حُجَّلَا [2]

هذا ما عثرت عليه من شأنه الآن .

---

(١) غداة القاع : أى يوم القاع الذى حدثت فيه الحرب بين بكر وتميم . صريعا : ملقى . مجدل : ملقى على الجدالة وهى الأرض .

(٢) وأجررته رمحى : يقول : لما طعنته تركت رمحى فيه . فغودر : فترك . ثاويا : مقيما . يردين : ينحدرن عليه .

٩

امرؤ القيس بن مالك الحميرى

شاعر جاهلى قديم . وقد أثبت الآمدى فى كتاب المؤتلف والمختلف أن القصيدة الآتية له . وقد رواها بعضهم لامرئ القيس بن حجر الكندى قال الآمدى : وذلك باطل ، إنما هى لامرئ القيس هذا الحميرى ، وهى ثابتة فى أشعار حمير . قلت ولهذا فقد رفعتها من ديوان امرئ القيس ولم أثبتها له ، وقد نقلها الصاغانى فى التكملة لامرئ القيس بن مالك هذا . والأبيات هى :

أَيا هِنْدُ لا تَنْكِحِى بُوهَةً عَليْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبا (١)

مُرَسَّعَةً بَيْنَ أَرْسَاغِهِ بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغِى أَرْنَبا (٢)

لِيَجْعَلَ فى يَدِهِ كَعْبها حِذارَ المَنِيَّةِ أَنْ يُعْطَبا (٣)

---

(١) البوهة : الرجل الضاوى الطائش الأحمق ؛ العقيقة : صوف الجذع أو الشاة تذبح عند حلق شعر المولود . وكانت العرب تجعل من صوف الجذع فى هذه الحالة تميمة يعلقونها على المولود لدفع العين ـ زعموا . والأحسب : من ابيضت جلدته من داء ففسدت شعرته فصار أبيض وأحمر .

(٢) مرسعة ، الترسيع : فساد فى الأجفان وتغير فى العين والتصاق . الأرساغ جمع رسغ : وهو مفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم . العسم : يبس فى مفصل الرسغ تعوج منه اليد . ويروى : مرسغة . وما أثبتناه أجود .

(٣) قال الجاحظ : كانت العرب فى الجاهلية تقول : إن من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا نفس ولا سحر ، وكانت عليه واقية .

وهذه الأبيات الثلاثة هى التى رواها الآمدى ، ورواها الجاحظ ، والظاهر أن الآمدى اكتفى بها عن باقى الأبيات ليدل بها عليها ، وأن الجاحظ اكتفى بها ليدل بها على شىء من خرافات العرب . وقد سقت الأبيات كما عثرت عليها .

فلستُ بخرزافةٍ فى القعودِ ... ولستُ بطيّاخةٍ أخدبا (١)

ولستُ بذى رَثْيةٍ إمّرٍ ... إذا قيدَ مستكرَهًا أصحبا (٢)

وقالت بنفسى شبابٌ لهُ ... ولمّتهُ قبلَ أنْ يشجبا (٣)

وإذْ هىَ سوداءُ مثلُ الجنا ... حِ تغشّى المطانبَ والمنكبا (٤)

فلمّا انتحيتُ بعيرانةٍ ... تُشبّهها قطيمًا مُصعبا (٥)

تجاوبَ أصواتُ أنيابِها ... كما رُعتَ فى الضّالةِ الأخطبا (٦)

كأكدرَ مُلتئمٍ خلقُهُ ... تراهُ إذا ما عدا تولبا (٧)

---

(١) الخرزافة : من لا يحسن القعود فى المجالس ، والكثير الكلام الخفيف الرخو. والطياخة ، مبالغة فى الطيخ : وهو الحمق ، فهو لا يفتأ يقع فى بلية ويتردى فى نكبة . والأخدب : الطويل الأعوج الذى يركب رأسه ، فهو لا يتمالك عن الاستطالة والحمق والجهل .

(٢) الرثية : مرض المفاصل ، وهو المعروف بالروماتزم . إمر : ضعيف فى الرجال لا رأى له ، فهو لا يزال يؤمر فيأتمر دون نكير . أصحب : أطاع .

(٤) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن والمسترسل على المنكبين . يشجب : يهلك والأولى عندى أن يقال : قبل أن يشحبا . من الشحوب وهو التغير ، لأنها رأته شاحبا متغيرا ، ولم تره هالكا .

(٤) سوداء مثل الجناح : يعنى أن اللمة كانت مثل جناح الغراب سوادا ، وهذا دليل الشباب والفتوة . المطانب ، جمع مطنب : وهو حبل العاتق الممتد إلى المنكب.

(٥) انتحيت : ملت ناحية . العيرانة : الناقة الصلبة القوية ، كأنه مستعار من العير وهو الحمار الوحشى . القطيم : الجمل الصعب الصؤول . والمصعب : الصعب القياد .

(٦) رعت : أفزعت. الضالة : شجرة الضال . الأخطب : طائر يسمى الشقراق.

(٧) الأكدر : حمار الوحش . ملتئم خلقه : مكتنز مدمج الخلق. التولب : الجحش الغليظ المجتمع الخلق . ويروى تألبا .

١٠

امرؤ القيس بن كلاب العقيلى

هو امرؤ القيس بن كُلاب بن رزام الخُوَيلدى العقيلى من بنى خُويلد ابن عَوف بن عامر بن عقيل . كان من شعراء الجاهلية ، ولم يرو له الرواة إلا قوله يهجو سوادة بن كلاب ويذكر شأنه معه :

ولقَدْ رَأيْتُ مَخِيلَةً فتَبِعْتُها مَطرَتْ علىَّ بحَاصِبٍ وتُرَابِ[1]

إنِّى لأكْرَهُ أنْ تَجِىءَ مَنِيَّتِى حتَّى أغِيظَ سَوَادَةَ بن كِلابِ[2]

أنَّى أُتِيحَ لهَا وكانَ بمَعْزِلٍ ولِكُلِّ أمْرٍ واقِعٍ أسْبَابُ[3]

هذا ما عثرت عليه من شأنه وشعره .

---

(١) المخيلة : السحابة يخال فيها مطر . وإنما يريد أن يقول لسوادة بن كلاب إنى خدعت بك وتخيلت الخير من جهتك فإذا بى أرى الشر لا يجيئنى إلا من قبلك ، فأنت كالسحابة التى لا تمطر إلا الحصى والتراب .

(٢) يقول إنى لا أحب أن أموت حتى آتى بما يبعث الغيظ فى نفس سوادة .

(٣) أنى أتيح لها : كيف يمكن بلوغ هذه الأمنية ، وقد يكون بمعزل عنى . ولكن لا بأس من ذلك فقد تواتينى الأسباب فأبلغ ما أريد فيه . وفى هذا البيت إقواء ، وهو كثير فى شعر أهل الجاهلية ، مباح لهم دون سواهم .

١١

امرؤ القيس بن عمرو الكندى

هو امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث بن معاوية الاكرمين بن ثور ابن مُرتِع [١] الكندى . شاعر من شعراء الجاهلية، وهو قرابة امرئ القيس ابن حجر . وكانت حرب قد وقعت بين بنى الحارث بن معاوية رهط هذا الشاعر وبين بنى تميم ، فكانت الهزيمة فيها على بنى تميم ، وانتصرت عليهم بنو الحارث وفتكوا بهم فتكا ذريعاً . فقال فى هذه الحرب قصيدته هذه ، ولم أقف منها إلا على ما يأتى ، وأولها :

طَرِبْتَ وعَنَّاكَ الهَوَى والتَّطَرُّبُ وعادتْكَ أَحزانٌ تَشُوقُ وتَنْصِبُ [٢]

يقول فيها :

أَتَتْنا تَمِـيمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ومَنْ سارَ مِنْ أَطْرافِهِمْ وتَأَشَّبُوا [٣]

سَمَوْنَا لَهُمْ والخَيْلُ تَرْدِى كأَنَّها ثَعالٍ وعِقْبانُ اللِّوَى حِينَ تُرْكَبُ [٤]

---

(١) زعموا أنه إنما سمى مرتعاً لأنه كان يقال له : أرتعنا ؟ فيقول : أرتعتكم أرض كذا وكذا . ولست أرى أمثال هذه التعليلات فى الأسماء ، ولا سيما إذا كانت يمنية ، فقد يكون لها معانى أخرى فى لغة حمير .

(٢) تشوق : تستميل . وتنصب : توجب النصب ، وهو التعب .

(٣) جاؤا بقضهم وقضيضهم : جاؤا بكبارهم وصغارهم ، أو بشيبهم وشبابهم . وتأشبوا : التفوا بعضهم حول بعض كأنهم الشجر الملتف .

(٤) تردى : تعدو فى منحدرات . ثعال : ثعالب . وتروى : سعالٍ ، وهى جمع سعلاة زعموا أنها نوع من الجن أو السحرة، وقد ذهبوا فى ذلك مذاهب لا يقرها العقل

فَقَالُوا لنا إنّا نُرِيدُ لِقاءَكُمْ ... فَقُلنا لَهُمْ أهْلٌ تَمِيمٌ ومَرْحَبُ (١)

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا نَفُلُّ عَدُوَّنَا ... إذا احْشَوْشَدُوا فى جَمْعِهِمْ وتَألَّبُوا (٢)

بِضَرْبٍ يَفُضُّ البَيْضَ شِدَّةُ وَقْعِهِ ... ووَخْزٍ تُرَى مِنْهُ الأَسِنَّةُ تُخْضَبُ (٣)

(١) نريد لقاءكم: نريد قتالكم.

(٢) نفل: نمزق. احشوشدوا: احتشدوا واجتمعوا. وتألبوا: صاروا ألباً علينا

(٣) يفض البيض: تفلق الهام، والبيض: الخوذ التى تكون فوق رؤوس الفرسان

١٣

امرؤ القيس بن عدى الكلبى

هذا امرؤ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم بن جناب ابن معاذ بن حُصين بن كعب بن عُليم بن كلب بن وبرة ، قال الآمدى : هو امرؤ القيس بن عدى الكلبى ، ولا أعرف نسبه إلى كلب بن وبرة ، وأظنه أحد بنى كعب بن عليم بن جناب . وذكر السيوطى امرأ القيس بن الأَصبغ ، وقال عنه إنه صحابى ، وذكر امرأ القيس بن عدى من بنى عليم ، وقال إنه أسلم فى عهد عمر ، فهما عند السيوطى متغايران . والصحيح فيما أرى أنهما واحد . فهو امرؤ القيس بن عدى المعروف بابن الأَصبغ الكلبى .

كان ماجداً فى قومه ، شريفاً فى عشيرته ، فارساً شجاعا ، وشاعراً مجيدا . وقد اتصل شرفه القديم بشرف جديد هو فوق كل شرف ، إذ كان صهراً لآل بيت الرسول صلوات وسلامه عليهم .

ذكر الآمدى أنه كان أسيراً فى بنى شيبان ، فذكر رجل منهم أنه قتل زيدَ بن مناة بن معقل بن كعب بن عليم ، بذحل [1] فوثب امرؤ القيس بالرمح فطعنه ثم قال ـ ولم أعثر له على غير هذين البيتين ـ :

أَبلِـغْ أَبَا أَفْعَى عَدِيَّ بْنَ مَعْقِلٍ
وقدْ كنْتُ شَوْلَ الرُّمْحِ إِذْغابَ مَعْشَرِى [2]

تَرَكْتُ يتَامَى لمْ أُبَالِ فُقُودَهُمْ كَما لمْ يبَالُوا يُتْمَ سُخْطِى وجَعْفَرِى [3]

---

(١) بذحل : بثأر كان له عنده إذ قتل زيد بن مناة.

(٢) شول الرمح : من تشاول القوم الرماح ، إذا تناول بعضهم بعضاً بها عند القتال

(٣) فقودهم : ضياعهم بعد قتل من كان يعنى بأمرهم. سخطى وجعفرى: هما ولدا زيد

وأما الصهر الكريم فقد حدث عوف بن خارجة المرى قال: والله إنى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته إذ أقبل رجل أفحج أجلى أمعر [1] يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدى عمر فحياه بتحية الخلافة، فقال له عمر: من أنت؟ قال: أنا امرؤ نصرانى، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى. قال: فعرفه عمر. فقال له رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذى أغار عليهم فى الجاهلية يوم فَلَجٍ. قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه عمر فقبله. ثم دعا برمح له فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة. فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه.

قال عوف: فوالله ما رأيت رجلا لم يُصلِّ لله ركعة قط، أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله.

ونهض على بن أبى طالب رضوان الله عليه، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام، حتى أدركه وأخذ بثيابه فقال له: ياعم: أنا على بن أبى طالب. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصهره، وهذان ابناى من ابنته، وقد رغبنا فى صهرك، فأنكحنا؟ فقال: قد أنكحتك ياعلى المَحياة بنت امرئ القيس، وأنكحتك ياحسن سَلمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك ياحسين الرَّباب بنت امرئ القيس.

وفى الرباب هذه وابنتها سُكينة يقول الحسين بن على عليهما السلام:

لَعَمْرُكَ إنَّنِى لَأُحِبُّ دَارًا ... تَكُونُ بِهَا سُكَيْنَةُ والرَّبَابُ

---

(١) أفحج: متباعد ما بين عقبيه، متدانى صدور قدميه. أجلى منحسر مقدم شعر الرأس، وهو دون الصلع. أمعر: متساقط الشعر.

أُحِبُّهُمَا وأَبْذلُ جُلَّ مَالِي ... ولَيْسَ لِعَاتِبٍ عِنْدِى عِتَابُ(١)

فَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَابُوا مُطِيعًا ... حَيَاتِى أَوْ يُغَيِّبُنِى التُّرَابُ

قال هشام الكلبي : كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد الحسين عليه السلام ، فقالت : ما كنتُ لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عوانة قال : رثت الرباب بنت امرئ القيس أمّ سُكينة بنت الحسين زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت :

إنَّ الَّذِى كانَ نورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ ... بِكَرْبَلَاءَ قَتِيلٌ غَيْرُ مَدْفُونِ

سِبْطَ النَّبِيِّ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً ... عَنَّا وجُنِّبْتَ خُسْرَانَ المَوَازِينِ

قَدْ كُنْتَ لِى جَبَلًا صَعْبًا أَلوذ بِهِ ... وكُنْتَ تَصْحَبُنَا بِالرِّحْمِ والدِّينِ

مَنْ للِيَتَامَى وَمَنْ لِلسَّائِلِينَ وَمَنْ ... يُغْنِي ويأْوِى إلَيْهِ كلَّ مِسْكِينِ

واللهِ لَا أَبْتَغِى صِهْرًا بِصِهْرِكُمُ ... حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ والطِّينِ

وإن امرأً حاز هذه المكرمة الكبرى لأول عهده بالإسلام ، لجدير بأن يبرز فى مقدمة المخلدين بين إخوانه . وخليق بمثله أن يكون قال الشعر الكثير إلا أنه ضاع فى كثير مما فقد من شعر الشعراء الأقدمين .

---

(١) قيل إن الحسن عليه السلام كان قد كلمه فى شأن الرباب وشدة شغفه بها فقال هذه الأبيات يردّ بها عليه .

١٣

امرؤ القيس بن عدى بن ملحان الطائى

قالوا : إنه جد حاتم الطائى الجواد الشاعر المشهور .

١٤

امرؤ القيس بن عبد مناة بن تميم

هذا هو جد عدى بن زيد العبادى الشاعر المعروف .

١٥

امرؤ القيس بن تملك الكندى

هو أخو معاوية الأكرمين الجد الرابع لامرئ القيس بن حجر فحل الشعراء ، وكان يعرف بابن تملك ، وتملك أمه ، وهى بنت عمرو بن زيد ابن مذحج ، وبها كان يعرف بنوه .

١٦

امرؤ القيس بن الحارث الكندى

هو امرؤ القيس بن الحارث بن معاوية . قالوا : وهو الذى ينسب إليه فيقال « مرقسىّ » وأما سواه فيقال إن النسبة إليه « مرئى » . ويقال إن الاختصاص بالمرقسى كان من حظ سابقه ابن تملك .

١٧

امرؤ القيس بن السمط الكندى

هو من بنى معاوية الأكرمين .

١٨

امرؤ القيس بن خلف التميمى

هو أمرؤ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن زيد مناة ابن تميم ، وهو جد الزبرقان بن بدر المشهور .

١٩

امرؤ القيس بن عمرو بن عدى اللخمى

هو والد النعمان الأكبر الذى كان يلقب بالأعور . والنعمان هذا هو ابن الشقيقة بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهى جدة النعمان بن المنذر الذى قيل إن النابغة هجاه بقوله :

حَدِّثُونِى بَنِى الشَّقِيقَةِ مَا يَمْـــنَعُ فَقْعًا بِقَرْقَرٍ أَنْ يَزُولا

ويقول ابن الأعرابى إن القطعة التى منها هذا البيت هى لعبد قيس ابن خفاف البرجمى (١) . والنعمان بن امرئ القيس هذا هو صاحب الخورنق (٢) الذى بناه له سنمار الرومى وألقاه النعمان من فوق شرفاته فمات لوقته ، قيل إن النعمان هذا بعد أن تمتع بالملك دهراً ونعم بملاذه

(١) قيل إن عبد قيس بن خفاف البرجمى كان شاعراً من جملة الشعراء ، وكان شريفا فى قومه ، شجاعا مقداما — وكان كريما مبذالا — وله مع حاتم الطائى حادث دل على فضل الاثنين ، وله حادث مع النابغة الذبيانى ، رواهما صاحب الأغانى .

(٢) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر بن امرئ القيس بظهر الكوفة. ومعنى خورنق بالفارسية : موضع الأكل والشرب وفارسيته (الخرنكاه) قالوا: إن سبب بناء الخورنق أن بعض أولاد الأكاسر ، كان به داء فوصف له هواء ما بين البدو والحضر ، فبنى له ذلك القصر وكان من عجائب المبانى المشهورة على وجه الدهر .

زمنا ، ارعوى وزهد فى الدنيا وملاذها ، فلبس مسوح الرهبان وترك ملكه وهام على وجهه فلم يعرف له خبر ، ولم يوقف له على أثر . وهو الذى أشار إليه عدى بن زيد فى قصيدته التى بعث بها من محبسه إلى النعمان ابن المنذر حيث يقول :

أَيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالدَّهْـ ـرِ أَأَنْتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَ يَّامِ بَلْ أَنْتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ المنونَ خَلَّدْنَ أَم مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الملوكِ أَنُوشِرْ وانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سابُورُ
وبَنو الأَصْفَرِ الكِرَامُ مُلوكُ الـ ـرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكورُ
وأَخو الحَضْرِ إِذْ بَناهُ وإِذْ دِجْـ ـلَةُ تُجْبَى إِلَيْـهِ والخَابُورُ
شادَهُ مَرْمَرًا وجَلَّلَهُ كِلْـ ـسًا فَلِلطَّيْرِ فى ذُراهُ وُكُورُ
وتَبَيَّنْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إِذْ أَشْـ ـرَفَ يَوْمًا ولِلْهُدَى تَفْكِيرُ[1]
سَرَّهُ حالُهُ وكَثْرَةُ ما يَمْـ ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضًا والسَّدِيرُ[2]
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فقالَ وما غِبْـ ـطَةُ حَيٍّ إِلى المَماتِ يَصِيرُ
ثم بَعْـدَ الفَلاحِ والمُلْكِ والإِ مَّةِ وَارَتْهُمُ هُنـاكَ القُبُورُ
ثم أَضْحَوا كَأَنَّهُمْ ورَقٌ جَـ ـفَّ فَأَلْوَتْ بِهِ الصَّبَا والدَّبُورُ

---

(١) رب الخورنق : هو النعمان بن امرئ القيس

(٢) السدير : قيل إنه قصر ، بنى إلى جانب الخورنق بناه النعمان بن المنذر لبهرام جور «يزدجر : ملك الفرس » وكان يحوى ثلاث قباب متداخلة بعضها فى بعض ، وأصل الكلمة فارسية (سه دير) فسه معناها ثلاث . ودير معناها قبة بالفهلوية ، وهى الفارسية القديمة .

٢٠

امرؤ القيس بن جبلة السكونى

٢١

امرؤ القيس بن الفاخر الخولانى

هو امرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولانى . أبو شرحبيل كان ممن شهد فتح مصر فى جيش عمرو بن العاص . ويقال إنه من الصحابة .

٢٢

امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي

هو امرؤ القيس بن الاصبغ بن دؤالة الكلبي . من ولد جشم بن كعب ابن عامر بن عوف . قالوا إنه كان زعيم قومه ، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم عاملا على بنى كلب . وفى عهد وفاة الرسول صلوات الله عليه ، كان امرؤ القيس هذا عاملا على قضاعة .

٢٣

امرؤ القيس أبو الخير الكندى

هو أبو الخير بن معدان بن الاسود بن معديكرب الكندى . كان يلقب بـ « الجفشيش » وله شأن فى أخبار الصحابة . ومما روى من شعره قوله :

جَاءَتْ بِنَا العَيسُ مِنْ أَعْرَابِ ذِي يَمَنٍ ... تَغُورُ غَوْرًا بِنَا مِنْ بَعْدِ إِنْجَادِ

حَتى أَنَخْنَا بِجَنْبِ الهَضْبِ مِنْ مَلَلٍ ... إِلَى الرَّسُولِ الامِينِ الصَّادِقِ الهَادِي

وزعموا أنه هو القائل فى الردة :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ إِذْ كانَ صادِقًا ... فَيَا عَجَبًا مَا بَالُ مُلْكِ أَبِى بَكْرِ

والمعروف أن هذا البيت إنما هو للحطيئة . وقد ورد هنا محرفا والصواب أن الحطيئة قال :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ مُذْ كانَ بَيْنَنا ... فَيَا لَعِبَادِ اللهِ مَا لِأَبِى بَكْرِ

أَيُورِثُها بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ ... وتِلْكَ لَعَمْرُو اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

ومما ذكره عمر بن شبة أن الجفشيش كان فيمن ارتد من كندة ، وأنه أخذ أسيراً ثم قتل . وفى رواية البلاذرى أن الجفشيش كان ممن ارتد مع الاشعث بن قيس بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما طلب الاشعث الامان لقومه أخذ الجفشيش بحقوه وقال : اجعلنى من عدة قومك . فأدخله الاشعث وأخرج نفسه .

٢٤
امرؤ القيس بن عمرو بن الأزد

قيل إنهم دخلوا فى غسان .

٢٥
امرؤ القيس بن زيد مناة بن تميم

هذا اسم أطلق على القبيلة التى منها هشام المرئى الذى كان يهاجيه ذو الرمة . ومما هجاه به القصيدة التى منها البيت المستشهد به هناك . والقصيدة هى كما قال ذو الرمة :

نَبَتْ عَيْناكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى عَفَتْهُ الرِّيحُ وامْتَنَعَ القِطارَا (١)

بِهِ قِطَعُ الْأَعِنَّـــةِ والْأَثَافِى وأَشْعَثُ خاذِلٌ فَقَدَ الإِصارا (٢)

كأَنَّ رُسُومَهُ بُسِطَتْ عَلَيْها ثِيابُ الْوَشْيِ أَوْ لَبِسَ النِّمَارَا (٣)

مَنازِلُ كلِّ آنِسَةٍ رَداحٍ يَزِينُ بَياضُ مَحْجِرِها الخِمَارَا

تَبَسَّمُ عَنْ أَشانِبِ واضِحاتٍ ومِيضُ البَرْقِ أَنْجَدَ فاسْتَطَارَا

أَوَانِسُ وُضَّحِ الْأَجْيادِ عِينٌ تَرَى مِنْهُنَّ فى المُقَلِ احْوِرَارَا

كأَنَّ حِجالَهُنَّ أَوَتْ إِلَيْها ظِباءُ الرَّمْلِ بَاشَرَتِ المَغَـــارَا (٤)

أَعَبْدَ بَنِي امرئِ القَيْسِ ابنِ لؤْمٍ أَلَمْ تَسْأَلْ قُضاعَةَ أَوْ نِزَارَا

فَتُخْبَرَ أَنَّ عِيصَ بَنِى عَدِيٍّ تَفَــرَّعَ بَيْتُهُ الحَسَبَ النُّضارَا (٥)

وأَنَّ بَنى امْرِئَ القَيْسِ ابْنِ لؤْمٍ أَبَتْ عِيدانُها إِلَّا انْكِسارا

وأَنِّى حِينَ تَزْخَرُ لِى رَبَانِى عَماعِمُ أَمْتَـــعَ الثَّقَلَيْنِ جارا (٦)

أُنَاسٌ أَهْلَكُوا الرُّؤَساءَ قَتْلًا وقادوا النَّاسَ طَوْعًا واعْتِسارا

أُنَاسٌ إِنْ نَظَرْتَ رَأَيْتَ مِنْهُمْ وَرَاءَ حِمَاىَ أَطْوَادًا كِبارَا

---

(١) حزوى : موضع . القطار : يريد به المطر .

(٢) قطع الأعنة : بقايا أعنة الخيل . والأثافى : الحجارة التى كانت تتخذ لإنضاج الطعام . ويريد بالأشعث . الوتد الذى كانت تربط إليه الخيل والركاب ، والإصار : الحبل الذى كان يشد إلى هذا الوتد .

(٣) النمار : الحبرة ، أو الشملة الملونة بالنكت البيض والسود .

(٤) يريد بالحجال : الخدور اللاتى يأوين إليها .

(٥) يريد بالعيص : الأصل الذى تفرع منه .

(٦) تزخر تملأ وتفيض . والعماعم : الجماعات المتفرقون .

وَمِنْ زَيْدٍ عَلَوْتُ عَلَيْكَ ظَهْرًا جَسِيمَ الْمَجْدِ والعَدَدِ الكُثَارَا
أَنَا ابْنُ الرَّاكِزِينَ بِكُلِّ ثَغْرٍ بَنِى جُــلٍّ وخالُ بَنِى نَوَارَا
وتَزْخرُ مِنْ وَرَاءِ حِمَاىَ عَمْرٌو بِذِى ضَدْيَنِ يَكْتَفِئُ البِحارَا

وقد رفده جرير فى هذه القصيدة بهذه الابيات :

يَعُـدُّ النَّاسِبُونَ إلى تَمِيمٍ بُيُوتَ المَجْدِ أَرْبَعَةً كِبارَا
يَعُدُّونَ الرِّبابَ وآل سَعْدٍ وعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الخِيارَا
ويَهْلِكُ وَسْطَها المَرْئِىُّ لَغْوًا كَمَا أُلْغِيَتَ فى الدِّيَةِ الحِوَارَا (١)

ويقال أن ذا الرمة مر بالفرزدق فقال له الفرزدق : أنشدنى ما قلت فى المرئى ؟ فلما أخذ فى إنشاده القصيدة وبلغ منها إلى هذه الابيات الثلاثة قال له الفرزدق : حسن ؟ أعد علىَّ . فلما أعاد . قال له : تالله لقد علكهن أشدّ لحيين منك ! يعنى جرير . وهى طويلة . وفيها يقول :

أَلا لَعَنَ الإِلٰهُ بِذاتِ غِسْلٍ ومَرْأَةَ ما حَدَا اللَّيْلُ النَّهارَا (٢)
نِساءَ بَنِى امْرِئِ القَيْسِ اللَّوَاتِى كَسَوْنَ وُجُوهَهُمْ حَمَمًا وَقَارَا
إذا المَرْئِىُّ شَبَّ لَهُ بَنَــاتٌ عَقَدْنَ بِرَأْسِهِ إِبَةً وعارَا
إذا المَرْئِىُّ سِيقَ لِيَوْمِ فَخْرٍ أُهِينَ ومَدَّ أَبْوَاعًا قِصَارَا

ومما يروى لذى الرمة فى هجاء امرئ القيس ـ وهى القبيلة التى منها هشام المرئى ـ قوله :

إِنِّى إذا ما عَجَزَ الْوَطْوَاطُ وكَثُرَ الْهِبَاطُ والمِيَــاطُ (٣)

(١) أى يسقط لأنه لاقيمة له ، كالحوار الذى لايغنى فى الدية ، والحوار : ولد الناقة
(٢) ذات غسل : موضع ، وكذلك مرأة موضع آخر .
(٣) الوطواط : يريد به الضعيف الجبان .

وَالْتَفَّ عِنْدَ العَرَكِ المِخْلَاطُ لَا يُتَشَكَّى مِنِّيَ الخِـــلَاطُ
إنَّ امْرَأَ القَيْسِ هُمُ الأَنْبَاطُ (١)

الأنباط وأصل قريش

وعلى ذكر الأنباط أقول : إن الأنباط أو النبط ، فيما عرف عند العرب ، جيل من الناس كانوا ينزلون البطائح وسواد العراقين ، وإنما سمو نبطا لاستنباطهم ما يخرج من الارض من ماء ونبات . أى أنهم كانوا من مهرة الزرّاع .

وعلى هذا يحق لى أن أضيف إلى اسمهم اسما جديدا ، وهو : الانبات . وما الطاء إلا تاء مفخمة . لانهم ينبتون الارض ، أو هم على التعبير المصرى : فلاحون .

والمقول أن قريشاً كانت من أصل نبطى . فقد روى الرواة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنا نبط من كوثى » وكوثى هذه بلد ناحية بابل من أرض العراق . ويقال لها : كوثى ربّى (٢) . وفيها ولد الخليل إبراهيم عليه السلام ، ومنها كانت أمه . ويقال إن أباها هو الذى حفر نهر كوثى وبه سمى النهر . وذكروا أن عليا كرم الله وجهه ، كان يقول : من كان سائلا عن نسبتنا فإنا نبط من كوثى . كما أن ابن عباس قال : نحن معاشر قريش حى من النبط ، من أهل كوثى .

---

(١) الأنباط : يريد أنهم ليسوا عربا . وانظر مابعد .

(٢) كوثى التى ولد بها الخليل هى التى كانت تسمى قديماً (أور الكلدانيين) وهى التى تسمى الآن (أورفا) أو (الرها) وهى على نهر الفرات ، وهى سرة السواد بالعراق .

والمراد من ذلك كله أن قريشاً من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الذى هو من أهل كوثى نبط العراق .

وزعم بعض المتأولين أن ذلك إنما كان من على وابن عباس تبرؤاً من الفخر بالانساب ، وردعا عن الطعن فى الاسباب ، وتحقيقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ولم يذكروا قول النبى . . .

وأقول : ولعل النسبة إلى النبط إنما صارت نبذا بعد أن ورد فى بعض الاحاديث قوله : « لا تَنَبَّطُوا فى المدائن » أى لا تتخذوا المدائن سكناً لكم كالنبط وتتشبهوا بهم فى اعتقاد العقار والملك فيها ولزوم أرضها . وإذا صح هذا فيكون المراد منه ألا يشغلوا أنفسهم بما يحول بينهم وبين القيام بنشر الدعوة إلى الإسلام فى الامم والتجرد لها واتخاذ الاهبة لبثها فى شعوب الارض بكل الطرق الممكنة ، من الغزو والفتوح ومقاومة من يقف فى سبيل هذه الدعوة ، حتى يكون الدين كله لله ، ولا يعبد فى الارض سواه . ولا يكون ذلك إلا بالتخلى عما يشغل عن ذلك من شؤون الدنيا وعن التقيد بأسبابها . هذا ما أراه فى هذا الشأن .

ويرى الباحثون من الاوربيين فى العصر الحديث أن الانباط كانوا قد تركوا بلادهم التى كانت فى شواطئ دجلة والفرات واستقروا ببلاد الحجر المعروفة ببلاد بطرا . فكانوا بها منذ عهد بختنصر الثانى . وزعم كاترمير أنهم من أصل آرامى أو سريانى . ومن الغريب أن ديودوروس الصقلى [1]

---

(١) ديودوروس الصقلى : مؤرخ يونانى قديم ولد فى مدينة آجريوم من أعمال جزيرة صقلية . كان وضع كتابا فى التاريخ العام وسماه « خرافة التاريخ » بدأه منذ فجر التاريخ إلى سنة ٥٨ ق م وهى السنة التى سار فيها يوليوس قيصر على رأس الجيوش =

ذكر من أخلاقهم وعاداتهم أنهم كانوا يعاقبون بالقتل من بذر بذورا فى الارض ، أو غرس شجرا مثمراً ، أو أقام بيتاً يأوى إليه . بدعوى أن من يصنع شيئاً من هذا يسهل الهوان عليه ، ويعجز عن دفع العدوان إذا مسه الشر من مغير . وكانت البرية هى مأواهم بلا جدار قائم ، ولا حاجز دائم . وكانت التجارة هى شغلهم الشاغل . وكانت ترد إليهم المتاجر من أقاصى الشرق فى البحر الاحمر فيقومون بحملها ونقلها إلى شواطئ البحر المتوسط وكانوا إذا هددهم عدو مغير أكثر منهم عددا استدرجوه إلى أماكن اعتزالهم ثم انزووا فوق صخرتهم المنيعة ، فيضطروه إلى السلم أو الجوع والعطش حتى يهلك . وعلى هذه الصخرة أنشئت مدينة بطرا . وظلت بلاد الحجر العربية منفردة بشؤونها لا يستطيع أى جيش مهما عظم ، النيل منها ، إلى أن ضمت إلى الإمبراطورية الرومانية فى أوائل القرن الثالث للميلاد . وفى عهد تراجان كان العامل عليها كورفيليوس فجعل منها فلسطين ثالثة ، وقد أخذت مدينة بطرا فى التقدم فى العمران ، فأنشئت فيها المبانى الفخمة ، وزينت بأجمل الزينات ، وصار فيها من المعابد والمسارح والملاعب ما يستوقف النظر ، كما جرت بها القنوات للماء . وفى هذه الحالة صارت مستودعا لتجارة عظيمة . ثم أخذ الانباط بعد ذلك يتوارون بالتدريج حتى أفناهم الزمن وأزالهم من التاريخ .

أقول : وكل هذا لا يمنع أن تكون قريش من أصول هذا النوع السامى إذا صحت تلك الروايات . فإن ما ذكره المؤرخون الاوربيون من أحداث إنما وقع بعد هجرة الخليل إلى جزيرة العرب بأدهار متطاولة .

= لغزو بلاد الغال . وقد كان زار مصر وكتب عن تاريخها ووصف ماوقف عليه من آثارها . قيل إنه مات حوالى سنة ٣٥ ق . م

٣٦

امرؤ القيس بن حارثة الكلبي المـآزري

قيل كان مع الوليد بن يزيد فى حروبه مع يزيد بن الوليد الاموى .

٣٧

امرؤ القيس بن زيد بن عبد الأشهل

هذا أحد البطون التى تتخلل القبائل .

٣٨

امرؤ القيس بن عوف بن عامر

وهذا أيضا بطن من بنى كلب يعرفون ببنى ماوية ، وهى أمهم وكانت من بهراء .

هذا ما عثرت عليه ممن تسمى أو تلقب بامرئ القيس . ولست على ثقة من عدم تحريف الرواة وخلطهم بين الآباء والاجداد ؛ فكثيرا ما يحدث ذلك والله تعالى يلهمنا الصواب .

انتهى كتاب أخبار المراقسة وأشعارهم . ويليه أخبار النوابغ وآثارهم

نسأل الله العون والرضا

أخبار النوابغ وآثارهم

في الجاهلية وصدر الإسلام

تأليف

حسن السندوبي

١٣٧٨ — ١٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد : فقد عنّ لى أن ألحق بكتاب « أخبار المراقسة وأشعارهم » الملحق بشرحنا على ديوان امرئ القيس كتابا فى « أخبار النوابغ وآثارهم » ليكون بذلك مجموعة جيدة فى الادب يستفيد منها طالب الثقافة الادبية ، وتكون مرجعا يتذكر به محب الاطلاع ما غشته الايام بعوامل النسيان ، وفى كل ذلك من الفوائد ما لا خفاء به ، والله تعالى يوفقنا إلى خدمة أبناء العروبة ، بما نستحق عليه رضاه ، إنه بيده الخير ، وهو الهادى إلى سبل الرشاد ؟

حسن السندوبى

١

النابغة الجعـــدى

هو أبو ليلى، نابغة بنى جعـدة [١] وإنمـا بدأنا به وقدمناه على النابغة الذبيانى لأنه فى الحقيقة قد تقدمه فى الوجود، كما تأخر بعده زمنا طويلا. فقد كان شاعرا مفلقا، ونديمـا كريما للمنذر بن مُحَرِّق ملك الحيرة، وكان قبل النعمان بن المنذر الذى ظهر النابغة الذبيانى فى عصره ونادمه، وكان له معه أحداث، ومن شعره الدال على قدمه وطول عمره، قوله:

أَلَا زَعَمَتْ بَنُو أَسَدٍ بِأَنِّى ... أَبُو وَلَدٍ كَبِيرُ السِّنِّ فانِى

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّى فإِنِّى ... مِنَ الفِتْيَانِ أَيَّامَ الخُنَانِ [٢]

أَتَتْ مائَةٌ لِعامٍ وُلِدْتُ فِيهِ ... وعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وحِجَّتَانِ [٣]

وقدْ أَبْقَتْ صُروفُ الدَّهْرِ مِنِّى ... كما أَبْقَتْ مِنَ السَّيْفِ اليمانِى

وقوله:

قالتْ أَمامَةُ كَمْ عَمِرْتَ زَمانَهُ ... وذَبَحْتَ مِنْ عُتُرٍ على الأَوْثانِ [٤]

---

(١) اختلفوا فى اسمه فقيل إنه: حسان بن قيس بن عبد الله، وينتهى نسبه إلى جعدة بن كعب. وقيل إنه: قيس بن عبد الله. وقيل إنه: عبد الله بن قيس الخ ولذلك تركنا اسمه واعتمدنا كنيته ولقبه.

(٢) قيل إنها كانت وقعة لهم فقال قائل منهم — وقد لقوا عدوهم — خنوهم بالرماح. وقيل إن الخنان مرض كان قد أصاب الناس والدواب فى الأنوف والحلوق وبه مات خلق.

(٣) يعنى أنه قال هذه الأبيات وله من العمر ١١٢ سنة.

(٤) العتر، جمع العتيرة: وهى: شاة كانوا يذبحونها فى رجب لأوثانهم.

فَلَقَدْ شَهِدْتُ عكاظَ قبلَ محلّها ... فِيها وكنتُ أُعدُّ مِ الفِتْيانِ (١)

والمُنْذِرَ بنَ مُحَرِّقٍ فى مُلْكِهِ ... وشَهِدْتُ يومَ هِجانِ النُّعْمانِ (٢)

وعَمَرْتُ حتّى جاءَ أحمدُ بالهُدَى ... وقَوارِعٍ تُتْلَى مِنَ القُرْآنِ

ولبِسْتُ فى الإسْلامِ ثَوْبًا واسِعاً ... مِنْ سَيْبِ لا حَرِمٍ ولا مَنّانِ

وقوله :

لَبِسْتُ أُناسًا فأَفْنَيْتُهُمْ ... وأَفْنَيْتُ بَعْدَ أُناسٍ أُناسَا

ثلاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ ... وكانَ الإلٰهُ هُوَ المُسْتآسا (٣)

وعِشْتُ بِعَيْشَيْنِ إنَّ المُنونَ ... تَلْقَى المَعايشَ فِيها خِساسَا

فَحِينًا أُصادِفُ غِرّاتِها ... وحِينًا أُصادِفُ مِنْها شِماسَا (٤)

نَشأْتُ غُلاما أُقاسِي الحُرُوبَ ... وَيلْقَى المُقاسُونَ مِنّى مِراسَا

وحُمْرٍ مِنَ الطّعْنِ غَلْبِ الرِّقا ... بِ كالأسْدِ يَفْتَرِسُونَ افْتِراسَا

---

(١) يقول إنه كان فتى قبل أن تكون عكاظ سوقا للعرب يجتمعون فيها فى ذى القعدة ، يتبايعون ، ويتفاخرون ، ويتناشدون الأشعار ، ثم يتفرقون فى نهاية الشهر . وربما حدثت فيها حروب ووقائع.

(٢) كان للنعمان بن المنذر هجائن يعتز بها لامتيازها على غيرها من الهجن ،وكان لها يوم يستعرضها فيه .

(٣) قيل إن عمر بن الخطاب سأله : كم لبثت فى كل أهل ؟ فقال : ستين سنة . يعنى أنه كان فى حال حديثه مع عمر قد قطع من العمر : ١٨٠ سنة . وهذا هو الذى اعتمده ابن قتيبة فى حساب سنه ثم عاش بعد ذلك ٤٠ سنة فيكون مجموع عمره : ٢٢٠ سنة.

(٤) الشماس : النفور .

شَهِدْتُهُمُ لا أُرَجِّى الحَيا ... ةَ حَتَى تَساقُوا بِسُمْرٍ كِياسا(١)

وشُعْثٍ يُطابِقْنَ بِالدَّارِعِيْنَ ... طِباقَ الكِلابِ يَطَأْنَ الهَرَاسا(٢)

فَلَما دَنَوْنَا لِجَرْس النُّبُوحِ ... ولا تُبصِرُ الحَيَّ إلَّا التِماسا(٣)

أَضاءَتْ لنا النَّارُ وجْهًا أَغَرَّ ... مُلْتَبِسًا بِالفُؤادِ الْتِباسا

يُضِىءُ كَضَوْءِ سِراجِ السَّلِيطِ ... لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحاسا(٤)

بِآنِسَةٍ غَيْرِ أُنْسِ القِرَافِ ... وتَخْلِط بِالْأَنْسِ مِنْها شِماسا(٥)

إذَا ما الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا ... تَثَنَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسا

ومما قاله أيام جاهليته من الشعر هذه الأبيات الآتية ، وكان عقال بن خويلد العقيلى أجار قتلة قوم قتلوا بعض بنى جعدة ثم تراضوا على الدية فأداها عنهم ، فقال النابغة يحذره عاقبة الظلم :

أَيَا دارُ سَلْمى بِالحَرُورِيَّةِ اسْلَمى ... إلى جانِبِ الصمَّانِ فَالمُتَثَلَّمِ(٦)

أَقامَتْ بِهِ البَرْدَيْنِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ ... مَنَازِلَها بَيْنَ الدَّخولِ فَجُرْثُمِ(٧)

---

(١) كياسا : يريد كؤوسا . وكياس تسهيل كئاس .

(٢) يقول : ورب خيل شعث تطأ الدارعين وهم الذين يلبسون الدروع فى الحرب . والهراس شجر شائك له ثمر كالنبق .

(٣) جرس النبوح : صوت الكلاب النابحة .

(٤) السليط : الزيت . النحاس : الدخان .

(٥) غير أنس القراف . يريد أنها آنسة فى غير تبذل . والشماس : النفور .

(٦) الحرورية : اسم مكان . وكذلك الصمان والمتثلم .

(٧) البردان : العصران ، أو الغداة والعشى . والدخول وجرثم : اسمهما كانين .

وَمَسْكَنُهَا بَيْنَ الْعُزُوبِ إِلَى اللِّوَى ... إِلَى شُعَبٍ تَرْعَى بِهِنَّ فَعَيْهَمِ (١)

لَيَالِيَ تَصْطَادُ الرِّجَالَ بِفَاحِمٍ ... وَأَبْيَضَ كَالْإِغْرِيضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ (٢)

فَأَبْلِغْ عِقَالًا إِنَّ غَايَةَ دَاحِسٍ ... بِكَفَّيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقَدَّمِ (٣)

تُجِيرُ عَلَيْنَا وَائِلًا فِى دِمَائِنَا ... كَأَنَّكَ عَمَّا نَابَ أَشْيَاعَنَا عَمِ

كُلَيْب لَعَمْرِى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا ... وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ

رَمَى ضِرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ ... كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِى الْمُسَهَّمِ

وَمَا يَشْعُرُ الرُّمْحُ الْأَصَمُّ كُعُوبُهُ ... بِثَرْوَةِ رَهْطِ الْأَبْلَجِ الْمُتَوَسِّمِ

وَقَالَ لِجَسَّاسٍ أَغِثْنِى بِشَرْبَةٍ ... تَفَضَّلْ بِهَا طَوْلًا عَلَىَّ وَأَنْعِمِ (٤)

فَقَالَ تَجَاوَزْتَ الْأَحَصَّ وَمَاءَهُ ... وَبِطْنَ شُبَيْثٍ وَهُوَ ذُو مُتَرَسَّمِ

قال أبو عبيدة: كان النابغة ممن فكر فى الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما يفعلان بالعقل، وهجر الأوثان، وترك الأزلام، وكان يصوم ويستغفر ويذكر دين إبراهيم والحنيفية، ويتوقع أشياء لعواقبها. ومما قاله فى ذلك:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

وعندى أن هذا البيت ـ ولم أقف له على أخوات ـ يدل على اعتناق الدين الإسلامى، أى أنه قاله بعد أن أسلم على يدى الرسول صلوات الله

---

(١) كل هذه أسماء أماكن.

(٢) يريد بالفاحم: الشعر. وبالأبيض الذى هو مثل الإغريض: ثناياها. والإغريض: ما ينشق عنه طلع النخلة، وهو أبيض كاللبن.

(٣) يريد أن الأمر الذى فى يديك قد يؤدى إلى حرب كحرب داحس والغبراء فى بنى عبس، إذا لم تحسن التصرف فيه.

(٤) مضى أن كليبا قال لجساس هذا البيت وهو فى حالة الاحتضار. وعندى أن الأمر ليس كذلك بل إن بعض الرواة نسبه خطأ إلى كليب والصواب أنه للنابغة الجعدى قاله فى معرض التمثيل كما هو هنا. وكذلك البيت الذى بعده.

عليه . وإذا كان قد قاله قبل إعلان إسلامه فيكون قد ترامت إليه المبادئ الإسلامية وعرف الاساس الذى قام بناؤها عليه ، وهو محو الشرك ، والاعتقاد بإله واحد ، ولذلك بادر إلى الوفود على الرسول صلوات الله عليه وأعلن إسلامه ، وأنشده هذه القصيدة التى أروى ما اخترته منها هنا ، وهى :

خَلِيلَىَّ عُوجا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا ولُومَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا

ولَا تَجْزَعَا إِنَّ الحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ نَخِفَّا لِرَوْعَاتِ الحَوَادِثِ أَوْقَرَا

وإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تُطِيقَانِ دَفْعَهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضى اللهُ واصْبِرَا

أَلَمْ تَرَيَا أَنَّ المَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّىْءُ وَلَّى وأَدْبَرَا

تَهِيجُ الْبُكَاءَ والنَّدَامَةَ ثُمَّ لَا تُغَيِّرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ قُدِّرَا

خَلِيلَىَّ قَدْ لَاقَيْتُ مَا لَمْ تُلَاقِيَا وسَيَّرْتُ فى الأَحْيَاءِ مَا لَمْ تُسَيِّرَا

تَذَكَّرْتُ والذِّكْرَى تَهِيجُ لِذِى الهَوَى ومِنْ حَاجَةِ المَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا

نَدَامَاىَ عِنْدَ المُنْذِرِ بْنِ مُحَرِّقٍ أَرَى اليَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الأَرْضِ مُقْفِرَا (١)

كُهُولاً وشُبَّانًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شِيفَ فى أَرْضِ قَيْصَرَا (٢)

ومَازِلْتُ أَسْعَى بَيْنَ بَابٍ ودَارِهِ بِنَجْرَانَ حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَتَنَصَّرَا (٣)

لَدَى مَلِكٍ مِنْ آلِ جَفْنَةَ خَالُهُ وجَدَّاهُ مِنْ آلِ امْرِئِ القَيْسِ أَزْهَرَا

---

(١) يريد به المنذر بن النعمان بن المنذر بن محرق ملك الحيرة .

(٢) يصفهم بالحسن والملاحة ، ويشبههم بالدنانير التى كانت تضرب فى بلاد الروم . وهى أرض القياصرة .

(٣) نجران : موضع بحوران من نواحى دمشق . وكان بها بعض قصور لآل جفنة الغساسنة ملوك الشام . فهو يصف نفسه بأنه كان من زوار الملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام .

يُدِيرُ عَلَيْنَا كأْسَهُ وشِوَاءَهُ مَنَاصِيفُهُ والحَضْرَمِىُّ المُحَبَّرَا (١)
رَحِيقًا عِرَاقِيًّا وَرَيْطًا يمانِيًا ومُعْتَبَطًا مِنْ مِسْكِ دَارِينَ أذْفَرَا (٢)

* * *

ومَهْمَا يَقُلْ فِينَا العَدُوُّ فإنَّهُمْ يَقولونَ مَعْرُوفًا وآخَرَ مُنْكَرَا
فَمَا وَجَدَتْ من فِرْقَةٍ عَرَبِيَّةٍ كَفِيلًا دَنَا مِنَّا أعَزَّ وأنْصَرَا
وأسْرَعَ مِنَّا إنْ أرَدْنَا انْصِرَافَةً وأكْثَرَ مِنَّا دَارِعِينَ وحُسَّرَا
وأجْدَرَ أنْ لا يَتْرُكوا عَانِيًا لَهُمْ فَيغْبُرَ حَوْلًا فى الحَدِيدِ مُكَفَّرَا (٣)

* * *

حَسِبْنَا زَمَانًا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً لَيَالِىَ إذ تَغْدُو جُذَامًا وحِمْيَرَا (٤)
إلى أنْ لَقِينَا الحَىَّ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ ثَمَانِينَ ألْفًا دَارِعِينَ وحُسَّرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ أبَتْ عِيدَانُهُ أنْ تَكَسَّرَا (٥)
سَقَيْنَاهُمُ كأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا ولٰكِنَّنَا كُنَّا على المَوْتِ أصْبَرَ
بِنَفْسِى وأهْلِى عُصْبَةٌ سُلَمِيَّةٌ يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا عَنَاجِيجَ ضُمَّرَا (٦)

---

(١) مناصيفه: خدمه. والحضرمى المحبر: يريد به ثيابا أو برودا كانت تصنع بحضرموت، وكانت محبرة أى موشاة حسنة.

(٢) وكذلك كان يقدم إليه الرحيق العراقى، وهى الخمر المعتقة. وكذلك الريط، وهى ثياب كانت تصنع باليمن، مع المسك الأذفر الذى كان يجلب من دارين التى هى من مدن البحرين.

(٣) العانى: الأسير المكبل بالحديد.

(٤) جذام وحمير: من قبائل اليمن.

(٥) يريد بالنبع: الرماح.

(٦) العناجيج: يريد بها الخيل.

وقالوا لنا أَحْيُوا لنا مَنْ قَتَلْتُمْ ... لَقَدْ جِئْتُمُ إِدًّا مِنَ الْأَمْرِ مُنْكَرَا

ولسْنا نَرُدُّ الرُّوحَ فى جِسْمِ مَيِّتٍ ... ولكِنْ نَسُلُّ الرُّوحَ مِمَّنْ تَيَسَّرَا

نُمِيتُ ولا نُحْيِي كذَاكَ صَنِيعُنا ... إِذَا البَطَلُ الحَامِى إلى الموتِ أَهْجَرَا

مَلَكْنا فَلَمْ نَكْشِفْ قِنَاعًا لِحُرَّةٍ ... ولَمْ نَسْتَلِبْ إِلَّا الحَدِيدَ المُسَمَّرَا

ولوْ أَنَّنا شِئْنَا سِوَى ذَاكَ أَصْبَحَتْ ... كرَائِمُهُمْ فِينَا تُبَـاعُ وتُشْتَرَا

ولكِنَّ أَحْساباً نَمَتْنَا إلى العُلَى ... وآباءَ صِدْقٍ أَنْ نَرُومَ المُحَقَّرَا

وإِنَّا لقَوْمٌ ما نَعَـوِّدُ خَيْلَنا ... إِذَا مَا التَقَيْنَا أَنْ تَحِيدَ وتَنْفِرَا

ونُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا ... مِنَ الطَّعْنِ حَتى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا[1]

ولَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لنَا أَنْ نَرُدَّها ... صِحَاحًا ولا مُسْتَنْكرًا أَنْ تُعَقَّرَا

بَلَغْنَا السَّماءَ مَجْـدُنا وسَنَاؤُنَا ... وإِنَّا لَنَرْجُوا فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فيقال أن النبيَّ عليه الصلاة والسلام قال له ـ عندما سمع هذا البيت ـ فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة يا رسول الله ! فقال : إن شاء الله ، إن شاء الله .

أَتَيْنَا رسول اللهِ إِذْ جاءَ بِالهُدَى ... ويَتْلُوا كِتاباً كالمَجَرَّةِ أَزْهَرَا

وجاهَدْتُ حَتى ما أَحِسُّ ومَنْ مَعِى ... سَهَيْلًا إِذَ ما لاحَ ثَمَّتَ غَوَّرَا

أُقِيمُ عَلى التَّقْوَى وأَرْضَى بِفِعْلِها ... وكُنْتُ مِنَ النَّارِ المَخُوفَةِ أَحْذَرَا

ولا خَيْرَ فى حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ له ... بَوَادِرُ تَحْمِى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

ولا خَيْرَ فى جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إِذَا ما أَوْرَدَ الأَمْرَا أَصْدَرَا

وعندما قال هذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أجدت ! لا يفضض

(١) الجون : الأسود . الأشقر : الذى علته حمرة .

الله فاك . . . (١)

ويقال إنه زار يوما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنشده الابيات السينية التى مضت قبل ، فقال له عمر عند ما سمعها : كم لبثت مع كل أهل يا أبا ليلى فقال : ستين سنة . . .

ودخل على عثمان يوما فقال له : أستودعك الله يا أمير المؤمنين ! فقال له : وأين تريد يا أبا ليلى ؟ فقال : ألحق بإبلى فأشرب ألبانها فإنى منكر لنفسى ! فقال : أتعرباً بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ أما علمت أن ذلك مكروه ؟ فقال : ما علمته ، وما كنت لأخرج حتى أعلمك . فأذن له وضرب له أجلا . . .

ثم مال إلى بيت على كرم الله وجهه ليودعه وأولاده . فقال له الحسن والحسين رضى الله عنهما : أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى ! فأنشدهما :

الْحَمْدُ لِلهِ لا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقُلْها فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

فقالا : يا أبا ليلى ، ما كنا نروى هذا الشعر إلا لأمية بن أبى الصلت ؟ فقال : يا ابنى رسول الله ، إنى لصاحب هذا الشعر وأول من قاله ! وإن

(١) زعموا أن النابغة ظل بقية عمره لم ينقص له سن ولا ضرس ، وأنه كلما سقطت له سن نبتت له غيرها . وهذا لا يستساغ طبعاً . وقد ذهب القائلون بهذا إلى أن ذلك كان ببركة دعوة الرسول عليه السلام ، فقد يكون ذلك ، ولكن هناك معنى آخر يؤخذ من دعوة الرسول صلوات الله عليه ، وهو أنه إنما أراد إظهار الاستحسان لنشيد النابغة فدعا له ، وذلك فى سنن العرب فهم يقولون لمن يجيد شيئاً : لله درك ، ولله أبوك ، ولا فض فوك . والمراد بذلك أن يستمر فى إجادته ما بقى فى الحياة . ولا دخل لهذا كله فى طبيعة أعضاء الإنسان ولا فيما قدر له من سلامة أو عطب . وهل دخل هؤلاء المتأولون فيما انتواه الرسول من هذه الدعوة . . ؟

السروق لمن سرق شعر أمية ! ! . . . (١)

ولما كان أبو موسى الأشعرى والياً لعثمان على البصرة ، خرجت بنو عامر عن حدها فرعت فى زروعها ، فبعث أبو موسى فى طلبهم ، فتصارخوا : يا آل عامر ، يا آل عامر ! فخرج النابغة ومعه عصبة له ، فأتى به إلى أبى موسى ، فقال له : ما أخرجك ؟ فقال : سمعت داعية قومى ! فضربه أسواطا ! فقال :

رَأَيْتُ البَكْرَ بَكْرَ بَنِى ثَمُودٍ   وأَنْتَ أَرَاكَ بَكْرَ الْأَشْعَرِينَا(٢)
فَإِنْ يَكنِ ابْنُ عَفَّان أَمِينًا   فَلَمْ يَبْعَثْ بِكَ البَرَّ الامِينَا
فَيا قَبْرَ النَّبِيِّ وصَاحِبَيْهِ   أَلَا يَاغَوْثَنَا لَوْ تَسْمَعُونَا
أَلَا صَلَّى إلٰهُكُمْ عَلَيْكُمْ   ولَا صَلَّى عَلَى الأُمَرَاءِ فِينا .

ولما نشبت وقائع صفين خرج مع على كرم الله وجهه ، فساق به يوما

(١) هو أمية بن أبى الصلت الثقفى : كان من الشعراء المتألهين ، وكان من رؤساء ثقيف وبلغائها . قرأ الكتب القديمة وعرف منها الأمور الدينية وتهذب بها ، ولبس المسوح تعبدا ، وذكر الخليل وإسماعيل ، وأشاد بالحنيفية وحرم الخمر ونبذ الأوثان وعرف أن هناك نبيا يبعث فطمع فى أن يكونه ، ولكنه لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حقد عليه وأشاد بذكر أعدائه فى شعره ورثى قتلى قريش فى وقعة بدر. مما هو معروف . وله شعر كثير فى مدح عبد الله بن جدعان الذى كان من كرام قريش وأجوادها قبل البعثة . مات أمية سنة ٢ هـ ، ٦٢٤ م .

(٢) بكر بنى ثمود : ذلك الفصيل ولد الناقة التى امتحن بها ثمود فكان بكرها سبباً فى هلاك تلك القبيلة التى أرسل إليها النبى صالح فكذبته . فكان الاعتداء على هذا البكر علامة الهلاك . فهو يشبه أبا موسى بهذا البكر . يعنى أنه شؤم على قبيلته الأشعرين .

وهو يقول :

قَدْ عَلِمَ المِصْرَانَ والعِرَاقُ أَنَّ عَلِيًّا فَحْلُهَا العَتَّاقُ
أَبْيَضُ جَحْجَاحٌ لَهُ رِوَاقُ وأَنَّهُ غَالَى بِهَا الصَّدَاقُ
أَكْرَمُ مَنْ شُدَّ بِهِ نِطَاقُ إِنَّ الأُلَى جَارُوكَ لَا أَفَاقُوا
لَهُمْ سِبَاقٌ ولَكُمْ سِبَاقُ قَدْ عَلِمَتْ ذَلِكُمُ الرِّفَاقُ
سُقْتُمْ إِلَى نَهْجِ الهُدَى وَسَاقُوا إِلَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا عُرَاقُ
فِي مِلَّةٍ عَادَتُهَا النِّفَاقُ

وعند ما قدم معاوية بن أبى سفيان الكوفة ـ بعد انتهاء صفين ـ دخل إليه النابغة وقام بين يديه وقال :

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقَيْنِ رِسَالَتِي وأَىُّ نَصِيحٍ لَا يَبِيتُ عَلَى عَتَبِ
مَلَكْتُمْ فَكَانَ الشَّرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لَمْ تُدَارِكْكُمْ حُلُومُ بَنِي حَرْبِ [1]

وكان معاوية قد بعث إلى مروان بن الحكم وهو على المدينة بأخذ أهل النابغة وماله ، فلما علم النابغة بذلك دخل على معاوية ـ وعنده عبد الله ابن عامر ، ومروان ـ فأنشده :

مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابْنَ هِنْدٍ بِحَاجَتِي عَلَى النَّأْيِ والأنْبَاءُ تَنْمِي وتُجْلَبُ [2]
ويُخْبِرُ عَنِّي مَا أَقُولُ ابنَ عَامِرٍ ونِعْمَ الفَتَى يَأْوِي إِلَيْهِ المُعَصَّبُ [3]

---

(١) بنو حرب : عشيرة معاوية فى قريش .
(٢) ابن هند : هو معاوية بن أبى سفيان الذى ملك بعد خلافة على والحسن .
(٣) هو عبد الله بن عامر ، وكان من الأمراء الممتازين .

فَإِنْ تَأْخُذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظِنَّةٍ فَإِنِّى لَحَرَّابُ الرِّجَالِ مُجَرَّبُ
صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ المَرْءُ كُلِّهِ سِوَى الظُّلْمِ إِنِّى إِنْ ظُلِمْتُ سَأَغْضَبُ

فالتفت معاوية إلى مروان (١) فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا ترد عليه شيئا ! فقال : ما أهون والله عليك أن ينحجر هذا فى غار ثم يُقَطِّعُ عِرضى علىّ ، ثم تأخذه العرب فترويه ! أما والله إن كنتَ لممن يرويه !! اردد عليه كل شىء أخذته منه !!

ويقال إن معاوية سيره ـ أى نفاه ـ إلى أصبهان . والظاهر أنه عاد منها . لأنه يُروى أن السَّنة أقحمت النابغة وقومه فى البادية ، فوفد إلى المدينة ودخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام ـ وكان ابن الزبير قد دعا لنفسه بالحجاز وغيرها ـ فأنشده :

حَكَيْتَ لَنَا الصِّدِّيقَ لَمَّا وَلِيتَنَا وَعُثْمَانَ والفَارُوقَ فَارْتَاحَ مُعْدِمُ (٢)
وَسَوَّيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فى الحَقِّ فَاسْتَوَوْا فَعَادَ صَبَاحًا حَالِكُ اللَّيْلِ مُظْلِمُ
أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ مِنَ الدُّجى دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الفَلَاةِ عَثَمْثَمُ (٣)
لِتَجْبُرَ مِنْهُ جَانِبًا زَعْزَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِى والزَّمَانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هون عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهون وسائلكَ عندنا ! أما صفوة مالنا فلآل الزبير ، وأما عفوته فإن بنى أسد بن عبد العُزَّى وتيما (٤)

(١) هو مروان بن الحكم ، والد عبد الملك بن مروان موطد ملك بنى أمية .
(٢) الصديق : أبو بكر رضى الله عنه ، والفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله عنه
(٣) عثمثم : أسد هصور .
(٤) بنو أسد : هم عشيرة ابن الزبير من قريش . وتيم : عشيرة أبى بكر من قريش .

تشغلانها عنك . ولكن لك فى مال الله حقان : حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحق بشركتك أهل الإسلام فى فيئهم . ثم أخذبيده فدخل به دار النَّعم فأعطاه سبع قلائص وجملا رجيلا ، وأوقر له الإبل بُرّا وتمراً وثيابا . فجعل النابغة يتناول الحب مسرعا فيأكله صرفا ! فقال ابن الزبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجهد مبلغا ؟! فقال النابغة : أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما وَلِيَتْ قريش فعدلت ، واستُرحمت فرحمت ، وحدَّثت فصدقت ، ووعدت خيراً فأنجزت ، فأنا والنبيون فراط لها ضُمُنٌ .

ويقال إن النابغة كان مُغلبا ، فقد حدثت بينه وبين بعض الشعراء مهاجاة فكان يرتد عنهم مغلوباً . منهم أوس بن مغراء ، وكعب بن جعيل ، وليلى الأخيلية ، وغيرهم .

وأقول أنه لابدع أن يغلبه هؤلاء الشبان ، فقد هاجوه وقد فعل به الهرم والشيخوخة فعلهما . وهم فى قوة الشباب وغرة الفتوة ، وهو كان قد تجاوز حدود الموت وكاد يغفل عنه عزرائيل إلى الابد . ولم أستحسن رواية تلك الاهاجى لانها لا تفيد الاديب العصرى فى شىء .

ومما يروى من شعره قوله :

هَلْ بِالدِّيَارِ الغَدَاةَ مِنْ صَمَمِ ... أَمْ هَلْ بِرَبْعِ الأَنِيسِ مِنْ قِدَمِ

أَمْ مَا تُنَادِى مِنْ مَاثِلٍ دَرَجَ السَّيْلُ عَلَيْهِ كَالحَوْضِ مُنْهَدِمِ

غَرَّاءُ كَاللَّيْلَةِ المُبَارَكَةِ القَمْرَا ... ءِ تَهْدِى أَوَائِلَ الظُّلَمِ

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وقَدْ عَلِمَ اللهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتِمِ (١)
كَأَنَّ فَاهَا إِذَا تَبَسَّمَ مِنْ طِيبِ مَشَمٍّ وطِيبِ مُبْتَسَمِ
يُسَنُّ بِالضَّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ هَيْلَانَ أَوْ ضَامِرٍ مِنَ العَتَمِ

وقال يهجو بعضهم :

إِذَا مَا سَوْأَةٌ غَرَّاءُ مَاتَتْ أَتَيْتَ بِسَوْءَةٍ أُخْرَى بَهِيمِ
وما تَنْفَكُّ تَرْحَضُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ السَّوْءَاتِ كالطِّفْلِ النَّهِيمِ
أَكُلَّ الدَّهْرِ سَعْيُكَ فى تَبَابٍ تُنَاغِى كُلَّ مُومِسَةٍ أَثِيمِ

ومما يستجاد له قوله :

فَتًى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا
فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

وكان بعضهم يصف شعر النابغة الجعدى بأنه : مُطْرَفٌ بآلافْ ، وخِمارٌ بِوَافْ . يريد أن فيه الجيد الذى يساوى آلاف الدراهم ، كما أن فيه ما يساوى درهما واحدا .

---

(١) لمناسبة هذا البيت قال على بن سليمان الأخفش : أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعنى بغيره فى الشعر : النابغة الجعدى . سبق الناس جميعاً إليه واتبعوه فيه . وأحسن من أخذه وألطفه فيه : أبو نواس حيث يقول :

أسأل القادمين من حكمان كيف خلفتموا أبا عثمان
وأبا مية المهذب والما جدوالمرتجى لريب الزمان
فيقولون لى : جنان كما سرك فى حالها ، فسل عن جنان
مالهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغن عندهم كتمانى

والحق أن هذا الوصف لا يسلم عليه شاعر ، فكل شاعر ، قديما كان أو حديثاً ، له الجيد الذى لا يقدر ، والردىء الذى لا يحتفل به . ولم يوجد قط من تفرد بالإحسان المطلق .

وكانت وفاة النابغة ـ فيما قيل ـ بأصبهان فى نحو سنة : ٥٠ من الهجرة : ٦٧٢ من الميلاد ، وقد اختلفوا فى تقدير عمره . فعبد الله ابن جراد قدره بـ ١١٢ سنة ، وابن الأثير بـ ١٢٠ سنة ، وعمر بن شبة بـ ١٨٠ سنة ، وأبو حاتم السجستانى بـ ٢٠٠ سنة ، وابن قتيبة بـ ٢٢٠ سنة ، والأصمعى بـ ٢٣٠ سنة ، والله أعلم أى ذلك كان صحيحا .

٢

النابغة الذبيانى

هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس ابن عيلان . يكنى : أبو أمامة ، وأبو ثمامة . وذكر الرواة أنه كان من أشراف قومه ، غير أن الشعر قد غض منه . وهو يعد من الطبقة الأولى فى الشعراء . قيل إنه لما قدم وفد غطفان على عمر بن الخطاب قال لهم : يا معشر غطفان ، من الذى يقول[1] :

إلى ابْنِ مُحَرِّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِى ... ورَاحِلتِى وقَدْ هَدَأَتْ عُيُونُ[2]

فَأَلْفَيْتُ الأَمانَةَ لَمْ تَخُنْها ... كذٰلِكَ كانَ نُوحٌ لا يَخُونُ

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِى ... عَلى خَوْفٍ تُظَنُّ بِىَ الظُّنُونُ

فقالوا : النابغة . فقال : ذاك أشعر شعرائكم ، ثم قال : من أشعر الناس ؟

---

(١) وأول هذه الأبيات قوله :

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين

وحلت فى بنى القين بن جسر ... فقد نبتت لنا منهم شؤون

تأوبنى بعملة اللواتى ... منعن النوم إذ هدأت عيون

كأن الرحل شد به خذوف ... من الجونات هادية عنون

من المتعرضات بعين نخل ... كأن بياض لبته سدين

كقوس الماسخى أرن فيها ... من الشرعى مربوع متين

(٢) ابن محرق : هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

فقالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين . قال : من الذى يقول :

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قال الإلٰهُ لَهُ ... قِمْ فى البَرِيَّةِ فَاحْدُدْها عَنِ الفَنَدِ (١)

وَخَبِّرِ الجِنَّ أَنِّى قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ والعَمَدِ (٢)

قالوا النابغة . فقال : ومن الذى يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... ولَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلمَرْءِ مَذْهَبُ (٣)

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّى خِيَانَةً ... لَمُبْلِغُكَ الوَاشِى أَغَشُّ وأَكْذَبُ (٤)

ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ ... عَلَى شَعَثٍ أَىُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ (٥)

قالوا : النابغة . فقال : فهو أشعر الناس .

---

(١) يريد بالفند : الخطل والظلم واغتيال الحقوق .

(٢) تدمر : مدينة كانت فى برية الشام ، وهى قديمة مشهورة زعم بعض الرواة أنها كانت قبل سليمان بن داود ، وقال بعضهم إنها من بناء سليمان، وقال آخرون إنها سميت باسم تدمر بنت حسان بن أذينة ، وحسان هو الذى استعمرها وأنشأها . وكانت مبانيها من عجائب الأبنية المقامة على عمد الرخام . ثم أنشئت بها الجوامع ، ولكن الزلازل قد أتت عليها وخربت آثارها وجف نهرها، وفى موضعه غدير فى مائه طعم الكبريت . وكانت قريبة من حمص . والصفاح: حجارة عراض رقاق . والعمد: السوارى من الرخام وهى الأساطين ، واحدها اسطوانة .

(٣) يريد أنه ليس وراء اليمين بالله ما يمكن الحالف به فاعتمد فى الصدق ودع سوء الظن بعد حلفى لك بالله على براءتى مما رميت به عندك .

(٤) الواشى : ناقل الكذب ومزينه فى سمع الموشى إليه .

(٥) بمستبق : يريد أن تعفو عن زلته فيبقى لك مودته . والشعث : التفرق والفساد. تلمه : تجمعه وتصلحه . يعنى إن من لم تصلحه من الناس وتقومه فلست بمستبق لك وده ولا راغب فيه ، بل تريد قطع صلتك به .

وقال أبو عمرو بن العلاء[1] : كان الشاعر فى الجاهلية يُقَدَّم على الخطيب ، بفرط حاجتهم إلى الشاعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم من شأنهم ، ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم ، ويُهيِّب من فرسانهم ، ويخوّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ـ صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الأول : الشعر أدنى مروءة السَّرِىّ ، وأسرى مروءة الدنى . قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ولو كان فى الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة .

وكانت تضرب للنابغة قبة فى سوق عكاظ يقصده فيها الشعراء ليعرضوا عليه أشعارهم ويتلقون حكمه . وكان فيمن قصده فيها : الأعشى ، وحسان بن ثابت[2] فأنشده كل منهما شعره ، ثم تقدّمت إليه الخنساء بنت عمرو بن

(١) هو أبو عمرو بن العلاء المازنى ، إمام أهل البصرة فى النحو واللغة والقراءات أخذ عن جماعة من التابعين . وكان ثقة حجة صدوقا . قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر. ووثقه يحيى بن معين ناقد الرجال . وكان من سادات العلماء ووجوههم ، وعليه أخذ الأدب : الأصمعى ، وأبو عبيدة وغيرهما . مات سنة ١٥٩ هـ ٧٧٦ م .

(٢) الأعشى : هو أبو بصير ميمون بن قيس ، من شعراء الجاهلية الأوائل ، أدرك الإسلام ووفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فقيل له : إنه يحرم الخمر والزنا. فرجع على عقبيه وقال : أتمتع بهما سنة . ثم اعتنق الإسلام. فلم يحل عليه الحول إلا وهو فى عداد الأموات. وفاته الدخول فى الإسلام . قيل إنه مات بقرية باليمامة سنة ٨ هـ ٦٢٩ م . وقد عنى المستشرق جاير بطبع معلقته فى ليبسيك سنة ١٨٧٥ .

وحسان بن ثابت : هو شاعر الرسول صلوات الله عليه ، وهو أشهر من أن يعرف. توفى سنة ٥٤ هـ ٦٧٤ م . وقد عنى بطبع ديوانه فى ليدن المستشرق هرنويج هرشفيلد سنة ١٩٠٠ .

الشريد [1] ، فأنشدته بعض ما قالته فى رثاء أخيها صخر ، فلما بلغت إلى قولها :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ كأَنَّهُ عَلَمٌ فى رَأْسِهِ نَارُ [2]

قال : والله لو لا أن أبا بصير ـ يعنى الأعشى ـ أنشدنى آنفاً لقلت إنك أشعر الجنّ والإنس . فقال حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك ؛ فقبض النابغة على يده ثم قال : يابن أخى إنك لا تحسن أن تقول مثل قولى :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الذى هُو مُدْرِكِى وإنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ [3]
خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

وقيل إن النابغة مكث دهراً لا يقول الشعر ، ثم ارتدى ثيابه وعصب حاجبيه على جبهته ، ثم خرج على الناس فلما وقع نظره عليهم أخذ يقول :

المَرْءُ يَأْمُلُ أَنْ يَعِيـــشَ وطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهُ
تَفْنَى بَشَاشَـــتُهُ وَيَبْـــقَى بَعْدَ حُلْوِ العَيْشِ مُرُّهُ
وتَصَـــرَّمُ الأَيَّامُ حَـتَّـى لا يَرَى شَيْئًا يَسُرُّهُ

---

(١) الخنساء : هى تماضر بنت عمرو بن الشريد أشهر النساء الشواعر . أدركت الإسلام وماتت مؤمنة سنة ٢٦ هـ ٦٤٦ م . وقد عنى بطبع ديوانها مشروحا ومضافا إليه مراثى ستين شاعرة : الأب لويس شيخو وطبع فى مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت بعنوان « أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء » سنة ١٨٩٥ .

(٢) صخر : هو أخوها الذى أكثرت فيه من المراثى عند وفاته .

(٣) يقول ذلك لأن الليل يغشى كل شىء بظلمته فيمنع من التصرف خوفا من الظلمة وما تدفع إليه من المخاطر . ويقال إنه إنما قدم الليل على النهار وتمثل به لأن العرب كانوا أكثر مايقومون على شؤونهم إنما يكون ليلا وذلك لشدة حر بلادهم نهاراً . فصار ذلك متعارفا عندهم . والمنتأى : البعد .

كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وقَائِلٍ لِلهِ دَرَّهُ

لماذا غضب النعمان عليه

للرواة فى هذه المسألة قولان :

الأول : قيل إن النعمان طلب إليه أن يصف المتجردة امرأته ـ وكانت حاضرة عنده ـ فى شعره فقال قصيدته التى أولها « من آل مية رائح أو مغتد» وذكر فيها بطنها وعكنها ومتنها وروادفها وغير ذلك من خصائصها ـ ولما كان المنخل اليشكرى [1] من ندماء النعمان، وكان جميلا وكان يضمر حب المتجردة وهواها ـ وكان النعمان قصيرا دميما أبرش ـ انتهز المنخل الفرصة وقال

---

(١) هو المنخل بن عبيد بن عامر اليشكرى . من شعراء الجاهلية المقلين وكان ينادم النعمان بن المنذر مع النابغة، وكان جميلا . واتهم بالتشبيب بهند أخت عمرو الملك، كما اتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وبامرأة لعمرو بن هند . ولذلك قتله عمرو بن هند سنة ٥٩٧م وهو القائل :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر فل فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتها فتدافعت مشى القطاة إلى الغدير
ولثمتها فتنفست كتنفس الظبى البهير
فدنت وقالت يا منخل مابجسمك من فتور
ماشف جسمى غير حبك فاهدئى عنى وسيرى
ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
وشربت بالخيل الإنا ث وبالمطهمة الذكور
فإذا سكرت فإننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإننى رب الشويهة والبعير
يا هند هل من نائل ياهند للعانى الأسير
وأحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

للنعمان : إن النابغة ماكان يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا عن تجربة واطلاع . فوقر ذلك فى نفس النعمان وظهر عليه الغضب . فلما علم النابغة بذلك فر هارباً إلى بنى غسان ملتجئاً إلى عمرو بن الحارث ملك الشام .

الثانى : أن بعض الشعراء ثارت بهم ثائرة الحسد للنابغة على مايتمتع به من حظوة واختصاص عند النعمان فقالوا على لسانه فى هجو النعمان :

مَلِكَ يُلاعِبُ أُمَّهُ وقَطِينَهُ ... رِخْوُ المَفَاصِلِ (أَمرُهُ) كالمِرْوَدِ

وقالوا فيه أيضا :

حَدِّثُونِى بَنِى الشَّقِيقَةِ ما يَمْـــنَعُ فَقْعًا بِقَرْقَرٍ أَنْ يَزُولا

قَبَّحَ اللهُ ثُمَّ ثَنَّى بِلَعْنٍ ... وارِثَ الصَّائِغِ الجَبَانَ الجَهُولا

مَنْ يَضرُّ الأَدْنَى و يَعْجِزُ عَنْ ضُـــرِّ الأَقَاصِى ومَنْ يَخُونُ الخَلِيلَا

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذَا الأُلوفِ ويَغْزُو ... ثُمَّ لا يَرْزَأُ العَــدُوَّ فَتِيلَا

والمراد بالصائغ هنا : عطية أبو سلمى أم النعمان ، وكان صائغًا أو صانعًا بفدك .

فلما بلغ النعمان هذا الشعر ، وأنه من قول النابغة ، ثارت ثائرته وغضب عليه . فلما علم النابغة بذلك ولى هاربًا إلى ملوك الشام من بنى غسان . . . ثم علم بعد ذلك أن هذا الشعر مدسوس على النابغة ، وأنه من قول خصومه وحسدته ، ومنهم : عبد قيس بن خفاف البرجمى ومرة ابن ربيعة السعدى ولذلك بعث إليه وهو عند الغساسنة يقول له : إنك صرت إلى قوم بيننا وبينهم إحن ، فهم الذين قتلوا جدى . وقد أقمت فيهم تمدحهم وتثنى عليهم ! ولو كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع ومتحصن ، إن كنا أردنا بك ما ظننت . . فعد إلى سابق عهدك من مجلسنا إن أردت . . . فلك عندنا ما تحب . . .

ولما علم زَبان بن سيار [1] ومنظور بن سيار الفزاريان ـ وكانا من

---

(١) هو زبان بن سيار بن عمرو بن جابر الفزارى ، وكان هو وأخوه منظور من خواص النعمان بن المنذر وكان سيدا فى قومه ، شاعراً جيد القول حسن المعانى . وكان بينه وبين الحادرة الشاعر مناظرات ، ، وبينه وبين عيينة بن حصن الفزارى منافرات ، وقد صحب النابغة الذبيانى وشفع له عندالنعمان : وأدرك الإسلام وأسلم فيمن أسلم من بنى فزارة . وكان النابغة قدخرج معه مرة منفرداً ، فبينا هما قدبدآ الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة ذات ألوان ، فتطير منها وقال لزبان : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ؟ ! فلما رجع زبان من غزوته سالما غانما قال يعيب على النابغة تطيره ، ويندد به :

تخبر طيره فيها زياد ... لتخبره وما فيها خبير

أقام كأن لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير

تعلم أنه لاطير إلا ... على متطير وهو الثبور

بل شىء يوافق بعض الشىء ... أحايينا وباطله كثير

ومن ينزح به لابد يوما ... يجىء به نعى أو بشير

ومن شعرقوله :

ولسنا كأقوام أجدوا رياسة ... يرى مالها ولا يحس فعالها

يريغون فى الخصب الأمور ونفعهم ... قليل إذا الأموال طال هزالها

وقلنا بلا عى وسسنا بطاقة ... إذا النار نار الحرب طال اشتعالها

وقوله لما تقدمت به السن وأصابه الهرم :

إذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه ... وثلم تثليم الإناء جوانبه

فللموت خير من حياة خسيسة ... تباعده طورا وطورا تقاربه

وقال يهجو بنى بدر الفزاريين .

إن بنى بدر يراع جوف ... كل خطيب منهم مؤف

أهوج لا ينفعه التثقيف

خواص النعمان ـ بدعوته النابغة إلى سابق عهده من القرب إليه ومنادمته ، ذهبا إلى النابغة وصحباه إلى الحيرة . فلما أخبر النعمان بقدومهما أمر فضربت لهما قبة بقرب مجلسه ـ ولم يعلم أن النابغة معهما ـ فدس النابغة أبياتا قيلت بين يدى النعمان . وهى من قصيدته « يا دار مية » يقول فيها « نبئت أن أبا قابوس أوعدنى » الخ فلما سمع النعمان الشعر قال : هذا والله شعر النابغة . وسأل عنه ، فأخبر أنه مع الفزاريين بالقبة . ثم نهض الفزاريان فكلما النعمان فعفا عنه وأمنه .

ومما قاله النابغة وهو ملتجئ إلى آل غسان من الشعر ـ فى عمرو بن الحارث وأخيه ، هذه القصيدة الرائعة :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ (١)

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ... ولَيْسَ الذِى يَرْعَى النُّجُومَ بِآيِبِ (٢)

وصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ ... تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٣)

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ... لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ (٤)

حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ ... وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ (٥)

---

(١) كلينى : دعينى وما أقاسى من هموم . وناصب: ذو نصب . أقاسيه : أدافع ما ألاقيه فيه من عناء يلازم طوله ، لأن كواكبه بطىء تحركها إلى المغيب .

(٢) يقول كأن الذى يسوقها إلى مساقطها غير آيب ، ويريد به الصباح .

(٣) أراح : أعاد إبله إلى معاطنها . لأن الليل قد رد عليه ما كان عازبا ، أى بعيداً من همه ، لأن الليل يضاعف على ذى الهم همومه وأحزانه .

(٤) يريد أن لعمرو عليه نعم حديثة بعد نعم قديمة لوالده. ليست بذات عقارب : يريد لم يكدرهما عليه من ولا أذى .

(٥) يقول : حلفت يميناً لم أستثن فيها حسن ظنى به وثقتى فيه .

عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطِّعَانِ عَوَابِسٍ ... بِهِنَّ كُلُومٌ بَيْنَ دَامٍ وجَالِبِ (١)

إِذَا اسْتُنْزِلوا عَنْهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلوا ... إِلَى المَوْتِ إِرْقَالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ (٢)

فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ المَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ ... بِأَيْدِيهِمْ بِيضٌ رِقَاقُ المَضَارِبِ (٣)

يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ ... وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَاشُ الحَوَاجِبِ (٤)

ولَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ (٥)

تُوُورِثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ ... إِلَى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ (٦)

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ (٧)

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهِ ... وطَعْنٍ كَإِيزَاغِ المَخَاضِ الضَّوَارِبِ

= قتلى هـذا الجيش الدائم الانتصار على أعدائه . الخطى : الرماح . الكوائب : مقدمات القرابيس على ظهور الخيل .

(١) العارفات : يريد بها الصابرات . عوابس : كوالح . الجالب من الجراح : الذى يبس أعلاه . والكلوم : الجراح، ويريد بها الجراح الدامية التى يسيل منها الدم

(٢) أرقلوا : أسرعوا . والمصاعب : الفحول من الإبل .

(٣) المضارب : جمع مضرب : وهو حد السيف .

(٤) الفضاض : ما انفض وتفرق . القونس : أعلى البيضة التى تلبس على الرأس ، الفراش : هى فراش الحواجب .

(٥) الفلول : الثلوم . والقراع المجالدة .

(٦) توورثن . ويروى : تخيرن من أنهار . يريد السيوف . ويوم حليمة : هو أحد أيام العرب المشهورة . بالوقائع الحربية . ويقال إن هـذا اليوم قد سمى باسم حليمة بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى . وبه يضربون المثل : مايوم حليمه بسر .

(٧) السلوقى : الدرع المنسوب إلى سلوق ، وهى مدينة ببلاد الروم . الصفاح : الحجارة العراض . الحباحب : ذباب له شعاع يرى ليلا .

لَهُمْ شِيمَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ الجودِ والأَحْلامِ غَيْرُ عَوازِبِ
مَجَلَّتُهُمْ ذَاتَ الإِلٰهِ وَدِينُهُمْ ... قَوِيمٌ فَما يَرْجُونَ غَيْرَ العَوَاقِبِ (١)
رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ ... يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ (٢)
تُحَيِّيهِمُ بِيضُ الوَلائِدِ بَيْنَهُمْ ... وأَكْسِيَةُ الإِضْرِيجِ فَوْقَ المَشاجِبِ (٣)
يَصُونُونَ أَجْسادًا قَدِيمًا نَعِيمُها ... بِخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ المَناكِبِ (٤)

---

(١) مجلتهم : أى صحيفتهم الحافلة بالحكمة ، ويريد بها الإنجيل . ويرجون منها تقوى الإله وتوحيد ذاته . ويروى : محلتهم. والمراد بها الأرض المقدسة التى يعبدون الله فيها ، وهى مع ذلك مساكنهم

(٢) يوم السباسب : هو يوم السعانين . وهذه كلمة سريانية . وأهل مصر يقولون: الشعانين ـ وهو من أعياد النصارى ـ ويقع قبل الفصح بأسبوع ، وفيه يخرجون بصلبانهم . وقد يسمى : عيد الزيتونة ، وهو عند قبط مصر بمعنى : التسبيح . وهو يقع فى الأحد السابع من صومهم. وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل وجدائل الخوص، والريحان من الكنيسة ، على أنه يوم ركوب السيد المسيح (العنو) أى الحمار ، ويسير به من بيت المقدس إلى صهيون حيث يدخلها راكبا ذلك العنو والناس بين يديه يسبحون ويهللون ، وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير ، وينهى عن المنكر ويشرح مضاره. وكان نصارى مصر يحتفلون بهذا العيد احتفالا فائقا ويزينون فيه كنائسهم أحسن زينة ، ويشاركهم المسلمون فى الاحتفال به والعناية بشأنه وكان الحاكم بأمره الفاطمى ـ فى نوبة من نوبات جنونه ـ قد أمر بإبطاله وإلغاء مراسيمه ثم عاد من بعده إلى ما كان عليه . وأهل مصر يرونه عيداً لهم جميعاً .

(٣) يريد بالولائد : الإماء البيض الحسان . الأكسية جمع كساء . والأضريج الخز الأحمر وبه المرعزى. يريد أنهم ملوك أهل نسمة وترف . فالإماء البيض الحسان تخدمهم ، وثيابهم مصونة لأنهم عند انتزاعها يعلقونها على المشاجب ، وهى الأعواد .

(٤) الأردان جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص . خالصة: بيض مثل سائر الثوب والمناكب خضر. وكانت علامة لباس ملوكهم أن يتخذوا المناكب من الحبر الأخضر والأردان بيض .

وَلا يَحْسَبُونَ الخَيْرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ ... وَلا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ

حَبَوْتُ بِها غَسَّانَ إذْ كُنْتُ لاحِقًا ... بِقَوْمِى وإذْ أَعْيَتْ عَلَىَّ مَذاهِبِى

أما القصيدة التى كان وصف فيها المتجردة فهى هذه :

مِنْ آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَوْ مُغْتَدِ ... عَجْلانَ ذَا زادٍ وغَيْرِ مُزَوَّدِ

أَفِدَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكابَنا ... لَمَّا تَزُلْ بِرِحالِنا وكَأَنْ قَدْ (١)

زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنا غَدًا ... وبِذاكَ تَنْعابُ الغُدافِ الأَسْوَدِ (٢)

لا مَرْحَبًا بِغَدٍ وَلا أَهْلًا بِهِ ... إنْ كان تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فى غَدِ

حانَ الرَّحِيلُ ولَمْ تُوَدِّعْ مَهْدَدًا ... والصُّبْحُ والإمْساءُ مِنْها مَوْعِدِى (٣)

فى إثْرِ غانِيَةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِها ... فَأَصابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لم تُقْصِدِ (٤)

غَنِيَتْ بِذلِكَ إذْ هُمُ لَكَ جِيرَةٌ ... مِنْها بِعَطْفِ رِسالَةٍ وتَوَدُّدِ

نَظَرَتْ بِمُقْلَةِ شادِنٍ مُتَرَبِّبٍ ... أَحْوَى أَحَمِّ المُقْلَتَيْنِ مُقَلَّدِ (٥)

والنَّظْمُ فى سِلْكٍ يُزَيِّنُ نَحْرَها ... ذَهَبٌ تَوَقَّدُ كالشِّهابِ المُوقَدِ

---

(١) أفد : دنا وقرب . الركاب : الإبل . وكأن قد : يريد على أنها مع ذلك قد أوشكت على الرحيل .

(٢) البوارح : يريدبها الطيور . ويروى: زعم الغداف . وهو الغراب. التنعاب: نعيب الغراب أو صياحه .

(٣) حان : قرب . ومهدد اسم جارية .

(٤) الغانية : الجارية التى استغنت بجمالها عن حليها ، أو التى غنيت بزوجها . لم تقصد : لم تقتل .

(٥) الشادن : من أولاد الظباء الذى ترعرع وشدن . أحوى : به حمرة تضرب إلى السواد .

صَفراءُ كالسِّيَراءِ أُكمِلَ خَلقُها ... كالغُصنِ فى غُلَوائِهِ المُتأوِّدِ (١)

قامَتْ تَراءَى بَينَ سِجفَى كِلَّةٍ ... كالشَّمسِ يَومَ طُلوعِها بالأسعُدِ

أو دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُها ... بَهِجٌ مَتى يَرَها يُهِلَّ ويَسجُدِ

أو دُميَةٍ مِن مَرمَرٍ مَرفُوعَةٍ ... بُنِيَتْ بآجُرٍ تُشادُ وقَرمَدِ

سَقَطَ النَّصيفُ ولَمْ تُرِدْ إسقاطَهُ ... فَتَناوَلَتهُ واتَّقَتنا بِاليَدِ (٢)

بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كأنَّ بَنانَهُ ... عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَّطافَةِ يُعقَدِ

لَو أنَّها عَرَضَتْ لِأَشمَطَ راهِبٍ ... يَدعُو الإلٰهَ صَرُورَةً المُتَعَبِّدِ

لَصَبا لِبَهجَتِها وطِيبِ حَدِيثِها ... ولَخالَهُ رُشدًا وإن لَمْ يُرشَدِ

تَسَعُ البِلادُ إذا أتَيتُكَ زائِرًا ... وإذا هَجَرتُكَ ضاقَ عَنِّى مَقعَدِى

وإذا لَمَسْتَ لَمَستَ أخشَمَ جاثِمًا ... مُتَحَيِّزًا بِمَكانِهِ مِلءُ اليَدِ

وإذا طَعَنتَ طَعَنتَ فى مُستَهدِفٍ ... رابِى المَجَسَّةِ بِالعَبِيرِ مُقَرمَدِ

وإذا نَزَعتَ نَزَعتَ عَن مُستَحصِفٍ ... نَزعَ الحَزَوَّرِ بِالرِّشاءِ المُحصَدِ

وتَكادُ تَنزِعُ جِلدَهُ عَن مَلَّةٍ ... فِيها لَوافِحُ كالحَرِيقِ المُوقَدِ

ولما ثبتت براءته عند النعمان ورضى عنه ، مثل بين يديه وأنشأ يقول :

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فالسَّنَدِ ... أقوَتْ وطالَ عَلَيها سالِفُ الأمَدِ (٣)

وَقَفتُ فِيها أُصَيلًا كَى أُسائِلُها ... عَيَّتْ جَوابًا وما بِالرَّبعِ مِن أحَدِ (٤)

---

(١) السيراء : الثوب من الحرير فيه خطوط . المتأود : المنثنى المتمايل .

(٢) النصيف : الخمار .

(٣) العلياء والسند : اسما مكانين . أقوت : خلت . هو ينادى الديار لا أهلها أسفاً عليها وشوقاً إلى سكانها الذين خلت منهم .

(٤) الأصيل : وقت العشى . عيت : عجزت عن الجواب .

أَضْحَتْ خلاءً وأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الذِى أَخْنَى عَلَى لُبَدِ (١)

فَعَدِّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وانْمِ القُتُودَ على عَيْرَانَةٍ أُجُدِ (٢)

كأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا بِذِى الجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ (٣)

سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الجوْزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِى الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ البَرَدِ

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

لَمَّا رَأَى وَاشِقٌ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ ولَا سَبِيل إلَى عَقْلٍ ولا قَوَدِ (٤)

قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ إِنِّى لَا أَرَى طَمَعًا وإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ ولَمْ يَصِدِ

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمَانَ إِنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فى الادْنَى وفى البَعَدِ (٥)

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فى النَّاسِ يُشْبِهُهُ ولا أُحَاشِى مِنَ الاقْوَامِ مِنْ أَحَدِ

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الإِلٰهُ لَهُ قُمْ فى البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ

وَخَيِّسِ الجِنَّ إِنِّى قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ والعَمَدِ (٦)

---

(١) زعموا أن لبدكان من أنسر لقمان بن عاد السبعة، وكان آخرها موتا . بعد أن عمر مائتى سنة وبموته مات لقمان ، بعد أن عمر ـ فيما زعموا ـ ٨٠٠ سنة . وكان يقال : « طال الأبد على لبد » .

(٢) عد عما ترى : يقول دع ماترى وخذ فيما هو أهم . القتود : خشب الرحل . العيرانة الناقة الصلبة القوية التى تشبه حمار الوحش فى شدته ونشاطه . الأجد : الموثقة الخلق .

(٣) المستأنس الوحد : الثور الوحشى المنفرد .

(٤) واشق : اسم للكلاب التى فى صحبة الصائد .

(٥) فتلك : يريد الناقة التى ركبها .

(٦) مضى شرح هذين البيتين فى أوائل ترجمة النابغة ص ٣٨٦ .

وقَفْتُ فِيهَا سَرَاةَ اليَوْمِ أَسْأَلُهَا عَنْ آلِ نُعْمٍ أَمُونًا عِبْرَ أَسْفَارِ [١]
فَاسْتَعْجَمَتْ دَارُ نُعْمٍ مَا تُكَلِّمُنَا والدَّارُ لوْ كَلَّمَتْنَا ذَاتُ إِخْبَارِ
فَمَا وَجَدْتُ بِهَا شَيْئًا أَلُوذُ بِهِ إِلَّا الثُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
وقَدْ أُرَانِي ونُعْمًا لَاهِيَيْنِ بِهَا والدَّهْرُ والعَيْشُ لَمْ يَهْمُمْ بِإِمْرَارِ
أَيَّامَ تُخْبِرُنِي نُعْمٌ وأُخْبِرُهَا مَا أَكْتُمُ النَّاسَ مِنْ حَاجِي وأَسْرَارِي
لَوْلَا حَبَائِلُ مِنْ نُعْمٍ عَلِقْتُ بِهَا لَأَقْصَرَ القَلْبُ عَنْهَا أَيَّ إِقْصَارِ
فَإِنْ أَفَاقَ لَقَدْ طَالَتْ عَمَايَتُهُ والمَرْءُ يُخْلَقُ طَوْرًا بَعْدَ أَطْوَارِ
نُبِّئْتُ نُعْمًا عَلَى الهِجْرَانِ عَاتِبَةً سَقْيًا ورَعْيًا لِذَاكَ العَاتِبِ الزَّارِي
رَأَيْتُ نُعْمًا وأَصْحَابِي عَلَى عَجَلٍ والعِيسُ لِلْبَيْنِ قَدْ شُدَّتْ بِأَكْوَارِ
فرِيعَ قَلْبِي وكَانَتْ نَظْرَةً عَرَضَتْ حِينًا وَتَوْفِيقَ أَقْدَارٍ لِأَقْدَارِ
بَيْضَاءَ كَالشَّمْسِ وَافَتْ يَوْمَ أَسْعُدِهَا لَمْ تُؤْذِ أَهْلًا وَلَمْ تَفْحَشْ عَلَى جَارِ
تَلُوثُ بَعْدَ افْتِضَالِ البُرْدِ مِئْزَرَهَا لَوْثًا عَلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الهَارِي [٢]
والطِّيبُ يَزْدَادُ طِيبًا أَنْ يَكُونَ بِهَا فِي جِيدِ وَاضِحَةِ الخَدَّيْنِ مِعْطَارِ
تَسْقِي الضَّجِيعَ إِذَا اسْتَسْقَى بِذِي أُشُرٍ عَذْبِ المَذَاقَةِ بَعْدَ النَّوْمِ مِخْمَارِ
كَأَنَّ مَشْمُولَةً صِرْفًا بِرِيقَتِهَا مِنْ بَعْدِ رَقْدَتِهَا أَوْ شُهْدَ مُشْتَارِ
أَقُولُ والنَّجْمُ قَدْ مَالَتْ أَوَاخِرُهُ إِلَى المَغِيبِ تَثَبَّتْ نَظْرَةً حَارِ [٣]
أَلَمْحَةً مِنْ سَنَى بَرْقٍ رَأَى بَصَرِي أَمْ وَجْهُ نُعْمٍ بَدَا لِي، أَمْ سَنَى نَارِ

---

(١) الأمون : الناقة القوية المعاودة الأسفار، والتى يعبر عليها الصحارى والفلوات .

(٢) تلوث : تأزر أى تلف مئزرها .

(٣) حار : يريد ياحارث . فرخم .

بَلْ وَجْهُ نُعْمٍ بَدَا والَّليلُ مُعْتَكِرٌ   فَلَاحَ مِنْ بَيْنِ أَثْوَابٍ وأَسْتَارِ
إنَّ الحُمُولَ الَّتِي رَاحَتْ مُهَجِّرَةً   يَتْبَعْنَ كُلَّ سَفِيهِ الرَّأْىِ مِغْيَارِ
إذَا تَغَنَّى الحَمَامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي   وإنْ تَغَرَّبْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارِ

* * *

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أُقُرٍ   وعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فِى كُلِّ أَصْفَارِ (١)
فَقُلْتُ يَا قَوْمِ إنَّ اللَّيْثَ مُفْتَرِشٌ   عَلى بَرَائِنِهِ لِلْوَثْبَةِ الضَّارِى
لَأعْرِفَنْ رَبْرَبًا حُورًا مَدَامِعُهَا   كَأَنَّهُنَّ نِعَاجٌ حَوْلَ دُوَّارِ (٢)
يَنْظُرْنَ شَزْرًا إلَى مَنْ جَاءَ عَنْ عُرُضٍ   بِأَعْيُنٍ مُنْكِرَاتِ الرِّقِّ أَحْرَارِ
خَلْفَ العَضَارِيطِ مِنْ عُوذٍ ومِنْ عَمَمٍ   مُرَدَّفَاتٍ عَلى أَحْنَاءِ أَكْوَارِ (٣)
يَذْرِينَ دَمْعًا عَلَى الأَشْفَارِ مُنْحَدِرًا   يَأْمُلْنَ رِحْلَةَ حِصْنٍ وابْنِ سَيَّارِ (٤)
سَاقَ الرُّفَيْدَاتِ مِنْ جُوشٍ ومِنْ جُدُدٍ   وعَاشَ مِنْ رَهْطِ رِبْعِيٍّ وحَجَّارِ (٥)
قرما قُضَاعَةَ حَلَّا حولَ حُجْرَتِهِ   مُدَّا عَلَيْــــهِ بِسُلَّافٍ وأَنْفارِ
حتَّى اسْتَغَاثَا بِجَمْعٍ لا كِفَاءَ لَهُ   يَنْفِي الْوُحُوشَ عَنِ الصَّحْرَاءِ جَرَّارِ

---

(١) أقر : الموضع الذى كان النعمان حماه ، واستباحته ذبيان
(٢) الربرب : القطيع من الوحش والظباء والنعام . الحور جمع حوراء ؛ والحور: شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها . دوار : اسم صنم كانوا يدورون حوله .
(٣) العضاريط : الخدم والأتباع . عوذ وعمم : حيان من أحياء العرب
(٤) حصن بن حذيفة ، وزبان بن سيار ، أو منظور بن سيار ، وهما من فزارة . أو هما غيرهما من بنى ذبيان
(٥) الرفيدات : بنو رفيدة بن كلب بن وبرة

فَبِتُّ كأَنِّى سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فى أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ
يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلْيِ النِّسَاءِ فى يَدَيْهِ قَعَاقِعُ
تناذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سمِّهَا تُطَلِّقُهُ طورًا وطورًا تُرَاجِعُ
أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ لُمْتَنِي وتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا المَسَامِعُ
مَقالَةَ أَنْ قَدْ قُلْتَ سَوفَ أَنَالُهُ وذلِكَ مِنْ تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ (١)
لَعَمْرِى وَما عمرى علىَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلًا علىَّ الأَقَارِعُ
أَقارِعُ عَوْفٍ لا أُحاوِلُ غَيْرَهَا وُجُوهُ قُرُودٍ تَبْتَغِى مَنْ تُجَادِعُ (٢)
أَتَاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبْطِنٌ لِيَ بِغْضَةً لَهُ مِنْ عدوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شافِعُ
أَتَاكَ بِقَوْلٍ هلْهَلِ النَّسْجِ كاذِبٍ ولم يَأْتِ بِالحقِّ الذى هُوَ نَاصِعُ
أَتَاكَ بِقولٍ لم أَكُنْ لِأَقُولَهُ ولَو كُبِّلَتْ فى سَاعِدَىَّ الجَوَامِعُ
حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنفْسِكَ رِيبَةً وَهلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وهُوَ طَائِعُ
بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وثَبْرَةٍ يَزُرْنَ إِلالًا سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ (٣)
سَمَامًا تُبَارِى الرِّيحَ خُوصًا عُيُونُهَا لَهُنَّ رَزَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ
علَيْهِنَّ شُعْثٌ عامِدُونَ لِحَجِّهِمْ فَهُنَّ كَأَطْرَافِ الحَنِىِّ خَوَاضِعُ
لَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وتَرَكْتَهُ كَذِى العُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وهُوَ رَاتِعُ (٤)

---

(١) رائع : مخيف مفزع
(٢) الأقارع : يريد بهم بنى قريع بن عوف ، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان
(٣) لصاف وثبرة : موضعان . إلال : هو موقف الإمام بعرفة أيام الحج
(٤) كان من عادة العرب إذا عرّ الجمل أى أصيب بالجرب كووا الجمل الصحيح وتركوا المصاب وظن أن ذلك منهم كان لحماية الصحيح من العدوى

فَإِنْ كُنْتُ لَا ذُو الضِّغْنِ عَنِّي مُكَذَّبٌ ... وَلَا حَالِفٌ عَلَى البَرَاءَةِ نَافِعُ
وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ ... وَأَنْتَ بِأَمْرٍ لَا مَحَالَةَ وَاقِعُ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ
خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ ... تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ[1]
أَتُوعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةً ... وَيُتْرَكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ظَالِعُ
وَأَنْتَ رَبِيعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيْبُهُ ... وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ المَنِيَّةُ قَاطِعُ
أَبَى اللهُ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَفَاءَهُ ... فَلَا النُّكْرُ مَعْرُوفٌ وَلَا العُرْفُ ضَائِعُ
وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ ... بِزَوْرَاءَ فِي حَافَاتِهَا المِسْكُ كَانِعُ

وقال يرثى النعمان بن الحارث بن أبى شِمر الغسَّانى :

دَعَاكَ الهَوَى وَاسْتَجْهَلَتْكَ المَنَازِلُ ... وَكَيْفَ تَصَابِي المَرْءِ وَالشَّيْبُ شَامِلُ
وَقَفْتُ بِرَبْعِ الدَّارِ قَدْ غَيَّرَ البِلَى ... مَعَارِفَهَا وَالسَّارِيَاتُ الهَوَاطِلُ
أُسَائِلُ عَنْ سُعْدَى وَقَدْ مَرَّ بَعْدَنَا ... عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ سَبْعٌ كَوَامِلُ
فَسَلَّيْتُ مَا عِنْدِي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ ... تَخُبُّ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ[2]
مُوَثَّقَةِ الأَنْسَاءِ مَضْبُورَةِ القَرَا ... نَعُوبٍ إِذَا كَلَّ العِتَاقُ المَرَاسِلُ
وَرَبَّ بَنِي البَرْشَاءِ ذُهْلٍ وَقَيْسِهَا ... وَشَيْبَانَ حَيْثُ اسْتَبْهَلَتْهَا المَنَاهِلُ[3]

---

(١) يقول : أنت فى قدرتك على نكطاطيف عقف يمد بها ، وأنا كدلو تتناولها تلك الخطاطيف

(٢) العرمس : الناقة القوية على السير

(٣) البرشاء : هى أم شيبان وذهل وقيس به ثعلبة . وكانت ضرتها ألقت الماء الحار على وجهها فأثر فيه فعرفت بالبرشاء

لَقَدْ عَالَنِي مَانَرَّهَا وَتَقَطَّعَتْ لِرَوْعَاتِهَا مِنِّى القُوَى والوَسَائِلُ
فَلَا يَهْنِئِ الْأَعْدَاءَ مَصْرَعُ مَلْكِهِمْ ومَا عَتَقَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ ووَائِلُ
وكَانَتْ لَهُمْ رِبْعِيَّةٌ يَحْذَرُونَها إِذَا خَضْخَضَتْ ماءَ السَّماءِ القَبَائِلُ (١)
يَسِيرُ بِها النُّعْمَانُ تَغْلى قُدُورُهُ تَجِيشُ بِأَسْبَابِ المَنَايَا المَرَاجِلُ
يَقُولُ رِجَالٌ يُنْكِرُونَ خَلِيقَتِى لعَلَّ زِيَادًا لا أَبَالَكَ غَافِلُ
أَبَى غَفْلَتِى أَنّى إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ تَحَرَّكَ دَاءٌ فى فُؤَادِى دَاخِلُ
وإِنَّ تِلَادِى إِنْ ذَكَرْتُ وشِكَّتِى وَمُهْرِى وَمَا ضَمَّتْ لَدَىَّ الأَنَامِلُ
حِبَاؤُكَ والعِيسُ العِتَاقُ كأَنَّها هِجَانُ المَهَى تُحْدَى عَلَيْها الرَّحَائِلُ (٢)
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ أَوَاسِىَ مُلْكٍ ثَبَّتَتْها الأَوَائِلُ
فلا تَبْعَدَنْ إِنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ وكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا بِهِ الحَالُ زَائِلُ
فَمَا كَانَ بَيْنَ الخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِمًا أَبُو حُجُرٍ إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ
فَإِنْ تَحْىَ لَا أَمْلَلْ حَيَاتِى وإِنْ تَمُتْ فَمَا فى حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
سَقَى الغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وجَاسِمٍ بِغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِىِّ قَطْرٌ ووَابِلُ (٣)
ولا زَالَ رَيْحَانٌ ومِسْكٌ وعَنْبَرٌ على مُنْتَهَاهُ دِيمَةٌ ثُمَّ هَاطِلُ
بَكَى حارِثُ الجَوْلَانِ مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ وحَوْرَانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضَائِلُ (٤)

---

(١) يريد بالربعية ، الغزوة فى زمن الربيع

(٢) إن ماذكره من هذه الأشياء كلها يقول إنها فى حباء الملك النعمان ابن الحارث المرثى بهذه القصيدة .

(٣) بصرى وجاسم : من مدن الشام

(٤) الجولان وحوران . من أماكن الشام معروفة

قُعُودًا لَهُ غَسَّان يرْجُونَ أَوْبَهُ ... وتُرْكٌ وَرَهْطُ الأَعْجَمِينَ وكَابُلُ [1]

ولما ارتحل عن ملوك بنى غسان عائداً إلى الحيرة قال فى وداعهم :

لَا يُبْعِدِ اللهُ جِيرَانًا تَرَكْتُهُمْ ... مِثْلَ المَصَابِيحِ تَجْلُو طُخْيَةَ الظُّلَمِ [2]

لا يَبْرَمُونَ إِذَا مَا الأُفْقُ جَلَّلَهُ ... بَرْدُ الشِّتَاءِ مِنَ الإِمْحَالِ كَالأُدُمِ [3]

هُمُ المُلُوكُ وَأَبْنَاءُ المُلُوكِ لَهُمْ ... فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فى اللَّأْوَاءِ والنِّعَمِ

أَحْلَامُ عَادٍ وأَجْسَادٌ مُطَهَّرَةٌ ... مِنَ المَعَقَّةِ والآفَاتِ والإِثَمِ

ومما يصح أن يختم به ما اخترناه من شعره قوله يذكر الدهر وأحداثه فى أهله :

مَنْ يَطْلُبِ الدَّهرَ تُدْرِكْهُ مَخَالِبُهُ ... والدَّهْرُ بِالوِتْرِ نَاجٍ غيرُ مَطْلُوبِ

مَا مِنْ أُنَاسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ ... إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ الذِّيبِ

حَتَّى يُبِيدَ عَلَى عَمْدٍ سَرَاتَهُمُ ... بِالنَّافِذَاتِ مِنَ النَّبْلِ المَصَايِيبِ

إِنِّى وَجَدْتُ سِهَامَ المَوْتِ مُعْرَضَةً ... بِكُلِّ حَتْفٍ مِنَ الآجَالِ مَكْتُوبِ

وشعر النابغة الذبيانى كثير لا يمكن استيعابه فى هذا المكان . وقد عنى المستشرقون بشعره ، فطبعوه بالمجلة الاسيوية الفرنسية ومعه ترجمة بهذه اللغة للأستاذ دبر نبرغ سنة ١٨٦٨م . قالوا : وكانت وفاة النابغة فى سنة ٦٠٤م ويكون هذا قبل البعثة النبوية بسبع سنوات على التقريب .

---

(١) غسان : اسم ماء بالشام ، وإليه تنسب ملوك الغساسنة

(٢) الطخية : الظلمة

(٣) لايبرمون : لايحلون . الإمحال : القحط . والأدم : الجلد الأحمر المدبوغ

٣

النابغة الشيبانى

هو عبد الله بن المخارق الشيبانى . كان يقيم فى البادية [1] . وكان يفد على بلاد الشام فى عهد الدولة الاموية ، وهو يعد من شعراء الطبقة الاولى وكان منقطعاً إلى عبد الملك بن مروان (*) مداحا له ، متقبلا عطاياه ومنحه ، كما

---

(١) المراد بالبادية هنا بادية الجزيرة المعروفة بـ (مابين النهرين) وهى واقعة بين الفرات ودجلة . وتسمى فى كتب الجغرافية (ميزوبوتامية) وكانت مساكن العرب من قبائل ربيعة لأنهم نزلوها فى غابر الدهر . وقد سميت بها (ديار ربيعة) و (ديار بكر) والنابغة الشيبانى بكرى معروف النسب .

(*) من خير ماروى لعبد الملك قوله : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة . وكان إذا [illegible] من [illegible] وقل [illegible] ماش [illegible] الكذوب لا [illegible] ، ولا تجبنى فيما لا أسألك ، فإن فيما أسألك عنه [illegible] . ولا تطرنى ، فإنى أعلم بنفسى منك . ولا تحملنى على الرعية ، فإنى إلى الرفق بهم أحوج . وأوصى بنيه عند موته فقال : عليكم بتقوى الله ، وإياكم والفرقة والاختلاف ، وكونوا بنى أم بررة ، وكونوا فى الحرب أحراراً ، وللمعروف منارا . فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يبقى أجره وذكره . وأحلوا فى مرارة ، ولينوا فى شدة ، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيبانى :

إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو حنق وبطش باليد
عزت فلم تكسر وإن هى بددت ... فالكسر والتوهين للمتبدد

ومما يروى لعبد الملك من الشعر قوله :

لعمرى لقد عمرت فى الدهر برهة ... ودانت لى الدنيا بوقع البواتر
فأضحى الذى قد كان مما يسرنى ... كلمح مضى فى المزمنات الغوابر
فياليتنى لم أغن فى الملك ساعة ... ولم أله فى اللذات عيش نواضر
وكنت كذى طمرين عاش ببلغة ... من الدهر حتى زار ضنك المقابر

فهذا كل ماقاله النابغة ؛ وهذا ما حمل أبا الفرج على أن يراه نصرانيا .

وإذا كان هذا كافيا فى نظر أبى الفرج لنصرانيته ، أفلا يعد كافياً لوصفه بالإسلام قوله ـ من قصيدة :

وتُعْجِبُنِي اللَّذَّاتُ ثم يَعُوجُنِي ... ويَسْتُرُنِي عَنْها مِنَ اللهِ سَاتِرُ (١)

ويَزْجُرُنِي الإسْلَامُ والشَّيْبُ والتُّقَى ... وفى الشَّيْبِ والإسْلَامِ لِلمرْءِ زَاجِرُ

وقوله من أخرى :

هُمُ الَّذِينَ سَمِعْتُ اللهَ أَوْعَدَهُمْ ... الْمُشْرِكُونَ ومَنْ لَمْ يَهْوِكُمْ نَجَسُ

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الذِينَ ءامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ الآية .

وقوله من أخرى :

وَلَوْلَا اللهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ [illegible]

[illegible] ـور نفحها تنشى (٢)

ولعل أبا الفرج لم يطلع على هذه الأبيات ، أو لم ترو له ؛ وإلا لما بادر بهذا الوصف التوهمى . على أنى لا أستبعد ـ مع هذا ـ أن النابغة قد يكون نشأ نصرانيا ؛ فإن النصرانية كانت فى عشائر ـ ثم اهتدى بعد ذلك إلى الإسلام . وليس فى هذا غرابة أو بعد ؛ وعند الله علم السرائر .

هذا ، وسأختار من شعره هنا ما يصلح لمذاكرة القارئ العصرى معرضا عن رواية مالا فائدة منه للأديب الحديث من ذكر الطلول ووصف

---

(١) يعوجنى : يميلنى عنها ويردنى

(٢) الخرطوم : يريد بها الخمر . تنشى . توجد سورة السكر ونشوته

الديار، ونعت الركاب ، وقطع الفيافى والقفار . مما يوجب السأم وينفر الطبع السليم .

قال من قصيدة يمدح بها عبد الملك ؛ وكان هم بخلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد وتولية ولده، الوليد، فى حفل من أهل بيته :

أَشْتَقْتَ وانْهَلَّ دمعُ عَيْنِكَ أَنْ   أَضْحَى قِفَارًا مِنْ خُلَّتِي طَلَحُ (١)

فَكَمْ وَرَدْنَا مِنْ مَنْهَلٍ أبِدٍ   أَعْـذَبُ مَا نَسْتَقِي بِهِ المِلَحُ (٢)

آمُلُ فَضْلًا مِنْ سَيْبِ مُنْتَجَعٍ   إِيَّاهُ يَنْوِى الثَّنَاءُ والمِدَحُ (٣)

يَسُوسُ أَهْلَ الإِسْلامِ عُمِلْتَهُمْ   وأَنْتَ عَبْدُ الرَّحْمنِ مُنْتَصِحُ (٤)

إِنْ تَلْقَ بَلْوَى فصَابِرٌ أَنِفٌ   وإِنْ تُلَاقِ النُّعْمَى فَلَا فَرِحُ (٥)

تَرْمِي بعَيْنَيْ أَقْنَى عَلَى شَرَفٍ   لَمْ يُؤْذِهِ عائِرٌ ولالَحَـــحُ (٦)

[illegible] شَغْبِهِمْ إِذَا طَمَحُوا (٧)

حَفِظْتَ مَاضَـــيَّعُوا وَزَنْدُهُمُ [illegible] وقد صلدوا (٨)

(١) خلتى : أصدقائى أو صديقاتى. طلح : اسم مكان

(٢) المنهل : مورد الماء. الأبد : الموحش الذى تألفه الوحوش . والملح : المياه غير العذبة

(٣) السيب : العطاء . المنتجع : المقصود لطلب المعروف . ينوى : يقصد

(٤) منتصح : معروف بسلامة النصح

(٥) يعنى : لا ترئسه البلوى ، ولا تبطره النعمى

(٦) الأقنى : يريد به الصقر . والشرف : المكان العالى. والعائر : المرض فى العين واللحح : مرض أيضاً يعترى الجفون

(٧) الشغب : إهاجة دواعى الشر

(٨) أوريت : أحميت وأشعلت ؛ صلدوا : لم يوروا ولم يتقدوا

مَنَاقِبُ الخَيْرِ أَنْتَ وارِثُهَا ... والحَمْدُ ذخر تُغْلِي بِهِ رِبَحُ

آلَيْتُ جُهْدًا ـ وصَادِقَ قَسَمِى ـ ... بِرَبِّ عَبْدٍ تَجُنُّـــهُ الكُرَحُ

يَظَلُّ يَتْلُو الإنجِيلَ يَدْرُسُهُ ... مِنْ خَشْيَةِ اللهِ قَلْبُهُ قَفِحُ

لَابْنُكَ أَوْلَى بِمُلْكِ والِدِهِ ... وعَمُّهُ إن عَصَاكَ مُطَّرَحُ

دَاوُدَ عَدْلٌ فَاحْكُمْ بِسُنَّتِهِ ... وآلُ مَرْوَانَ كَانُوا اللهَ قَدْ نَصَحُوا[1]

فَهُمْ خِيَـــارٌ فَاعْمَلْ بِسُنَّتِهِمْ ... وَاحْيَ بِخَيْرٍ واكْدَحْ كَمَا كَدَحُوا

وقال ـ من قصيدة ـ :

وتُعْجِبُنِى اللَّذَّاتُ ثُمَّ يَعُوجُنِى ... وَيَسْتُرُنِى عَنْها مِنَ اللهِ سَاتِرُ

ويَزْجُرُنِى الإسْلَامُ والشَّيْبُ والتُّقَى ... وفى الشَّيْبِ والإسْلامِ للمرْءِ زَاجِرُ

وقُلْتُ وقَدْ مَرَّتْ حُتُوفٌ بِأَهْلِها : ... أَلَا لَيْسَ شَىْءٌ غَيْرَ رَبِّى غَابِرُ[2]

هُوَ البَاطِنُ الرَّبُّ اللَّطِيفُ وكَانَهُ [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] يَا ذِى الخَيْرِ لِلذنبِ غَافِرُ

أَلَا أَيُّهَا الإنْسَانُ هَل انت عامِل ... فَإِنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ لَابُدَّ نَاشِرُ[3]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الخَيْرَ والشَّرَّ فِتْنَةٌ ... ذخَائِرُ مُجْزِىٌّ بِهِنَّ ذَخَائِرُ

ومَنْ يَعْمَلِ الخيرَاتِ أَوْ يُخْطِ خَالِيًا ... يُجَازَ بِهَا أَيَّامَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

وَجَدْتُ الثَّرَاءَ والمُصِيبَاتِ كُلَّهَا ... يَجِىءُ بِهَا بَعْدَ الإلٰهِ المَقَادِرُ

---

(١) يريد به داود بنى إسرائيل ووالد سليمان عليهما السلام ، وهو يشير بذلك إلى حكمهما فى الحرث

(٢) يريد بالغابر هنا : الباقى

(٣) ناشر هنا بمعنى منشور

فَإنَّ عُسْرَةَ يومًا أَضرَّتْ بِأَهْلِها ... أَتَتْ بعْـدَهَا بِمَّا وُعِدْنَا المَيَاسِرِ

ونَازِلِ دارٍ لَا يُرِيدُ فِرَاقَهـــا ... سَتُظْعِنُهُ عَمَّا يُرِيدُ الجَرَائِرُ

ومَنْ يُنْصِفِ الأقْوَامَ مَا فَات قَاضِيًا ... وكُلُّ امْرِئٍ لا يُنْصفُ النَّاسَ عاذِرُ

وقال ـ من قصيدة ـ يمدح بها الوليد بن عبد الملك :

تنْوِى الوَليدَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وإِنْ ... طَالَ السِّفَارُ وأَضْحَتْ دُونَهُ الطَّبسُ (1)

خَلِيفَـــةُ اللهِ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بهِ ... مَامَسَّ أَثْوَابَهُ مِنْ غَدْرَةٍ دَنَسُ

مَلْكا هُمَامًا يُجِيلُ الأمْرَ جَائِلَهُ ... إذَا تَحَيَّرَ عِنْـدَ الخُطَّةِ الهَوِسُ

دانَتْ لَهُ عَرَبُ الآفَاقِ خَشْيَتَهُ ... والرُّومُ دانَتْ لَهُ جَمْعَاءَ والفُرُسُ

خَافُوا كتَائِبَ غُلْبًا أَنْ تُطِيفَ بِهِمِ ... لِلسَّابِغَاتِ عَلى أَبْطالِهـا جَرَسُ (2)

بِهِنَّ تَحْوِى سُـــبِيًّا ثُمَّ تَقْسِمُها ... كمَا يُصِيدُكَ وَحْشَ النَّفْرَةِ الفَرَسُ (3)

قَسْمًا إذَا [illegible] الضِّغْنَ قَاتَلَهُمْ ... وإنهمْ إنْ أَرَادوا غَدْرَةً تَعِسُوا (4)

لا يبصرون [illegible] مِنْ فِتْنَةٍ رَكَسُوا (5)

هُمُ الذِينَ سَمِعْتُ اللهَ أَوْعَـــدهم [illegible] من لم [illegible] نجس (6)

(1) تنوى : يعنى تقصد ، يريد بها ناقته التى وصفها فيما سلف من القصيدة ولم نر فائدة فى ترديد هذا الوصف . والطبس: اسم لمدينتين بين نيسابور وإصبهان وهما طبسان إحداهما تسمى : طبس التمر ، والأخرى تسمى طبس العناب

(2) الكتائب ، جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . والغلب ، جمع غلباء ، الكثيرة العدد . السابغات الدروع . الجرس : الصوت

(3) السبي : السبايا والغنائم

(4) الضغن : الحقد وانتواء الشر والغدر

(5) الصمم : انسداد السمع ، الطرش . ركسوا : عاودوا الفتنة دون تبصر

(6) يشير إلى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس »

هَدَتْ أُمَيَّةُ سُبُلَ الحَقِّ تَابِعَهَا … إنَّ الأُمُورَ عَلَى ذِى الشَّكِّ تَلْتَبِسُ (١)

وأَسْهَلُ النَّاسِ أَعْطَانًا لِمُخْتَبِطٍ … وأَكْثَرُ النَّاسِ عِيدَانًا إذَا حَمِسُوا (٢)

إذَا قُرَيْشٌ سَمَتْ كَانُوا ذَوَائِبَهَا … وَخَيْرُهُمْ مَنْبِتًا فى المَجْدِ إذْ غُرِسُوا (٣)

ومن قوله :

ومَا النَّاسُ فى الأَخْلَاقِ إلَّا غَرَائِزٌ … كَمَا الشَّعْرُ مِنْهُ مُصْلِدٌ وغَزِيرُ (٤)

وضَرُّكَ مَنْ عَادَيْتَ أَمْرُ قِوَايَةٍ … وحَزْمٍ، وضَرُّ الأَقْرَبِينَ فُجُورُ (٥)

وقِيلُكَ قَدْ أَبْصَرْتُ شَيْئًا جَهِلْتَهُ … لِذِى حَنَقٍ عِنْدَ الحَمِيَّةِ بُورُ (٦)

وكَيْفَ تُسِرُّ الفَخْرَ فى غَيْرِ كُنْهِهِ … وفى أَنْفُسِ الأَقْوَامِ أَنْتَ حَقِيرُ (٧)

وكَائِنٍ تَرَى مِنْ كَامِلِ العَقْلِ يُزْدَرَى … ومِنْ نَاقِصِ المَعْقُولِ وهُوَ جَهِيرُ (٨)

ومِنْهُمْ قَصِيرٌ رَامَ مَجْدًا فَنَالَهُ … وآخَرُ هَيْقٌ فى الحَمَاظِ قَصِيرُ (٩)

ومِنْ طَالِبٍ حَقًّا بِفُحْشٍ يَفُوتُهُ … [illegible]

[illegible]

(١) هدت أمية [illegible]

(٢) الأعطان : الأماكن التى تأوى إليها الإبل . المختبط: طالب المعروف. حمسوا: صلبوا واشتدوا فى قتال أعدائهم، وهو من الحماسة

(٣) الذوائب : الأعالى

(٤) مصلد : يريد أنه لافائدة منه على قلته ، وغزير : كثير مفيد

(٥) القواية : القوة التى لابد منها

(٦) قيلك بور : أى ذاهب هدرا عند الحنق ذى الحمية

(٧) الكنه : الوقت المناسب له ، يعنى لايجوز أن تفخر بما ليس لك ، تريد أن تستر به حقارتك

(٨) الجهير : ذو المنظر الأخاذ ، المسموع الصوت

(٩) الهيق : الطويل

وَمُنْتَحِلٍ شِعْرًا سِوَاهُ يَقُولُهُ وقائِلِ شِعْرٍ لَا يَكادُ يَسِيرُ

وَقَدْ يَصْبِرُ المِهْلاعُ لا بُدَّ مَرَّةً ويَجْزَعُ صُلْبُ العُودِ وهْوَ صَبُورُ (١)

ومن قوله :

إذَا المَرْءُ غَالَتْهُ شَعُوبُ فَمَا لِلشَّامِتِينَ بِهِ خُلُود (٢)

وكلُّ مُنَعَّمٍ وأَخِى شَقَاءٍ ومُثْرٍ والمُقِلّ مَعًا يَبِيدُ

إذَا مَا لَيْلَةٌ مَرَّتْ ويومٌ أَتَى يَوْمٌ ولَيْلَتُهُ جَدِيدُ

أَبَادَ الأَوَّلِينَ وكلُّ قَرْنٍ وعادًا مِثْلَمَا بَادتْ ثَمُود

ولَا يُنْجِى مِنَ الآجالِ أَرْضٌ يُحَلُّ بِهَا ولا القَصْرُ المَشِيد

ومَا لا بُدَّ مِنْهُ سَوْفَ يَأْتِى ولٰكِنَّ الذِى يَمْضِى بَعِيد

[illegible] النَّاسِ [illegible] شِيمَتَاهُمْ غَوِىٌّ والذِى يُهْدَى رَشِيد (٣)

ولست [illegible] السَّعِيد

وتَقْوى اللهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وعِنْدَ اللهِ لِلأَتْقَى مَزِيد

وشَرُّ مُصَاحِبٍ خُلُقٌ قَسِىٌّ ونِعْمَ الصَّاحِبُ الخُلُقُ السَّدِيد (٤)

ووصْلُ الأَقْرَبِينَ سَبِيلُ حَقٍّ وقَطْعُ الرَّحْمِ مُطَّلَعٌ كَؤُود (٥)

(١) المهلاع : الجزوع . وهو من الهلع

(٢) شعوب : هو اسم للمنية

(٣) شيمتاهم : مثنى شيمة ، وهى العادة والسجية

(٤) قسى : شديد صفيق لاخير فيه

(٥) الرحم : ماوجب عليك صلته وتفقده . مطلع كؤود : صعب المرتقى

ومن قوله :

وإذَا مَا انْطوى أَخٌ لِيَ دُونِي ‏ ‏ فَجَدِيرٌ إنْ صَدَّ أَنْ لا أُبَالِي

كلُّ مَا اخْتَصَّنِي بِهِ اللهُ رَبِّي ‏ ‏ لَيْسَ مِنْ قُوَّتِي ولا بِاحْتِيَالِي

كفَّنِي الحِـلْمُ والمَشِيبُ وعَقْلي ‏ ‏ ونَهى اللهُ عَنْ سَبِيلِ الضَّلال

وأَرَى الفَقْرَ والغِنَى بِيَدِ اللـهِ ‏ ‏ وحَتْفُ النُّفُوسِ فى الآجالِ

لَيْسَ حَيٌّ يَبْقَى وإنْ بَلَغَ الكَبْـرَةَ ‏ ‏ إلَّا مَصِـيرُهُ لِزَوال

إنْ تَمُتْ أَنْفُسُ الأَنَامِ فَإِنَّ اللـهَ ‏ ‏ يَبْقَى وصَالِحَ الأَعْمالِ

إنَّ مَنْ يَرْكبُ الفَوَاحِشَ سِرًّا ‏ ‏ حِينَ يَخْلُو بِسَوْءَةٍ غَيْرُ خال

كَيْفَ يَخْلو وعِنْـدَهُ كاتِبَاهُ ‏ ‏ شَاهِدَيْهِ ورَبُّهُ ذُو المِحَالِ

فاتَّقِ اللهَ ما اسْتَطَعْتَ وأَحْسِنْ ‏ ‏ إنَّ تَقْوى الإلـهِ خَيْرُ الخِلالِ

وإذَا كُنْتَ ذَا أَنَاةٍ وحِـلْمٍ ‏ ‏ لَمْ تَطِرْ عنْدَ طَيْرَة الجُهَّال

وإذَا ما أَذَلْتَ عِ[illegible] ‏ ‏ [illegible] إِنَّ الكَـ[illegible]

ومن قوله :

عاتِبْ أَخَاكَ ولا تُكثِرْ مَلامَتَهُ ‏ ‏ وزُرْ صَديقَكَ رِسْلًا بعْدَ تَغْيِيب

وإنْ عُنِيتَ بِمَعْرُوفٍ فَقُلْ حَسَنًا ‏ ‏ ولا تَهِنْ عنْ ذَوِى ضِغْنٍ لِتَهْيِيب

لا تَحْمَدَنَّ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ ‏ ‏ ولا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيب

إنَّ الغُلامَ مُطِيعٌ مَنْ يُؤَدِّبُهُ ‏ ‏ ولا يُطِيعُكَ ذُو شَيْبٍ لِتَأْدِيبِ

إنَّ السَّلائِقَ فى الأخْلاقِ غالِبَةٌ ‏ ‏ فالصَّقْرُ لا يُقْتَنَى إلا بِتَدْرِيبِ

وشعر النابغة الشيبانى كثير ، وهو ديوانه الذى نشرته بالطبع دار الكتب المصرية بعنوان « ديوان نابغة بنى شيبان » وقد وقف على طبعه صديقنا الشاعر المرحوم أحمد نسيم فى سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م .

٤

النابغة الحارثى

هو يزيد بن أبان الحارثى . ويقال له : نابغة بنى الديان . ينتهى نسبه إلى كعب بن الحارث . قال عنه الآمدى : إنه شاعر محسن . وروى له قوله :

إنْ تَشْتَكِي عَنَّا سُمَىٌّ فَإِنَّنا   يَسْمُو إلَى قُحَمِ العُلَى أَدْنَانَا (١)

وتَبِيتُ جَارَتُنَا حَصَانًا عِفَّةً   تَثْنِي ، ويَأْخُذُ حَقَّهُ مَوْلَانَا

ونُحِقُّ حَقَّ شَرِيبِنَا فى مَائِنَا   حَتَّى يَكُونَ كأَنَّهُ أَسْقَانَا (٢)

ونَقُولُ إنْ طَرَقَ المُثَوِّبُ أَصْبِحُوا   لِوَصَاةِ والِدِنَا الَّذِى أَوْصَانَا (٣)

أَنْ لَا نَصُدَّ إِذَا الكُمَاةُ تَقَدَّمَتْ   حَتَّى تَدُورَ رَحَاهُمُ ورَحَانَا (٤)

وإذا [illegible] عَنْوَةً   قَسْرًا ونَأْبَى أَنْ يُبَاحَ حِمَانَا

ويَعِيشُ [illegible] (٥)

ويَظَلُّ مُقْتِرُنَا بِحُسْنِ عَفَافِهِ   [illegible] وكأَنَّهُ أَغْنَانَا (٦)

ويَسُود سَيِّدُنَا بِغَيْرِ مدافِع   ويَسود فَوْقَ السَّيِّدِينَ ثُنَانَا (٧)

---

(١) سمى : هى محبوبته التى يتغزل به واسمها سمية . قحم العلى : مداخل العلى ومآزقها أدنانا : يريد أقلنا قدرة وقوة .

(٢) شريبنا : من يشاركنا فى شربنا أى مائنا الذى نستقى منه

(٣) المثوب : المنادى . وقد يريد به المؤذن

(٤) ويروى : إذا الكتيبة أحجمت . رحاهم ورحانا : يريد رحا الحرب

(٥) يريد بالأحلام هنا : الحلم الذى هو ضد الجهل

(٦) عفافه هنا يريد به التعفف وصون النفس عن التبذل

(٧) ثنانا : يريد به الذى يجىء بعد أولنا فى السيادة . السيدين هنا جمع السيد .

وإذَا السُّيوفُ قَصُرْنَ بلَّغَها لنا حَتَّى تَناوَلَ مَا نُرِيدُ خُطَانَا

وإذَا الجِيَادُ رَأَيْنَنَا فِي مَجْمَعٍ أُعْظِمْنَنَا وزَحَلْن عَنْ مَجْرَانَا (١)



النابغة الغنوى

هو النابغة بن لأى بن مطيع . ينتهى نسبه إلى غَنِيٍّ . كان فيما يقال من الشعراء الفرسان . ولم أقف له إلا على البيتين الآتيين . قيل إنه قالهما فى يوم محجر ، وهو ماء لطيّ :

وَمَا لُمتُ فُرْسَانِي ولَـكِن ثُرْتُهُمْ [illegible] (٢)

فَأَ[illegible] فى [illegible] بَيْنَ السكون [illegible] مُنتَصِرِ

ويقال إنه كان له [illegible] له : جوين بن النابغة .



النابغة التغلبى

هو الحارث بن عدوان ينتهى نسبه إلى غنم بن تغلب . لم أقف له من

---

(١) زحلن : انكشفن عن الميدان الذى تجرى فيه خيلنا

(٢) ثرتهم : حركتهم وبعثتهم للغارة

(٣) رمان : موضع فى ديار بنى طيئ

الشعر إلا على قوله :

هَجَرْتَ أُمامَةَ هَجْرًا طويلا وما كانَ هَجْرُكَ إلَّا جَمِيلا

عَلى غيْرِ بغْضٍ ولا عَنْ قِلى وإلَّا حَياءً وإلَّا ذُهُولا

بَخِلْنا لِبُخْلِكِ قدْ تعْلمِينَ فكيْفَ يلُومُ بَخيلٌ بَخِيلا



النابغة العدوانى

هو من بنى وابش بن زيد بن عدوان ، وقفت له على هذين البيتين يهجو بهما عنبسة بن يحي بن يزيد بن العاص :

إذا [illegible] أخبار [illegible] رَجَعْتَ مُقلَّدًا خُفَّىْ حُنيْن (1)

فما هو [illegible] مِن [illegible] النوا [illegible]

وعلى هذا البيت يهجو به الفرزدق الشاعر .

نبَغْتُ وأَشْعَارى لِقيْس دِعامَةٌ وإنّى الّذى أفرِى حرامَّ الفَرَزْدَق (2)

---

(1) خفى حنين : يضرب بهما المثل فى خيبة الأمل

(2) يريد بقيس : قبائل قيس بن عيلان الذين هو منهم . والله أعلم



النابغة اليربوعي

هو من يربوع بن لقيط بن مرة بن عوف بن مسعد بن ذبيان. ويقال له: النابغة الذبياني. ونابغة بني قتال. كان أحد الشعراء النوابغ ـ فيما يقال ـ وقد درس شعره، ولم أجد أحداً من الرواة روى له شعراً حتى أثبته هنا. والله أعلم.

انتهى كتاب أخبار النوابغ وبه انتهى هذا المجموع

سند هذا المجموع

رأيت أن أذكر هنا الكتب التي اعتمدت عليها وراجعتها فى تحرير هذا المجموع وتعليق الشروح والحواشي على مارويته فيه :

أساس البلاغة للزمخشرى : طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢

أسد الغابة لابن الأثير : طبع بولاق

الإصابة لابن حجر طبع مصر

الأصنام لابن الكلبي : طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤

الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى : طبع الساسى ، وطبع دار الكتب المصرية

الاقتضاب شرح أدب الكتاب للبطليوسى : طبع بيروت سنة ١٩٠١

الإكليل لأبى محمد الحسن بن أحمد الهمدانى : طبع بغداد سنة ١٩٣١

الأ[illegible] : طبع بيروت سنة ١٩٠٨

الأمالى [illegible] دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦

أمالى ابن الشجرى : طبع مصر

أمالى السيد المرتضى : طبع مصر سنة ١٩٠٧

البيان والتبيين للجاحظ شرح السندوبى : طبع مصر سنة ١٩٤٧

تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدى : طبع مصر سنة ١٢٨٦

تاريخ الأمم والملوك للطبرى طبع مصر

تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين للسيوطى : طبع مصر سنة ١٣٥١

تاريخ الشام لابن عساكر : طبع دمشق الشام .

تاريخ العرب العام لسديو . تعريب عادل زعيتر . طبع مصر سنة ١٩٤٨

التاريخ الكامل لابن الأثير : طبع مصر

التنبيه على أوهام أبي على فى أماليه لأبى عبيد البكرى : طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦

جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى . طبع بولاق سنه ١٣٠٨

الحماسة السنية للشنقيطى الكبير : طبع مصر

الحيوان للجاحظ : طبع الساسى ١٩٠٧ وطبع مصر ١٩٣٩

حياة الحيوان للدميرى : طبع مصر ١٣١٩

خزانة الأدب للبغدادى : طبع مصر سنة ١٩٢٩

دائرة المعارف الإسلامية لجماعة من المستشرقين . تعرب وتطبع بمصر

دائرة المعارف للبستانى : طبع بيروت

ديوان عبيد بن الأبرص : طبع أوربا

سمط اللآلى شرح الأمالى ، لأبى عبيد البكرى : طبع مصر سنة ١٩٢٦

شرح ديوان امرئ القيس ، لأبى بكر [illegible]

شرح شواهد المغنى [illegible] ... ابن السكيت [illegible]

شرح مقصورة [illegible] ... ول مبول سنة ١٣٠٠

شرح المعلقات السبع للزوزنى : طبع مصر سنة ١٣٥٢

شرح القصائد العشر للتبريزى : طبع مصر سنة ١٩٥٢

شرح ديوان الحماسة للتبريزى : طبع مصر سنة ١٩٣٩

شرح أدب الكاتب للجواليقى : طبع مصر

شعراء النصرانية للأب لويس شيخو : طبع بيروت سنة ١٩٢٠

الشعر والشعراء لابن قتيبة : طبع ليدن سنة ١٩٠٢

طبقات الشعراء لابن سلام : طبع مصر

الطبقات الكبرى لابن سعد : طبع أوربا

العقد الثمين فى دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين : طبع لندن سنة ١٨٧٠ ،

وبيروت سنة ١٨٨٦

العقد الفريد لابن عبدربه : طبع بولاق سنة ١٢٩٣

العمدة لابن رشيق : طبع مصر سنة ١٩٣٤

قاموس الأمكنة والبقاع لعلى بهجت : طبع مصر سنة ١٩٠٦

قاموس الجغرافية القديمة ـ عربي وفرنساوى ـ لاحمد زكى : طبع مصر سنة ١٨٩٩

القاموس المحيط للفيروزابادى : طبع مصر سنة ١٣٣٠

الكامل للمبرد : طبع مصر سنة ١٣٠٢

لسان العرب لابن منظور : طبع مصر

مجمع الأمثال للميدانى : طبع مصر سنة ١٣١٠

المزهر للسيوطى : طبع بولاق سنة ١٨٨٢

المعارف لابن قتيبة : طبع مصر سنة ١٩٣٤

معاهد التنصيص [illegible]

معجم البلدان لياقوت : طبع م[illegible]

المعجم الجغرافى لامين واصف : طبع مصر سنة ١٩١٦

معجم الشعراء للمرزبانى : طبع مصر سنة ١٣٥٤

معجم المطبوعات اسركيس : طبع مصر سنة ١٩٢٨

معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى : طبع مصر سنة ١٩٤٥

المعلقات العشر وأخبار شعرائها لابن الأمين الشنقيطى : طبع مصر سنة ١٣٥٤

المؤتلف والمختلف للآمدى : طبع مصر سنة ١٣٥٤

الموشح للمرزبانى : طبع مصر سنة ١٣٤٣

فهرس هذا المجموع

وهو يحتوى :

فهرس ديوان امرئ القيس

فهرس أخبار المراقسة وأشعارهم

فهرس أخبار النوابغ وآثارهم

مصنفات صاحب الكتاب

أعيان البيان	طبع	سنة	١٩١٤
الشعراء الثلاثة : شوقى ، ومطران ، وحافظ	»	»	١٩٢٢
المفضليات للضبي : شرح عليها	»	»	١٩٢٦
المقابسات : لأبى حيان التوحيدى : شرح عليها	»	»	١٩٢٩
أدب الجاحظ	»	»	١٩٣١
رسائل الجاحظ	»	»	١٩٣٣
أبو العباس المرسى ومسجده الجامع بالإسكندرية	»	»	١٩٤٤
البيان والتبيين للجاحظ ٣ أجزاء شرح عليه (طبعة ثالثة)	»	»	١٩٤٨
تاريخ الاحتفال بالمولد النبوى	»	»	١٩٤٨
شرح ديوان امرئ القيس — الطبعة الثالثة (ومعه)	»	»	١٩٥٤
أخبار المراقسة وأشعارهم			
أخبار النوابغ وآثارهم			



تحت الطبع

الأعياد والمواسم

المستشرقون والمستعربون (فى خدمة اللغة العربية)

عدة الصحفى (محاضرات فى نشأة الصحافة وأدواتها فى العالم)

رواية أدباد اسبلندد بار (شعر)

وهى تطلب منه ومن المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع القلعة (محمد على سابقاً)